

سعيد الأفغاني

استاذ العربية في كلية الآداب

في أصول النحْو

١٣٧٦ هـ ١٩٥٧ م

مطبعة الجامعة السورية

سعيد الأفغاني

أستاذ العربية في كلية الآداب

في أصول النحو

طبعة ثانية

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله منزل الكتاب بلسان عربي مبين ؛ والصلاة والسلام على
المرسلين حياة للعرب ورحمة للعالمين .

كانت كليات الجامعة السورية قبل العام الدراسي (١٩٤٨ - ١٩٤٩) تتبع في
تدرج طلابها نظام السنين المرعي في جامعات بريطانيا وأمريكا ومصر ، ثم رأى
الاكثرون من الاساتذة في كلية الآداب وكلية العلوم اتخاذ نظام الشهادات المرعي في
جامعات فرنسا ؛ فسمى قسم اللغة العربية في كلية الآداب لطلابه شهادات ثلاثاً يؤدونها
على النسق الآتي :

- ١ - شهادة تاريخ العرب والاسلام في السنة الثانية
- ٢ - علوم اللغة العربية = الثالثة
- ٣ - الآداب العربية = الرابعة

أما السنة الأولى فسميت شهادتها بـ (الثقافة العامة) ويتلقى فيها الطلاب محاضرات
في اللغة العربية وآدابها وفي التاريخ والجغرافية ، وفي علم الاجتماع ، مع دروس في اللغة
الأجنبية التي يتابع الطالب دراستها طول السنين الأربع دون انقطاع .

وكان عليّ وضع منهاج للنحو والصرف في شهادة (علوم اللغة العربية) على وجه
ينسجم فيه في الجملة هو ومناهج التفسير والحديث وعلوم البلاغة وفقه اللغة في الشهادة
نفسها ، فآثرت ان يدرس الطلاب النحو فيها عن طريق الادوات ، وأن تكون ثقافتهم
فيه ثقافة شواهد كما هي ثقافة قواعد ، فاخترت لهم بحوثهم جامعاً مرجعهم الاساسي

ففيها كتاب (مغني اللبيب) لابن هشام ، أما الصرف فيدرسون بحثاً فيه من وجهتي النظر الكوفية والبصرية في كتاب (الانصاف في مسائل الخلاف) لابن الانباري . وقد ارتحت الى ثمرات هذا المنهج مدى سنتين ، وقدمت بين يدي دراستهم تلك ، محاضرات أربعاً في (الاحتجاج ، والقياس ، والاشتقاق ، والخلاف) هي مادة هذا الكتاب . حرصت في هذه المباحث على ان يتزود الطلاب بمادة صالحة فيها مع مساهرة النظرة التاريخية على قدر الامكان ، وراعت فيها مستواهم وحاجتهم ، ولولا ذلك اوجب طي بعض ما نشر ونشر بعض ما طوي ، فكثير من القضايا مررت به خطأً لانه بحث بإسهاب في دراستهم السابقة .

وكنيت أود التريث في الطبع حتى أهني موضوعات اخرى في (الادوات في اللغة العربية) وأعيد النظر فيها ككتبت ، لكن غناء الطلاب في الاستملاء والنفقة العالية التي يكلفهم لإياها النسخ بالآلة الكاتبة ، ثم كثرة الخطأ والتصحيف من بعد الغناء والافتقار .. كل ذلك حل مجلس كلية الآداب على اقتراح الطبع في مطبعة الجامعة السورية . وأنا موقن بأن بين هذه المحاضرات والكمال الذي أتصوره لها مراحل فاسحاً ، وأن عمل الانسان أبداً في حاجة الى الاصلاح ، وأن الخطوات العلمية لا تسد إلا بالنقد يُسهم فيه كل من عن له رأي صالح ، وأنه ما من أحد يضفر عن أن يُشَقَّد كما أنه ما من أحد يكبر عن أن يُشَقَّد . ولست أضمن من عملي هذا اكثر من أنني بذلت فيه جهداً بإخلاص ؛ فان خرج منه قارئ المتقف ممثلاً لإيماناً بالعربية وخصائصها ومنطقيتها ثم بتقصيرنا حيالها التقصير الأكبر ، رجوت أن يكون من ذلك حافز للقادرين على الاتمام ، وكان ذلك حسي من جهدي .

أسأل الله أن يجعلنا في عداد النافعين المنتفعين « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » وأن يزيدنا علماً وعملاً صالحاً ، يأخذ بأيدينا جميعاً إلى ما فيه خير البلاد والعباد .

دمشق : كلية الآداب

سعيد الوُفَّاني

١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م

قواعد النحو وتصنيفها؛ فقد كانت حوادثه المتتابعة نذير الخطر الذي هب على صوته أولوا الغيرة على العربية والاسلام ، ولابأس من عرض نار يخني سريع لبعض أحداثه المتتابعة :

بدأ اللحن قليلاً خفيفاً منذ إسماء الرسول على ما يظهر ، فقد لحن رجل بحضرته فقال : « أرشدوا أخاكم فإنه قد ضل » ^(١) والظاهر أيضاً أنه كان معروفاً بهذا الاسم نفسه « اللحن » بدليل أن السيوطي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « أنا من قریش ونشأت في بني سعد فأني لي اللحن » ^(٢) وقد كان أبو بكر الصديق يقول : « لأن أقرأ فأسقط أحب إلي من أن أقرأ فألحن » .

فاذا بلغنا عهد عمر رأينا المصادر تثبت عدداً من حوادث اللحن ، فتذكر أن ^(٣) عمر مر على قوم يسيئون الرمي فقرعهم فقالوا : « إنا قوم متعلمين » فأعرض مفضباً وقال : « والله لخطوكم في لسانكم أشد علي من خطئكم في رميكم » وورد الى عمر كتاب أوله : « من أبو موسى الأشعري » فكتب عمر لأبي موسى بضرب الكاتب ^(٤) سوطاً ، والآنكى من ذلك تسرب اللحن إلى قراءة الناس للقرآن فقد قدم أعرابي في خلافة عمر فقال : « من يقرئي شيئاً مما أنزل على محمد ؟ » فأقرأه رجل سورة براءة فقال : « وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله ... » ^(٥) فقال الأعرابي : « إن يكن الله بريء من رسوله فأنا أبراً منه »

(١) الخصائص لابن جني ٨/٢ (مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٥) وروى في ارشاد الاريب عن عبد الله بن مسعود ٨٢/١

(٢) الزهر للسيوطي ٣٩٧/٢ طبعة (دار احياء الكتب العربية - القاهرة) بناية محمد احمد جاد المولى ورفيقه ، ورواه السيوطي في الجامع الصغير عن الطبراني وقد ضعفه المحدثون .

(٣) ارشاد الاريب ٦٧/١ مطبوعات دار المأمون ،

(٤) هو ابو الحصين بن ابى الحر العبدي كما في وفيات الاعيان (٩٩/٥) ، وكان

ابو موسى قد استكتبه بعد زياد .

(٥) سورة التوبة ٣/٩

فبلغ عمر مقالة الأعرابي فدعاه فقال : « يا أمير المؤمنين ، لاني قدمت المدينة ... وقص القصة فقال عمر : ليس هكذا يا أعرابي » فقال : « كيف هي يا أمير المؤمنين ؟ » فقال : « ... أن الله بريء من المشركين ورسوله .. » فقال الأعرابي : « وأنا أبرأ ممن برى الله ورسوله منهم » . فأمر عمر ألا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة .^(١) ولعمر تنسب تلك القولة المأثورة : « تعلموا العربية فإنها تثبت العقل وتزيد في المروءة »^(٢) . وتكاد قصة بنت أبي الأسود تكون المحل المشهور في تاريخ النحو : فقد دخل عليها أبوها في وقدة الحر بالبصرة « فقالت له : « يا أبت ما أشد الحر ! » رفعت (أشد) فظنها تسأله وتستفهم منه : أي زمان الحر أشد ؟ فقال لها « شهرا ناجر . » فقالت : « يا أبت إنما أخبرتك ولم أسألك . »^(٣)

وتتقدم خطوة في الزمن فيقص علينا ابن قتيبة أن رجلا دخل على زياد فقال له : « ان ابننا هلك وان أختنا غضبنا على ميراثنا من ابانا » فقال زياد : « ماضيت من نفسك اكثر مما ضاع من مالك » وأن أعرابياً سمع مؤذناً يقول : « اشهد ان محمداً رسول الله » فقال : « ويحك ، يفعل ماذا ؟ »^(٤) .

(١) نزهة الالباء ص ٧ و تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ١١٠/٧ مطبعة الترقى بدمشق ١٣٥١ هـ وانظر الخصائص لابن جني ٨/٢ وعيون الاخبار وانظر مراتب النحويين ص ٨ هذا وروايات اللحن في هذه الآية لاتتفق على وتيرة ، فمنها ما يجعل هذه القصة في زمن زياد ، وان زياداً هو الذي طلب من أبي الاسود وضع شيء يقيم عوج اللسان الا لحنه فأبى ابو الاسود « فبعت زياد رجلاً يقعد له بطريقه ، وأمره أن يقرأ شيئاً من القرآن ويتعمد اللحن ، فقرأ : « ... أن الله بريء من المشركين ورسوله .. » بالجر ، فاستعظم ذلك ابو الاسود وقال : « عز وجه الله ، ان الله لا يبرأ من رسوله » ثم رجع من فوره الى زياد فقال : « يا هذا قد اجبتك اني ما سألت » انظر كتاب (الفباء) للبلوي ٤٦/١ . ولا يبعد الجمع بين الروايات .

(٢) ارشاد الارب ٧٧/١ وفي ص (٧٨) ان الزهري كان يقول : « ما حدث الناس مروءة احب الي من تعلم النحو » . هذا وقد زعموا ان عمر بن الخطاب كان يضرب اولاده على اللحن ولا يضربهم على الخطأ (ص ٧٩) وان ابنه عبد الله كذلك (ص ٨٩)

(٣) وتتمة الخبر في الاغانى للاصفهاني (١٠١/١١) : انه دخل على امير المؤمنين علي بن ابي طالب فقال : يا امير المؤمنين ذهبت لغة العرب لما خالطت المعجم ، واوشك ان تطاول =

وأن أعرابياً دخل السوق فسمعهم يلحنون فقال : سبحان الله ! يلحنون ويربحون ونحن لا نلحن ولا نربح !»^(١)

وروى الجاحظ أن « أول لحن سمع بالبادية : هذه عصاتي (بدل عصاي) ، وأول لحن سمع بالعراق : حي على الفلاح (بكسر الياء بدل فتحها) »^(٢)

ثم شاع في العصر الأموي حتى تطرق إلى البلغاء من الخلفاء والأمراء كعبد الملك والحجاج . والناس يومئذ تتعاريبه ، وكان مما يسقط الرجل في المجتمع أن يلحن ، حتى قال عبد الملك وقد قيل له (أسرع اليك الشيب) : « شينني ارتقاء المنابر مخافة اللحن »^(٣) . وكان يقول : « ان الرجل يسألني الحاجة فتستجيب نفسي له بها فاذا لحن انصرفت نفسي عنها »^(٤) وكان يرى اللحن في الكلام اقبح من التفريق في الثوب النفيس^(٥) .

والحجاج على أنه من الخطباء الأبناء البلغاء ، كان في طبعه تفرز من اللحن أن يقع منه أو من غيره ، فاذا وقع منه حرص على ستره وابعاد من اطلع عليه منه ، ذكروا أنه سأل يحيى بن يعمر الليثي : « أسمعني لحن على المنبر ؟ » فقال يحيى : « الامير افصح الناس الا انه لم يكن يروي الشعر » قال : « أسمعني لحن حرقاً ؟ » قال « نعم ، في آي القرآن » قال : « فذاك أشنع ؛ وما هو ؟ » قال تقول :

= عليها زمان ان تضمحل » واخبره خبر ابنته .. فأملى عليه : أن الكلام كله لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى . وهذا القول أول كتاب سيبويه . ثم رسم أصول النحو كلها فنقلها النحويون وفعروها ١٠ هـ قلت : هذه احدى روايات مشهورة في اولى النحو . وبعد صفحة نجد ابا الفرج يروي عن ابن ابي الاسود قوله : « أول باب وضعه ابي من النحو : التمعج » . وفي الحادث الذي حفز ابا الاسود على وضع ماوضع روايات عدة قد يأتي بعضها في باب الخلاف وانظر واحدة يرويها الزبيدي في كتابه طبقات النحويين واللغويين ص ١٥ (١) عيون الاخبار ١٥٩/٢ . ومروا أبو عمر بن العلاء بالبصرة فاذا أعدال مطروحة مكتوب عليها : (لا بولان) فقال : « يارب يلحنون ويرزقون » لبناء الرواة ٣١٩/٢

(٢) البيان والتبيين ٢١٩/٢

(٣) مخطوطة الظاهرية من تاريخ دمشق لابن عساكر رقم ٢٢ تاريخ ج ٥ الورقة ١/٤٩٠

(٤) من رسالة للجاحظ في صناعة القواد ، ص ٢٦٠ (رسائل الجاحظ جمع السندوي

(٥) عيون الاخبار ١٥٨/٢ ومن قول ابنه مسleme « اللحن في الكلام اقبح من الجدري في الوجه »

« قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها أحب اليكم من الله ورسوله .. » (١) تقرأها (أحب) بالرفع ، فأنتف الحجاج ان يطلع له رجل على لحن فبعث به الى خراسان (٢) . وكان الحجاج يعجب بفصاحة يحيى هذا فسأله يوماً : « اخبرني عن عنبسه بن سعيد : أيلحن؟ » قال : « كثيراً » قال : « أفأنا لحن ؟ » قال : « لحناً خفيفاً » قال : « كيف ذلك؟ » قال تجعل (أن : لحن) و (لحن : أن) ونحو ذلك . قال : « لاتساكني ببلد ، اخرج » (٢) وكان الرجل إذا أراد أن يفلت من عمل للحجاج عاذ باللحن فنجوا (٣) وهؤلاء تطرق اليهم قليل من اللحن لبعدهم عن قومهم في الجزيرة مع انهم نشؤوا فيها وترعرعوا واكتهلوا ، فلما كان من بعدهم عظم فشو اللحن فيهم حتى كان من اعظم المصائب في نفس عبد الملك أن ابنه الوليد لحانة ، وأنه أخذه بتعلم العربية فلم يفلح . ونقلوا عن عبد العزيز بن مروان الامير الاموي المعروف وهو أخو عبد الملك لحناً ، على ان عبد العزيز هذا وهو من أفصح الناس كان « يعطي على العربية ويحرم على اللحن ، حتى قدم عليه زوار من اهل المدينة وأهل مكة من قريش فجعل يقول للرجل منهم : « من أنت ؟ » فيقول : « من بني فلان . » فيقول للسكران : « أعطه مئتي دينار .. »

(١) سورة التوبة ٩ / ٢٤ .

(٢) تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٤ / ٦٥ (روضة الشام ١٣٣٢ هـ) وطبقات

النحويين واللغويين ص ٥ .

ذكر ابن قتيبة : ان الحجاج أم قوماً فقرأ « والماديات ضبعا » وقرأ في آخرها : « أن ربهم بهم يومئذ خير » ينصب (ان) ثم تنبه على أنلام في (الحخير) وأن (ان) قبلها لاتكون الا مكسورة فحذف اللام من (الحخير) فقرأ : « أن ربهم بهم يومئذ خير » . - عيون الاخبار ١٦٠ / ٢ . ومع هذا فقد روي عن الاصمعي قوله : « أربعة لم يلحنوا في جسد ولا هزل : الشعبي وعبد الملك والحجاج بن يوسف وأبن القرية ، والحجاج افصحهم - أمالي الزاجي ص ١٥

(٣) في اشاد الارب (٨٧ / ١) : بعث الحجاج الى والي البصرة : ان اخترلي عشرة من عندك فاخترار رجالاً منهم كثير ابن ابي كثير وكان رجلاً عربياً ، قال كثير : فقلت في نفسي : « لأفنت من الحجاج الا باللحن . » فلما ادخلنا عليه دعاني فقال : « ما اسك ؟ » قلت : « كثير » قال : « ابن من ؟ » قلت : « ابن ابا كثير » فقال : « عليك لعنة الله وعلى من بعث بك ، جئوا في قتاه . » فأخرجت

الإحتجاج

في اللغة العربية

الاحتجاج

- ١ - مقدمة تاريخية ، - ٢ - العلوم التي يحتاج لها ٣ - من يحتاج به ،
٤ - ما يحتاج به ، ٥ - بعض قواعد في الاحتجاج ، ٦ - خاتمة .

(١)

مقدمة تاريخية

يراد بالاحتجاج هنا إثبات صحة قاعدة ، أو استعمال كلمة أو تركيب ،
بدليل ثقلي صح سنده الى عربي فصيح سليم السليقة على ماسيأتي تفصيله
في موضعه .

وإنما احتاج القوم الى الاحتجاج لما خافوا على سلامة اللغة العربية بعد
أن اختلط اهلها بالاعاجم إثر الفتوح وسكنوا بلادهم وعاشوهم ، ونشأ
عن ذلك بسنة الطبيعة أخذ وعطاء في اللغة والافكار والاخلاق
والأعراف . وتنبه أولو البصر الى ان الامر آيل الى إفساد اللغة وضياع
العصية من جهة ، والى التفريط في صيانة الدين من جهة ثانية ، اذ كانت
سلامة أحكامه موقوفة على حسن فهم المستنبط لنصوص القرآن الكريم
والحديث الشريف ، وكان في ضعف العربية تضيق لهذا الفهم .
يعتبر اللحن الباعث الاول على تدوين اللغة وجمعها ، وعلى استنباط

حتى جاءه رجل من بني عبد الدار فقال : « من أنت ؟ » فقال : « من بنو عبد الدار » فقال : « تجدها من جائزتك » وقال لكتابه : « أعطه مئة دينار » (١)

وهذا معاوية بن بجير والي البصرة تشغله لجنة الناعي عن مصيئته بأبيه فقدّم انكارها فانت تجد مما تقدم ان الحوف على العربية له ما يبرره من النذر ، وانه تمكن في النفوس حتى تضافرت جهود العلماء وذوي السلطان على صيانة العربية ، وأن الحرمان

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (مخطوطة الظاهرية رقم ٢٢ تاريخ ج ٥ الورقة ٤٥٠/١) . هذا ومن المفيد ذكر الباعث على عناية عبد العزيز بن مروان بالعربية فقد روى ابن عساكر قبل هذا الخبر أنه « دخل على عبد العزيز رجل يشكو صهراً له فقال : « اب ختني فعل بي كذا وكذا » فقال له عبد العزيز : « من خنتك ؟ » فقال له « ختني الختان الذي يختن الناس » فقال عبد العزيز لكتابه : « ويحك ، بم اجابني ؟ » فقال له : « ايها الامير انك لختت وهو لا يعرف اللحن ، كان ينبغي ان تقول له : « ومن خنتك ؟ » فقال عبد العزيز : « اراني اتكلم بكلام لا يعرفه العرب ، لاشاهدت الناس حتى أعرف اللحن . » فأقام في البيت جمعة لا يظهر ومعه من يعلمه العربية ، فصلى بالناس الجمعة وهو من افصح الناس . » اهـ . قلت : تروى هذه اللحنة للوليد بن عبد الملك : انظر ص ١٤٣ من (نقد النثر) المنسوب لقدامة (مطبعة التألف والترجمة والنشر : القاهرة ١٣٥٩ هـ)

وانظر في لحنه ايضاً البيان والتبيين للجاحظ (٢/٢٠٤) فما بعد (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٦٨ هـ)
أما أمر الوليد الذي مر آنفاً فقد أهم عبد الملك حتى أفضى بذات نفسه يوماً الى روح ابن زنباع قائلاً :

« يا أبا زرعة ، قد غلبني الوليد باللحن ، وسأظهر المشية كآبة فسلني عنها ودعني والوليد » فلما أذن العشاء أظهر كآبة وعنده الوليد وسليمان وروح فقال له روح : « ماهذه الكآبة يا امير المؤمنين ؟ لا يسوءك (الله) ولا يريك مكروهاً ! » قال : ذكرت ما في عنقي من هذه الامة والى من اصيّر امرها بعدي ؟ » قال له روح : يغفر الله لك يا امير المؤمنين . فأين انت عن الوليد سيد شباب العرب ؟ » قال : « يا ابازرعة ، لا ينبغي ان يلي امر العرب الا من يشكلم بكلامها » فقام الوليد فدخل منزله وجمع اليه اصحاب النحو ، فاقام ستة اشهر معهم ، وخرج يوم خرج وهو اجهل بالنعوم منه يوم دخل ، فقال عبد الملك : « قد اجدوا عذر » المصدر السابق ، الورقة ٤٢١/١

واحتج على عبد الملك بلحن الوليد هذا ، فقد ذكر ابن عساكر ان عبد الملك قال لرجل من —

من المال او العمل مما كان يصيب اللعانة ، وأن فصاحة المرء قد ترفعه الى الولايات والغنى وتزيد شأنه عند أولي الامر ؛ وهذا من طرف السلطان كاف في الترغيب والترهيب . وسؤال الحجاج عن لحن بعض الناس ذوي الشأن مشعر باهتمام الحكومة والمجتمع بأمر اللحن . وذلك طبعي من دولة قامت على العصية العربية بعدان رأت اللحن يفسو في الطبقات الرفيعة من الامراء والحكام وأشرف الناس ، وفي قصة بشكست النحوي تعبير واضح عن امرين : فسو اللحن ونظرة المثقفين اليه ، ولا بأس في ارادها ففيها طرافة وفيها ظرف :

« وقد بشكست النحوي على هشام بن عبد الملك ، فلما حضر الغداء دعاه هشام ، وقال لفتيان بني أمية : « تلاحنوا عليه » ، فجعل بعضهم يقول : « يا أمير المؤمنين رأيت ابي فلان .. » ويقول آخر : « مربي أبي فلان .. » ونحو هذا ؛ فلما ضجوا أدخل يده في صحيفة فغمسها ثم طلى لحيته وقال لنفسه : « ذوقي ، هذا جزاؤك في مجالسة الاندال ! » (١)

— قريش : « انك ارجل لولا انك تلحن » فقال : « وهذا ابنك الوليد يلحن » قال عبد الملك : « لكن ابني سليمان لا يلحن » قال الرجل : « واخي فلان لا يلحن ! » الورقة ١/٤٢٤
وكان لا يستطيع تحبب اللحن حتى على المنبر ، ذكره ابو الزناد يوماً فقال : « كان لحناً كأنني أسمع على منبر النبي صلى الله عليه وسلم يقول : يا اهل المدينة ! »
بل كان لا يستطيع تحببه حتى في آيات القرآن : قرأ يوماً على المنبر « يا ليتها كانت القاضية »
وضم التاء ، فقال عمر بن عبد العزيز (وكان تحت المنبر) : « يا ليتها كانت عليك وأراحتنا منك ! »
الورقة ١/٤٢٤ .
وكان عمر بن عبد العزيز هذا أشد الناس في اللحن على ولده وخاصته ورعيته وربما أدب عليه . - إرشاد الاريب ٨٩/١

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (مخطوطة الظاهرية) الجزء السابق الورقة ١/٤٥٤
ثم قال ابن عساكر فيه : « وكان نحوياً أخذ عنه أهل المدينة ، وكان يذهب مذهب الشراة ويكتم ذلك ، فلما ظهر ابو حمزة الشاري بالمدينة (سنة ١٣٠ هـ) خرج معه فقتل فيمن قتل بخلافة مروان بن محمد . » واسمه عبد العزيز القاري وقيل في مقتله : —

الى هذا المدى بلغ أمر اللحن في المئة الاولى للهجرة والدولة عربية محضه ، والعصية ذات سلطان ، والقوم حديثو عهد بحزيرتهم ولا تزال مجتمعاتهم تتناقل القول المشهور (ليس للاحن حرمة) وتتعامل به ، وبيت الخلافة أعرق بيوت قريش شرفاً ومجداً وبلاغة وأقواها عصبية وعروبة. ^(١) فلنحاول تبيان ما اختط أهل العربية من خطط يعالجون بها

— لقد كان يشكست عبد العزيز
فبعداً لبشكست عبد العزيز
من اهل القراءة والمسجد
وأما القرائ فلا يبعد
انظر النسخة الثانية من تاريخ دمشق لابن عساكر (رقم ٣٣٧٤/٩ تاريخ) ١٠ الورقة
٢٠٢ ، والاغاني ١١١/١ و ١٠٨/٢٠ و ١١٠ وإنباء الرواة ١٨٣/٢

(١) هذا ومع ضعف السليقة العربية على الزمن لم يضعف استهجان الخاصة للحن وحسبك هذه الحوادث الاربع رمزاً الى ذلك وكلها في صدر الدولة العباسية :
تكلم ابو جعفر المنصور في مجلس فيه اعرابي فلحن ، فصرّ الاعرابي أذنيه [حددهما مصنياً باهتمام] ، فلحن مرة أخرى أعظم من الاولى فقال الاعرابي : « أف لهذا : ما هذا »
ثم تكلم فلحن الثالثة فقال الاعرابي : « أشهد لقد وليت هذا الامر بقضاء وقدر !! »
وقال سعيد بن سلم : « دخلت على الرشيد فبهرتني هية وجالا ، فلما لحن خفف في عيني »
ودخل رسول والي الكوفة العباس بن محمد بن موسى على طاهر بن الحسين فقال له : « أخيك أبي موسى يقرأ عليك السلام » قال : « وما أنت منه ؟ » قال : « كاتبه الذي يطعمه الخبز » فأمر توما بصرف العباس عن الكوفة إذ لم يتخذ كاتباً يحسن الأداء عنه .

إرشاد الارب ٨٤/١ ، ٨٣ ، ٨٦٠ بتصرف يسير .
بل إن المأمون كان يأخذ عماله بالولم إذا كان في كتبهم إليه لحن وبعد ذلك تقريباً في جانب مقام الخلافة وإليك حديث ابن قادم النحوي الكوفي :

« وجه إلي إسحاق بن ابراهيم المصعب يوماً فأحضرني فلم أدر ما السبب ، فلما قربت من مجلسه تلقاني ميمون بن ابراهيم كاتبه على الرسائل وهو على غاية من الملح والمزعج ، فقال لي بصوت خفي : « إنه إسحاق » ومر غير متلبث ولا متوقف حتى رجع إلي مجلس إسحاق ، فراغني ذلك ، فلما مثلت بين يديه قال لي : كيف يقال : « وهذا المال مالا » أو « وهذا المال مال » ؟ فقلت له : « الوجه (وهذا المال مال) ويجوز (وهذا المال —

استفحال الداء ، وهل كانوا الى الشدة حين شرطوا للاحتجاج تلك الشروط التي أسقطت الاحتجاج بكلام كثير من العرب حتى في زمن الجاهلية ؟

(٢)

العلوم التي يحتاج لها

يحتاج بالكلام العربي لغرضين : غرض لفظي ويدور حول صحة الاستعمال من حيث اللغة والنحو والصرف ، وغرض معنوي لعلاقة له باللفظ . والظاهر أن فريقاً من العلماء حجبوا اسماً فأسقطوا الاحتجاج

— مالا » ، فأقبل إسحاق على ميمون بلفظة وفضاظة ثم قال : « الزم الوجه في كتبك ، ودعنا من يجوز ويجوز » ورمى بكتاب في يده ، فسألت عن الخبر فإذا ميمون قد كتب إلى المأمون وهو ببلاد الروم عن إسحاق وذكر مالا جملة ، فكتب : « وهذا المال مالا » فخط المأمون على الموضوع من الكتاب ووقع بخطه في حاشيته :

« تخاطبني بلحن ؟ ! » فقامت القيامة على إسحاق !! »

فكان ميمون بعد ذلك يقول : « ما أدري كيف اشكر ابن قدام ، أبقى عليّ روعي ونعمتي !! » قال ثعلب راوي الحديث : « فكان هذا مقدار العلم وعلى حسب ذلك كانت الرغبة في طلبه والحذر من الزلل . قال « وهذا المال مالا » ليس بشيء ، ولكن أحسن ابن قدام في الثأني لخلاس ميمون . » — إنباء الرواة ١٥٧/٣ وطبقات النحويين واللفويين للزبيدي ص ١٥٣ .

حتى إذا امتد الزمن خف الاستنكار شيئاً ما فصرنا نرى ثعلباً النحوي « لا يتكلف إقامة الاعراب في كلامه إذا لم يخش لبساً في العبارة » ونرى إبراهيم الحربي وقد ذكر له ذلك يقول : « أين يكون إذا لحن في كلامه ؟ كان هشام النحوي يلحن في كلامه ، وكان أبو هريرة يكلم صبيانه بالبطية » — إنباء الرواة ١٤٠/١

بل كان بعض الأمراء بالبصرة يقرأ (إن الله وملائكته) بالرفع فمضى إليه الأختش ناصحاً له فاتهره وتوعده وقال « تلحنون أمراءكم ؟ ! » — إنباء الرواة ٤٢/٢

بكلام الاسلاميين والمولدين في اللفظ والمعنى جميعاً ، ولم يلتفت الجمهور الى هذا التحجير لعقمه وبعده عن طبيعة الحياة ، بل قصروا الاحتجاج بكلام المولدين على المعاني فقط ، واحتجوا بكلام القدماء في اللفظ والمعنى . وخير من يمثل هؤلاء ابن جني ، فقد احتج في باب المعاني بشعر المتنبي وهو مولد ، ولعله توقع إنكاراً من المتزمين فأتبع احتجاجه بعبارة مقبولة معرّضاً بمذهب التزم هذا ، قال في صدد كلامه على مجيء القول والكلام مما لا يعقل :

« قال عنتره :

لو كان يدري : ما المحاورة ؟ اشتكى ولـ كان - لو علم الكلام - مكلمي
وامثله شاعرنا (يعني المتنبي) آخرأ فقال :
فلو قدر السنان على لسان لقال لك السنان كما أقول
وقال :

لو تعقل الشجر التي قابلتها مدت محبةً إليك الأغصنا
ولا تستنكر ذكر هذا الرجل - وإن كان مولداً - في أثناء
ما نحن عليه من هذا الموضع ونموضه ، ولطف متسرّبه ، فإن المعاني يتناهبها المولدون كما يتناهبها المتقدمون ، وقد كان أبو العباس (يعني المبرد)
- وهو الكثير التعقب لجة الناس - احتج بشيء من شعر حبيب بن
أوس الطائي في كتابه (الاشتقاق) لما كان غرضه فيه معناه دون
لفظه فأنشد فيه له :

لو رأينا التوكيد خطة عجز ماشفنا الأذان بالتشويب

واياك والخبلية بحتاً ، فإنها خلق ذميم ، ومطعم على علاته وخيم»^(١)
ثم استقر الرأي على ما فصل ابن جني من أئمة المئة الرابعة للهجرة ،
ففضلوا بين العلوم التي يحتاج لها بكلام القدماء والعلوم التي يحتاج لها بكلام
الفصحاء عامة قدماء ومولدين ، وتبلور هذا الرأي وأصبح من المسلمات ،
فهذا عبد القادر البغدادي صاحب خزنة الأدب ومن أعيان العلماء في
المئة الحادية عشرة يعبر عنه بعد سبعة قرون بنقله كلام الرعيني الاندلسي
من علماء المئة الثامنة في شرح بديعية رفيقه ابن جابر ، قال الرعيني :

« علوم الأدب ستة : اللغة والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع ؛
والثلاثة الاولى لا يستشهد عليها الا بكلام العرب (يريد القدماء) دون
الثلاثة الاخيرة فإنه يستشهد عليها بكلام المولدين لأنها راجعة الى المعاني ،
ولا فرق في ذلك بين العرب وغيرهم إذ هو أمر راجع الى العقل ،
ولذلك قبل من أهل هذا الفن الاستشهاد بكلام البحرى وأبي تمام وأبي
الطيب وهلم جرا . »^(٢)

(١) الخصائص ٢٤/١ والتشويب إشارة النادي شوبه وصوته

(٢) خزنة الادب للبغدادي ٢٠/١ (المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤٨ هـ) .

من مخرج

بحث علماء العربية فيمن نقل الرواة عنهم من أهل المدر والوبر قدماء ومحدثين ، وتقصوا أحوالهم ونقدوها ، فاجتمعوا على الاحتجاج بقول من يوثق بفصاحته وسلامته عربيته ، ونحن عارضون لأصناف هؤلاء زماناً ومكاناً وأحوالاً :

فأما الزمان فقد قبلوا الاحتجاج بأقوال عرب الجاهلية وفصحاء الاسلام حتى منتصف القرن الثاني سواء أسكنوا الحضر أم البادية . أما الشعراء فقد صنّفوا أصنافاً أربعة : جاهليين لم يدركوا الاسلام ، ومخضرمين أدركوا الجاهلية والاسلام ، وإسلاميين لم يدركوا من الجاهلية شيئاً ، ومحدثين أولهم بشار بن برد^(١) . والاجماع انعقد على صحة الاستشهاد بالطبقتين الاوليين واختلفوا في الطبقة الثالثة ، وذهب عبد القادر البغدادي صاحب خزنة الادب الى جواز الاستشهاد بها^(٢) اما الطبقة الرابعة فلا يستشهد بكلامها في علوم اللغة والنحو والصرف خاصة . وكان آخر من يحتج بشعره على هذا الاساس بالاجماع ابراهيم بن هرمة

(١) الاقتراح ص ٣٢ .

(٢) خزنة الادب ٢٠/١

(٧٠ - ١٥٠ هـ) الذي ختم الاصمعي به الشعر^(١) . أما أهل البادية فقد استمر العلماء يدونون لغاتهم حتى فسدت سلائقهم في القرن الرابع الهجري . وعلى هذا « أجمعوا على أنه لا يحتاج بكلام المولدين والمحدثين في اللغة والعربية »^(٢) .

وأما المكان أو عبارة أخرى القبائل ، فقد اختلفت درجاتها في الاحتجاج على اختلاف قربها أو بعدها من الاختلاط بالأهم المجاورة ، فاعتمدوا كلام القبائل في قلب جزيرة العرب ، وردوا كلام القبائل التي على السواحل أو في جوار الأعاجم ، واليك تصنيف أبي نصر الفارابي لهم في الاحتجاج :
أ - « كانت قريش أجود العرب انتقاء^(٣) إلا أفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق ، وأحسنها مسموعاً وأبينها إبانة عما في النفس .

(١) الاقتراح للسيوطي ص ٢٢ (مطبعة المعارف بحيدر آباد ١٣١٠ هـ) . هذا وبعضهم يرى الاحتجاج بالطبقة الرابعة مستدلاً باستشهاد سيويه بشعر بشار بن برد في (الكتاب) ، ويرد المعارضون بأنه إنما فعل ذلك خوفاً من لسانه .
(٢) المصدر السابق ص ٣١ وقد مال الزمخشري الى استثناء أئمة العربية من ذلك داعياً الى جعل الوثوق بكلامهم كالوثوق بروايتهم .

(٣) قال ابن فارس : (وكانت قريش مع فصاحتها .. اذا أتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم ، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات الى نهائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب .) -
الصاحبي ص ٢٣ (المطبعة السلفية بالقاهرة) .

والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدي وعندهم أخذ اللسان العربي
من بين قبائل العرب هم :

قبس ونيم وأسرفان هؤلاء هم الذين أخذ عنهم أكثر ما أخذ ومعه
وعليهم اتكل في الغريب وفي الأعراب والتصريف .

ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من
سائر قبائلهم (١) .

ب - وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري ولا عن سكان البراري ممن
كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم :

لم يؤخذ من قوم ولا من جذام فإنهم كانوا مجاورين لأهل مصر والقيبط .

ولا من قضاة ولا من غسان ولا من إماء فإنهم كانوا مجاورين لأهل

الشام وأكثرهم نصارى يقرؤون بصلاتهم بغير العربية .

ولا من تغلب ولا النمر فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية .

ولا من بكر لا أنهم كانوا مجاورين للنبط والفرس .

ولا من عبد القيس لا أنهم كانوا من سكان البحرين محالطين

للهند والفرس ،

(١) ومع هذا فلم تكن لغات هؤلاء بالمرضية دائماً : قال الحسن البصري يوماً

(توضيت) فقل له : (أتلحن يا أباسعيد !؟) فقال (لأنها لغة هذيل وفيها فساد) .

انظر كتاب (الف باء) للبلوي ١ / ٤٦ .

ولا من أُردهم لخالطتهم للهند والفرس ،
ولا من أهل اليمن أصلاً لخالطتهم للهند والحبشة ولولادة الحبشة فيهم .
ولا من بني ضيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف وسكان الطائف
لخالطتهم تجار الأُمم المقيمين عندهم .
ولا من حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفوه حين ابتدؤوا
ينقلون لغة العرب ، قد خالطوا غيرهم من الأُمم وفسدت ألسنتهم ..^(١)

(١) الاقتراح للسيوطي ص ٢٢ نقلاً عن كتاب الفارابي (الالفاظ والحروف) .
هذا وقد أورد الجاحظ في كتابه البيان والتبيين مقابلة طريقة بين لغات أهل
مكة والبصرة والكوفة ، يفيد إيرادها في شرح الظاهرة المذكورة أعلاه ، قال الجاحظ :
(أهل الامصار إنما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب ، ولذلك نجد الاختلاف
في الفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر .. وقال أهل مكة لمحمد بن مناذر الشاعر
(ليست لـكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة ، إنما الفصاحة لنا أهل مكة .) فقال
محمد بن مناذر : (أما ألفاظنا فأحكى الالفاظ للقرآن وأكثرها موافقة له ، فضعوا
القرآن بعد هذا حيث شئتم : أنتم تسمون القدر برمة وتجمعون البرمة على برام ، ونحن
نقول (قدر) ونجمعها على قدور ، وقال الله عز وجل (وجفان كالجواب وقدور راسيات)
وأنتم تسمون البيت (عليّة) وتجمعون هذا الاسم على علالي ونحن نسميه (غرفة)
ونجمعه على غرف وغرفات ، وقال الله « غرف من فوقها غرف مبنية » وقال : « هم في
الغرفات آمنون » ، وأنتم تسمون الطلع (الكافور والاغريض) ونحن نسميه الطلع
وقال الله « ونخل طلعا هضيم » ... فقد عشرين كلمات لم أحفظ أنا منها غير هذا .
ألا ترى أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا بالفاظ من
ألفاظهم ، ولذلك يسمون البطيخ (الحبرز) ويسمون ... الخ . =

وكان هذا التصنيف حازا القبول وجرى عليه العمل وكان الخروج عليه مدعاة إلى النقد ، ولما اعتمد ابن مالك على لغات لحم وجدام وغسان ، تعقبه باللوم ابو حيان فقال في شرح التسهيل : « ليس ذلك من عادة أئمة هذا الشأن ^(١) » .

وأما أحوال هؤلاء العرب المحتج بهم فخيرها ما كان أعمق في التبدي وألصق بعيشة البادية ، ولذا كان مما يفخر به البصريون على الكوفيين أخذهم عن الأعراب اهل الشيخ والقيصوم وحرشة الضباب وأكلة اليراسيع ويقولون للكوفيين « أخذتم عن أكلة الشواريز وباعة الكواميخ ^(٢) » . وقد نص الفارابي بعد قوله المتقدم آنفاً على صناعة

= وكذا أهل الكوفة يسمون المسحاة : (بال) وبال بالفارسية : ولو علق ذلك لغة أهل البصرة إذ نزلوا بأدنى بلاد فارس وأقصى بلاد العرب كان ذلك اشبه ، إذ كان أهل الكوفة نزلوا بأدنى بلاد النبط وأقصى بلاد العرب . ويسمى أهل الكوفة الحوك (البقلة الحقاء) بأذرج والباذرج بالفارسية والحوك كلمة عربية . وأهل البصرة إذا التقت أربع طرق يسمونها (مربعة) ويسمونها أهل الكوفة (جهارسو) والجهار بالفارسية . ويسمون السوق او السويقة وازار والوازار بالفارسية . ويسمون القضاء خياراً والحيار فارسية . ويسمون المجذوم ويذي بالفارسية . - ١٨ / ١٨ .

وهذه الامثلة التي طغى فيها الاثر الاجتماعي على الاثر الجغرافي تدرك الحافز لعلماء العربية على اسقاط من أسقطوا في الاحتجاج من العرب في الجاهلية والاسلام .

(١) الاقتراح ص ٢٤ .

(٢) الشيراز اللبني المصفى ، والسكامخ : ادام - انظر القاموس المحيط .

هؤلاء الاعراب وصفاتهم فقال : « كانت صنائع هؤلاء التي بها يعيشون
الرعاية والصيد والصوصية ، وكانوا أقواهم نفوساً وأقساهم قلوباً وأشدهم
توحشاً وأمنهم جانباً وأشدهم حمية وأحبهم لأن يغلبوا ولا يغلبوا ،
وأعسرهم انقياداً للهلك ، وأجفاهم أخلاقاً وأقلهم احتمالاً للضيم والذلة . »^(١)

وتستطيع ان تجعل مرد الامر كله - بعدما تقدم لك - الى الوثوق
من سلامة لغة المحتج به وعدم تطرق الفساد اليها ، وهذا هو الضابط في
التصنيف الزمني والمكاني للذين مرا بك ، فأنت تعلم إسقاط العلماء
الاحتجاج بشعر أمية بن أبي الصلت وعدي بن زيد العبادي^(٢) وحتى
الاعشى عند بعضهم ، لمخالطتهم الاجانب وتأثر لغتهم بهذه المخالطة ، حتى
حمل شعرهم عدداً غير قليل من ألفاظ ومصطلحات لا تعرفها العرب ، وكل

(١) الاقتراح ص ٢٤ .

(٢) اسقاط الاحتجاج في اللغة لا يؤثر في الشعرية ؛ وعلى هذا ينبغي أن يفهم

انكار القاضي الجرجاني زعم الاصمعي :

« زعم الاصمعي ان العرب لا تروي شعر أبي دؤاد وعدي بن زيد ، لأن ألفاظهما

ليست بتجديدية) ، وكيف يكون ذلك وهذا معاوية يفضل عدياً على جماعة الشعراء ،
وهذا الخطيئة يسأل : من أشعر الناس ؟ فيقول الذي يقول وأنشد لأبي دؤاد :

لا أعد الاقتار عدماً ولكن فقد من قد ززئته الاقتار .. الخ الايات »

الوساطة ص ٤٩ .

هؤلاء شعراء جاهليون^(١)؛ بينما يذهب فريق الى الاحتجاج بكلام الشافعي المتوفى في القرن الثالث للهجرة ، حتى نص الامام أحمد بن حنبل على أن (كلام الشافعي في اللغة حجة)^(٢) لسلامة نشأته وتقلبه في البيئات العربية السليمة . قيل لبشار : « ليس لأحد من شعراء العرب شعر الا وقد قال فيه شيئاً استنكرته العرب من ألفاظهم وشك فيه ، وإنه ليس في شعرك ما يشك فيه . » قال : « ومن أين يأتيني الخطأ ؟ ولدت هاهنا ونشأت في حجور ثمانين شيخاً من فصحاء بني عقيل ما فيهم أحد يعرف كلمة من الخطأ ، وإن دخلت إلى نساءهم فنساؤهم أفصح منهم ، وأئيفعت فأبدت الى أن أدركت ؛ فمن أين يأتيني الخطأ^(٣) . »

(٢) مع هذا لا بد من بعض التسامح فان التدقيق والتقصي لا يسلم عليهما كثير من كلام المحتج بهم : هذا الكميت والطرماس روي أنهما كانا « يسألان العجاج عن الغريب ثم يراه في شعرهما موضوعاً في غير موضعه ، فقل له : « ولم ذاك ؟ » قال : « لأنهما قرويان يصفان ما لم يريا فيضانه في غير موضعه وأنا بدوي أصف ما رأيت فأضعه في موضعه . » — الاغاني ١٧/٢ بل ان الاصمعي كان يقول في الكميت : « جرمقاني من جراميق (عجم) الشام لا يحتج بشعره » وينكر مواضع من شعر الطرماس ويلحن ذا الرمة . — انظر الوساطة للقاضي الجرجاني ص ٩ . بل ذهب الجرجاني في باب (اغاليط الشعراء ص ٤ من الوساطة) الى أنه لا توجد قصيدة واحدة من كل تلك الدواوين الجاهلية والاسلامية « تسلم من بيت أو أكثر لا يمكن لعائب القدر فيه » اهـ . وما أشبه هذا بالحق .

(٣) الاقتراح ص ٢٤ .

(٤) الاغاني ٢٦/٣ طبعة الساسي .

وكلمة بشار هذه دليل قاطع على وجود بيئات في المدن سليمة اللحن
ازمنه في المئة الثانية للهجرة .

ويعجبني كثيراً قول ابن جني في هذا الموضوع في باب (ترك الأخذ عن
أهل المدر كما أخذ عن أهل الوبر) :

« علة امتناع ذلك ماعرض للغات الحاضرة وأهل المدر من الاختلال
والفساد والخطأ ، ولو علم أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم ولم يعترض
شيء من الفساد لغتهم لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر ،
وكذلك أيضاً لو فشا في أهل الوبر ماشاع في لغة أهل المدر من اضطراب
الأسنة وخبالها وانتقاض عادة الفصاحة وانتشارها ، لوجب رفض لغتها
وترك تلقي ما يرد عنها ، وعلى ذلك العمل في وقتنا هذا لأننا لنكاد نرى
بدوياً فصيحاً ، وإن نحن آنسنا منه فصاحة في كلامه لم نكد نعدم ما يفسد
ذلك ويقدح فيه .. » ^(١) .

(١) الخصائص ٥/٢ ثم ذكر ابن جني أدلة على فساد سليقة الأعراب في زمنه
فقال : « وقد كان طراً علينا أحد من يدعي الفصاحة البدوية ويتباعد عن الضعفة
الخرسانية ، فتلقينا أكثر كلامه بالقبول له ، وميزناه تمييزاً حسن في النفوس موقفه إلى أن انشدني
يوماً شعراً لنفسه يقول في بعض قوافيه (اشأؤها . وأدأؤها) [بوزن أشعها وأدعها]
فجمع بين الهمزتين كما ترى . واستأنف من ذلك ما لا أصل له ، ولا قياس يسوغه ، نعم
وأبدل إلى الهمز حرفاً لاحظ أنه في الهمز ، بضد ما يجب ، لأنه لو التقت همزتان عن
وجوب صنعة للزم تغيير أحدهما . فكيف أن يقلب إلى الهمز قلباً ساذجاً عن غير
صنعة ملاحظ له في الهمز ، ثم يحقق الهمزتين جميعاً هذا ما لا يبيحه قياس ولا ورد
بمثله سماع ... الخ .

ما يحتاج به

نقسم الكلام المحتج به إلى أقسام ثلاثة نتكلم على كل منها بالترتيب
تيسيراً للبحث :

١ — القرآن الكريم ؛ ٢ — الحديث الشريف ؛ ٣ — كلام العرب

١ — لم يتوفر لنص ما تتوفر للقرآن الكريم من تواتر رواياته ، وعناية
العلماء بضبطها وتحريرها متناً وسنداً ، وتدوينها وضبطها بالمشافهة عن أفواه
العلماء الأثبات الفصحاء الأئمة من التابعين ، عن الصحابة ، عن الرسول
صلى الله عليه وسلم ؛ فهو النص العربي الصحيح المتواتر المجمع على تلاوته
بالطرق التي وصل إلينا بها في الأداء والحركات والسكنات ، ولم تعن أمة
بنص ما اعتنى المسلمون بنص قرآنهم .

وعلى هذا يكون هو النص الصحيح المجمع على الاحتجاج به في اللغة
والنحو والصرف وعلوم البلاغة ، وقراءاته جميعاً الواصلة إلينا بالسند
الصحيح حجة لا تضاهيها حجة . أما طرقه المختلفة في الأداء فهي كذلك ،
إذ أنها مروية عن الصحابة وقراء التابعين ، وهم جميعاً ممن يحتاج بكلامهم
العادي بله قراءاتهم التي تحروا ضبطها جهد طاقتهم كما سمعوها من رسول
الله ، ولا ننسى بعد ذلك : أن أئمة القراء كأبي عمرو بن العلاء والكسائي
ويعقوب الحضرمي هم أئمة في اللغة والنحو أيضاً . وقد جرى عرف العلماء

على الاحتجاج برواياته سواء أكانت متواترة أم روايات آحاد أم شاذة .
والقراءة الشاذة التي منع القراء قراءتها في التلاوة يحتاج بها في اللغة والنحو (١) ،
إذ هي - على كل حال - أقوى سنداً وأصح نقلاً من كل ما احتج به
العلماء من الكلام العربي غير القرآن . ولئن كان القراء أسقطوا القراءة بها
لعدم وثوقهم أنها قراءة النبي نفسه ، إن على علماء اللغة والنحو أن يعضوا
عليها بالنواجز ؛ إذ كان روايتها إلا علون عرباً فصحاء سليمة سلائقهم ،
تبنى على أقوالهم قواعد العربية . وأنت تعرف أن النحاة يحتاجون بكلام
من لم تفسد سلائقهم من تابعي التابعين ، فلائن يحتاجوا بقراءة أعيان
التابعين والصحابة أولى ، ورجحان قراءات القرآن في حجيتها اللغوية والنحوية
على شواهد النحاة عُرِفَ قديم تعاوده العلماء .

وهنا أمر ينبغي التنبيه إليه بشيء من التفصيل ، فالحق أن موقف النحاة
من النصوص العربية حين وضعهم القواعد فيه خلل واضطراب من الناحية
المنهجية ، وأن موقف القراء علمياً ومنطقياً ومنهجياً أسديد متسق واليك البيان :
أقل ما يشترط القراء لصحة القراءة شروط ثلاثة :

١ - صحة السند بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) .

(١) انظر الاقتراح للسيوطي ص ١٧ .

(٢) مذهب الأصوليين وفقهاء المذاهب الاربعة والمحدثين والقراء أن التواتر
شرط في صحة القراءة ولا تثبت بالسند الصحيح غير المتواتر ولو وافقت رسم المصاحف =

٢ — موافقتها رسم المصحف المجمع عليه .

٣ — موافقتها وجهاً من الوجوه العربية .

وكثيراً ما صرحوا في مناسبات عدة أن القراءة سنة متبعة وأنهم لا تخضع لغير السماع الصحيح . أما القراءة الشاذة عندهم فما توفر فيها صحة السند وموافقة العربية وتخلف الشرط الثاني ، أو التواتر من الشرط الاول ؛ وهذه هي التي منعوا القراءة بها في الصلاة ، وقد ظهر لك إذاً أن القراءة الشاذة لا يقدح في الاحتجاج بها عربية قادح ، فمخالفة الرسم بزيادة كلمة أو نقص حرف لا تؤثر في صحة بناء القواعد عليها . هذا وخير تعبير عن منهج القراء قول أحد أئمتهم أبي عمرو الداني :

« وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الألف في اللغة ، والأقيس في العربية ، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل ، والرواية إذا ثبتت عنهم لم يردّها قياس عربية ولا فشو لغة ، لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها . » ^(١)

= العثمانية ووافقت العربية . — ص ٦ من غيث النفع للصفاقسي (بذيل شرح الشاطبية لابن القاصح المسمى سراج القارئ المبتدى وتذكّار المقرئ المنتهى — مطبعة مصطفى محمد — الطبعة الاولى (١٣٥٢هـ) قلت : ومع شبه الاجماع هذا نقل السيوطي في (الاتقان) ما يفيد أن كثيرين لم يشترطوا التواتر مكثفين بالمشهور من الطرق (انظر ص ٧٥ المطبعة الازهرية سنة ١٣٤٣ هـ) .

(١) النشر في القراءات العشر ١/١٠ .

هذا دستور القراء أثبتوه في كتبهم وكانوا في تطبيقه على غاية من الدقة والامانة ، فكانوا منهجين منطقيين قولاً وعملاً ؛ فهل كان النجاة كذلك؟ الحق أن النقد يجد في صف النجاة وفي قواعد نحوهم ثغراً عدة ينفذ منها إلى الصميم ، فهم يريدون بناء قواعدهم على كلام العرب فيجمعون نتفاً نثرية وشعرية من هذه القبيلة ومن تلك ، من أعرابي في الشمال إلى امرأة في الجنوب ، ومن شعر لا يعرف قائله إلى جملة غير منسوبة ، يجمعون هذا إلى أقوال معروفة مشهورة ، ويضعون قواعد تصدق على أكثر ما وصل إليهم بهذا الاستقراء الناقص الذي لا يستند إلى خطة محكمة في الجمع ، ثم يسددون هذه القواعد بمقاييس منطقية يريدون اطرادها في الكلام ، حتى إذا أتت بعضهم قراءة صحيحة السند تخالف قاعدته القياسية ، طعن فيها وإن كان قارئها أبلغ وأعرب من كثير ممن يحتاج النحوي بكلامهم !! فلا استقراؤه كامل أو كاف ، ولا لشواهد التي استند إليها بعض ماللقراءة الصحيحة من القوة ، ولا اللغة تخضع للمقاييس المنطقية التي ابتدعها . وخير ما يصف اضطراب موقفهم هذا قول الرازي :

« إذا جوزنا إثبات اللغة بشعر مجهول ، فجواز اثباتها بالقرآن العظيم أولى ، وكثيراً ما ترى النحويين متحيرين في تقرير الألفاظ الواردة في القرآن ، فإذا استشهدوا في تقريرها ببیت مجهول فرحوا به ، وأنا شديد التعجب منهم فإنهم إذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقها دليلاً

على صحتها ، فلا ن يجعلوا ورود القرآن دليلاً على صحتها كان أولى^(١) .
وصحيح قوز ابن حزم في الفصل : « من النجاة من يتزع من المقدار
الذي يقف عليه من كلام العرب حكماً لفظياً ويتخذ مذهباً ، ثم تعرض
له آية على خلاف ذلك الحكم فيأخذ في صرف الآية عن وجهها » .
وقال في موضع آخر :

« ولا عجب أعجب ممن إن وجد لامرئ القيس أو لزهير أو لجريز
أو الحطيثة أو الطرماح أو لأعرابي أسدي أو سُلمي أو تميمي أو من سائر
أبناء العرب لفظاً في شعر أو نثر جعله في اللغة ، وقطع به ، ولم يعترض
فيه ، ثم اذا وجد لله تعالى خالق اللغات وأهلها كلاماً لم يلتفت اليه ولا
جعله حجة وجعل يصرفه عن وجهه ويحرفه عن موضعه ويتجمل في إحالته
عما أوقعه الله عليه ! »

والمنهج السليم في ذلك أن يمعن النجاة في القراءات الصحيحة السند ،
فما خالف منها قواعدهم صححوا به تلك القواعد ورجعوا النظر فيها ،
فذلك أعود على النحو بالخير . أما تحكيم قواعدهم الموضوعة في القراءات
الصحيحة التي نقلها الفصحاء العلماء فقلب للاوضاع وعكس المنطق إذ
كانت الروايات الصحيحة مصدر القواعد لا العكس .

وسيتضح لك مجافاة بعضهم للعلم والحق ، وتعصبهم الذي نستطيع رد

(١) تفسير فخر الدين الرازي ١٩٣/٣ .

بعضه إلى جهلهم بفن القراءة وتاريخها، بهذه الامثلة التي تثبت وجوب إعادة النظر فيما قعدوا من قواعد ووضعوا من مقاييس :

١ - زعم النحاة أن العرب استغنت عن ماضي (يدع) ومصدرها بماضي (ترك) ومصدرها ، فلم يردا في فصيح كلامها ^(١) .

وأتى بها ابن جني شاهداً لضرب خاص من الكلام فقال : « فإن كان الشيء شاذاً في السماع مطرداً في القياس تحاميت ماتحات العرب من ذلك وجريت في نظيره على الواجب في أمثاله ، من ذلك امتناعك من (وذر) و (ودع) لأنهم لم يقولوها ، ولا غرو أن (لا) تستعمل نظيرهما نحو وزن ووعد لو لم تسمعهما ، فأما قول أبي الاسود :

ليت شعري عن خليلي ما الذي غاله في الحب حتى ودعه
فشاذ ، وكذلك قراءة بعضهم : « ما ودعك ربك وما قلى » ^(٢) .
وهم في أقوالهم هذه متهافتون خارجون على أصولهم التي أصّلوها
أنفسهم ، واليك البيان :

أولاً — من المتفق عليه عند اللغويين والنحاة أنه لم يصل إلينا من كلام العرب الا القليل ولو جاءنا وافرأ لجاء علم كثير ، ومن المتفق عليه

(١) انظر مادة (ودع) في لسان العرب وتاج العروس .

(٢) الخصائص ١ / ٩٩ وكذلك ذهب سيويه إلى ان ماضي (يدع) لم يستعمل

(الكتاب ٢ / ٢٥٦) . وسترى أنه استعمل .

عندهم « أن اللغة إذا وردت في القرآن فهي أفصح مما في غير القرآن ».
ثانياً — بعد هذا نرى أن ما ذهب إليه النحاة واللغويين غير صحيح ،
فقد استعمل الكلمة أبو الاسود في بيته السابق ، ووردت في
قول الشاعر .

و ثم ودعنا آل عمرو وعامر فرائس أطراف المثقفة السمر ^(١)
والعلماء يثبتون استعمال الكلمة بشاهد واحد إذا لم تخالف القياس ،
وكلمة (ودع) على ما مر بك من كلام ابن جني مطردة في القياس ، أما
قوله (شاذة في الاستعمال) فيحبطها اعتراف النحاة بضالة ما انتهى الينامن
كلام العرب وأن أحكامهم عامة مبنية على الاستقراء الناقص ، وورودها
مع ذلك في شعر أبي الاسود وشعر شاعر آخر .

ثالثاً — نأتي الآن الى قراءة التخفيف في قوله تعالى (ماودعك ربك
وما قلى) فقد قرأها كذلك عروة بن الزبير وابنه هشام وهما من هما ،
بل ان الغريب في ذلك أن ابن جني نفسه نص في كتابه (المحتسب) على
أنها قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ^(٢) !

وفي الباب للصاغانى : وقد اختار النبي صلى الله عليه وسلم أصل هذه
اللغة فيما روى ابن عباس أنه قرأ (ماودعك) مخففة ، وكذلك قرأ

(١) انظر تفسير الكشاف للزخشري ٧٦٦/٤ (مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٦٥هـ)

(٢) انظر كتاب القراءات والاهجات ض ١٤٧ .

عروة ومقاتل وأبو حيوة وابن أبي عبة ويزيد النحوي^(١).
هذا وفي النهاية لابن الأثير (وهو معجم لألفاظ الحديث) تحت
مادة (ودع) حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه استعمال المصدر الذي
زعموا أنه أميت وهو قوله : « لينتهين قوم عن ودعهم الجمعات أو ليختن
على قلوبهم » .

والطريف أن بعض المحققين ممن تأخر زمانه عن أولئك صحح خطأهم
فأثبت صاحب المصباح هذه اللغة الفصيحة في معجمه واستنكر ادعاءهم
الإماتة فقال : « ودعته أدعه ودعاً تركته ... وزعمت النحاة أن العرب
أماتت ماضي يدع ومصدره واسم الفاعل ، وقد قرأ مجاهد وعروة ومقاتل
وابن أبي عبة ويزيد النحوي « ما ودعك ربك » بالتحفيف ، وفي الحديث :
« لينتهين قوم عن ودعهم الجمعات .. » فقد رويت هذه الكلمة عن أفصح
العرب ، ونقلت من طريق القراء فكيف يكون إماتة ؟ »^(٢) ومثل
ذلك تجده في معجم (المغرب) للمطرزي^(٣) .

(١) انظر كتات القراءات واللهجات ص ١٤٧

(٢) مادة (ودع) في : (المصباح المنير) ، و (المغرب) .

وقد رأيت بعد صدور الطبعة الأولى لهذا الكتاب حديثاً آخر فيه (ودع) وذلك
بصدد الكلام عن عيينة بن حصن وأنه هو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم :
« إن شر الناس من ودعه الناس اتقاء شره » . انظر الروض الانف للسبلي ١٨٧/٢

وبذلك ترى تسرب الوهي الى بعض أحكامهم إذ كانت خطتهم
ينقصها الإحكام في المنهج والكفاية في الاستقراء معاً ، وكان عليهم قبل
إرسالها استيعاب قراءات القرآن على الأقل والاحتجاج بها .

٢ — من المعروف في العربية ان حرف العلة الزائد في الرباعي
(صحيفة . عجوز ، سحابة) يقلب همزة في التكسير : (صحائف عجائز
سحائب) ، فلما تواترت القراءة عن نافع المدني وابن عامر الدمشقي وهما
إمامان عظيمان من أئمة القراء في قوله تعالى (وجعلنا لكم فيها معاش)
بأهمز — وهي غير قراءة الجمهور — قرروا أنها خطأ ، وغالى المازني منهم
فقال : « إن نافعاً رحمه الله لم يدر ما العربية ؟ »^(١) . وخطأً همزها جميع نحاة
البصرة على ما قال الزجاج .

وكان علي نحاة البصرة تصحيح قاعدتهم أو تذييلها بأن العرب ربما
حملت الحرف الأصلي على الزائد فعاملته معاملةته إذ كان شبيهاً به في اللفظ^(٢)
ثم عليهم أن يستشهدوا على ذلك بقراءة نافع هذه . وبذلك يزيد مذهبهم
إحكاماً وانسجاماً مع أصوله التي أهمها البناء على السماع الصحيح . وأي

(١) صبح الاعشى ١ / ١٧٩ وانظر كلام الحفاجي على هذه الآية في حاشية البضاوي .

(٢) احتج على النحاة بتواتر قول العرب (مصائب ومناثر) وهما مثل (معاش)

في كون همزتهما مقلوبة عن حرف أصلي لا زائد ، فلم يسع النحاة إلا المسكارة
والحمل على الشذوذ .

سماع أصبح من قراءة نافع وابن عامر والأعرج والأعمش وزيد بن علي رواية عن عثمان بن عفان عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهؤلاء الرواة فصحاء بمنابتهم ، علماء بتحصيلهم سلقيلون عاشوا ولم يتطرق الفساد الى ملكائهم . وتعجبي كلمة أبي حيان في تفسيره تعقياً على نقل الزجاج المتقدم : « ولسنا متعبدين بأقوال نحاة البصرة » لأن اللغة تثبت بالنقل لا بالمقاييس المبنية على الاستقراء الناقص .

٣ - « كان أهل الشام يقرؤون (إبراهيم) بألف في مواضع دون مواضع (وهي لغة أهل الشام قديماً) ثم تركوا القراءة بالألف وقرؤوا جميع القرآن بالياء ... فرووا أنه قيل لمالك بن أنس : « إن أهل دمشق يقرؤون (إبراهيم) فقال : « أهل دمشق بأكل البطيخ أبصر منهم بالقراءة » فقيل : « إنهم يدعون قراءة عثمان » فقال مالك : « هام مصحف عثمان عندي » ثم دعا به فإذا فيه كما قرأ أهل دمشق ... وفي سائر المصاحف (إبراهيم) مكتوب بالياء في جميع القرآن إلا في البقرة فإنه بغير ياء »^(١)

٤ - تدخل لام الأمر على المضارع الغائب في الأعم الأغلب ، وأنكر قوم دخولها على غيره ، ولم يكن لهذا إلا نكار قيمة ما إذ « احتج على جواز إدخالها على المضارع المبدوء بتاء الخطاب بالقراءة الشاذة » فبذلك

(١) القراءات والاهجات ١٠٩ - ثبت ان بصر اهل دمشق بالقراءة لا يقل

عن بصرهم بأكل البطيخ .

فلتفرحوا ، كما احتج على إدخالها على المبدوء بالنون بالقراءة المتواترة :
« .. ولنحمل خطاياكم .. » (١)

٥ - وقال فريق : لا يجوز تسكين لام الأمر بعد (ثم) إلا في
ضرورة الشعر . وقد أسقط المحققون هذا الحكم محتجين بالقراءة المتواترة :
« ثم ليقطع » « ثم ليقتضوا تنفسهم » فقد قرأ جمهور القراء السبعة
بتسكين اللام ، (٢) .

نكتفي بهذه الأمثلة الصرفية ذاكرين مثالين نحويين :

٦ - قال السيوطي : « كان قوم من النحاة المتقدمين يعيرون على عاصم
وحمة وابن عامر قراءات بعيدة في العربية (قلت : يعني العربية الصناعية
التي وضعوها) وينسبونهم إلى اللحن ، وهم في ذلك مخطئون فإن قراءاتهم
ثابتة بالأسانيد المتواترة الصحيحة التي لا مطعن فيها ، وثبت ذلك دليل
على حوازه في العربية ، وقد رد المتأخرون ، منهم مالك ، على من عاب
عليهم ذلك بأبلغ رد ، ... من ذلك احتجاجه على جواز العطف على الضمير
المجروح من غير إعادة الجار بقراءة حمزة :

(١) الاقتراح للسيوطي ١٧ .

(٢) نظرة في النحو للرحوم طه الراوي : مجلة المجمع العلمي العربي ١٤/ ٣٢٣
وانظر الاقتراح ص ١٨ . هذا وتامم الآية الأولى :

« من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم
ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ » سورة الحج ١٥/ ٢٢ والآية الثانية : « ثم
ليقتضوا تنفسهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » سورة الحج ٢٢/ ٢٩

« .. واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً »^(١) .

وقبل ابن مالك علق الفخر الرازي على هذه القراءة وعلى منع المانعين لجوازها وعلى تجويز سيديها لها بيتين مجهولي القائل بقوله : « ... لأن حمزة أحد القراء السبعة ، والظاهر أنه لم يأت بهذه القراءة من عند نفسه بل رواها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك يوجب القطع بصحة هذه اللغة ، والقياس يتضاءل عند السماع ، لاسيما بمثل هذه الأقيسة التي هي أوهى من بيت العنكبوت » ثم تعرض لاستشهاد سيديها السابق فقال : « والعجب من هؤلاء النحاة أنهم يستحسنون إثبات هذه اللغة بهذين البيتين المجهولين ولا يستحسنون إثباتها بقراءة حمزة ومجاهد ، مع أنهما من أكابر علماء السلف في علم القرآن ! »^(٢) .

٧ - في كتاب الإيصال لابن الأنباري^(٣) تفصيل الخلاف بين البصريين والكوفيين حول الفصل بين المتضايقين بغير الظرف والجار والمجرور ، فقد منعه البصريون وأجازه الكوفيون محتجين بقراءة ابن عامر المتواترة :

« وكذلك زين الكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم ،

(١) الاقتراح ص ١٧ والآية هي الأولى من سورة النساء

(٢) تفسير الرازي ٣ / ١٩٣

(٣) ٢٤٩ / ١

لِيرُدُّوهُمْ وَلِيلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِيْنَهُمْ لَوْ شَاءَ اللّٰهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ
وَمَا يَفْقَرُونَ» (١)

ولكن البصريين من النجاة تسرعوا فوهّوا هذه القراءة تعصباً
لمقاييسهم النظرية . ومع أن القراءة ليست فُهم ففد حملهم التعصب على
القطع في مسألة من غير فهم ، لتسلم لهم قواعد وضعوها دون استقرار
واف . فقد قالوا: إن المضاف والمضاف اليه في علم الشيء الواحد والكلمة
الواحدة فلا يفصل بينهما بأجنبي، وإنما جاز الفصل بالظرف والجار والمجرور
لأننا نتسامح فيها مالا نتسامح في غيرها (٢) وهذا قول قد يتسق لو أن
اللغة اخترعوها هم واخترعوا لها مقاييسها . أما واللغة سماع فقو لهم لا ينهض
حجة في شيء . ومن الذي أوحى اليهم أن المضاف والمضاف اليه بمنزلة
الكلمة الواحدة ؟ وهلا فصلوا جزءي الكلمة الواحدة بالظرف والجار
والمجرور كما فعلوا بالمتضايدين إذا كان الامر فيهما — كما يقولون —
واحداً ؟ (٣)

(١) سورة الانعام

(٢) انظر الانصاف لابن الانباري ٢٥٠ / ١

(٣) تستطيع ادراك الوهي في امثال هذه الحجج المرتجلة إذا رجعت الى ص ٢١٨
من المصدر السابق نفسه حيث ترى البصريين انفسهم ينقضون ما قرروا هنا فيقولون
عن الكوفيين : « وأما قولهم : (إن المضاف والمضاف اليه بمنزلة الشيء الواحد
فجاز ترخيّمه كالمفرد) قلنا : هذا فاسد لأنه لو كان معتبراً لوجب ان يؤثر النداء في
المضاف اليه البناء كما يؤثر في المفرد . فلما لم يؤثر النداء فيه البناء دل على فساد مذهبهم
اليه » — اهـ . وهكذا يرد البصريون على انفسهم .

ليس غريباً أن يكون هذا من النحاة في القرن الثاني وما بعده في زمن انقسام المدرستين وتحزب الأشياع لهما في عهد البدء بتدوين النحو ، ولكن الغريب أن يتم تدوين النحو وتدوين غيره من العلوم كالنفسير والحديث والقراءات واللغة ، وتحزب مسائلها ، ويمضي الزمن على ذلك حتى تنضج وتحترق - كما يقولون - ، ثم يأتي الزمخشري في المئة السادسة (توفي سنة ٥٣٨) وهو العالم المفسر النحوي البليغ ، فيرى لنفسه الحق أن يرسل الأحكام في فن لم يتقنه إتقان أهله ، فيرد هذه القراءة المتواترة بكلام خطابي هذا نصه :

وأما قراءة ابن عامر (قتل أولادهم شركائهم) برفع القتل ونصب الأولاد وجر الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء ، والفصل بينهما بغير الظرف ؛ فشيء لو كان في الضرورات وهو الشعر لكان سمجاً مردوداً... فكيف به في الكلام المنشور ؟ فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته !؟ والذي حمله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف (شركائهم) مكتوباً بالياء . ولو قرأ بجر الأولاد والشركاء ، لأن الأولاد شركاءؤهم في أموالهم ، لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب ^(١) .

وفي هذا الكلام زلّتان كبيرتان يتنزه عنهما الشادي في علم القراءات؛ فأما الأولى : ففي جملة الأخيرة المشعرة بأن ابن عامر حرّ في اختراع

(١) تفسير الكشاف ٢ / ٧٠ (مطبعة الاستقامة بالقاهرة سنة ١٣٦٥ هـ)

القراءة ، حتى لقد عجب بعضهم من هذا الجهل الساذج بما هو معروف ضرورة^(١) ، والمقرر البديهي أن القراءة سماع محض لا مجال للاجتهاد فيها ؛ وأما الثانية : فظنه أن القارئ أسير الرسم^(٢) ، وأن الذي حمل ابن عامر على جر (شركائهم) رسمها بالياء في المصحف الشامي ، وهذه شبه تلك في الجملة ، فالقراءة تتلقى مشافهةً بالأسناد ، وهي - عادةً - توافق الرسم ، وليس لقارئ أن يقرأ قراءة لم يتلقها ، وإن وافقت الرسم^(٣) .

وعبد الله بن عامر هذا ، إمام من أعلام القراء وكبار التابعين (١١٨ هـ) ، أحد القراء السبعة وإمام الشاميين في قراءتهم تلقى قراءته عن كبار الصحابة كعثمان بن عفان وغيره وعن كبار التابعين ، وهو بعد ، من صميم العرب الذين يحتجُّ بكلامهم ، وقد تلقى قراءته هذه عن الأثبات وتلقاها عنه المئات ، وهو قاضي دمشق وشيخ مشايخ قرائها ،

(١) انظر كلمة التفتازاني في حاشية الأمير على مغنى اللبيب ٢ / ١٨٨ (الطبعة الثانية - المطبعة الأزهرية بمصر ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٨)

(٢) وكثيراً ما يسهو النحاة في مثل هذه المواقف اذ يرجون بالظن في علم لم يتلقوه ، وانظر مثلاً أمالي ابن الشجري (١ / ٩٢) حين ظن ان وقوف القراء الستة (غير ابي عمرو بن العلاء) على (كآين) بالنون كان اتباعاً لحط المصحف ! مع أنها اللغة الأشيع التي تلقوها عن العرب الثقات شفهاها .

(٣) لما زعم ابن مقسم العطار المقرئ النحوي (- ٣٥٤) « ان كل من صح عنده وجه في العربية لحرف من القرآن يوافق خط المصحف فقراءته جائزة في الصلاة وغيرها . » أنسكروا عليه - انظر لبناء الرواة ج ٣ / ١٠١ الحاشية (١) .

وإمام جامعها الأعظم على عهد عمر بن عبد العزيز^(١)، وكان علي الزمخشري وهو أعجمي تخرج بقواعد النحاة المبنية على الاستقرار الناقص، أن يتحرى ليقدر رجل عربي قويم الملكة فصيح اللسان حجة في لغة العرب، شيئاً غير هذه الخطايات .

وعلى هذا تكون هذه القراءة حجة قوية على الفصل بين المتضايين بغير الظرف والجار والمجرور مثل القراءة الثانية في قوله تعالى (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام)^(٢) ويكون هذا الفصل - على ندرته - عربياً قوياً . وكان المنهج السليم يقضي أن يصحح النحاة البصريون قاعدتهم محتجين بهذه القراءة كما فعل الكوفيون ، لا أن يضعوا قراءة متواترة يروونها مئات من فصحاء العرب المحتج بكلامهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبعد ، فقرأت القرآن جميعها حجة في العربية متواترها وآحادها وشاذها ، وأكبر عيب يوجه إلى النحاة عدم استيعابهم إياها ، وإضاعتهم على أنفسهم ونحوهم مئات من الشواهد المحتج بها ، ولو فعلوا لكأن قواعدهم أشد إحكاماً .

(١) نظرة في النحو للمرحوم طه الراوي . مجلة الجمع العلمي العربي ١٤/٣٢٢

(٢) سورة إبراهيم ١٤ الآية ٤٧ . قال الزمخشري في كشافه (٢/٥٦٦)

وقرىء : (مخلف وعده رسله) بجر الرسل ونصب الوعد. وهذه في الضعف كمن قرأ (قتل أولادهم شركائهم) اه وقد علمت آتفاً ما في حكمه هذا من الخطأ .

الحديث الشريف

يراد بالحديث الشريف أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة التي تروي أفعاله أو أحواله أو ما وقع في زمنه ، وقد اشتمل كتب الحديث على أقوال التابعين أيضاً كالزهري وهشام بن عروة وعمر بن عبد العزيز . والذي جعل بعض اللغويين النحويين يثبتون أقوال التابعين هؤلاء مع الرسول والصحابة ثقتهم بصحة صدورها عنهم ، فيحتجون بها في إثبات مادة لغوية أو دعم قاعدة نحوية أو صرفية .

وقد كان من المهج الحق بالمداهة أن يتقدم الحديث سائر كلام العرب من نثر وشعر في باب الاحتجاج في اللغة وقواعد الإعراب ، إذ لا تعهد العربية في تاريخها بعد القرآن الكريم بياناً أبلغ من الكلام النبوي ولا أروع تأثيراً ولا أفعل في النفس ولا أصح لفظاً ولا أقوم معنى ؛ ولكن ذلك لم يقع كما ينبغي لانصراف اللغويين والنحويين المتقدمين إلى ثقافة ما يزودهم به رواة الأشعار خاصة ، انصرفاً استغرق جهودهم ، فلم يبق فيهم لرواية الحديث ودرايته بقية ، فتعللوا لعدم احتجاجهم بالحديث بعلم ، كلها وارد بصورة أقوى على ما احتجوا به هم أنفسهم من شعر ونثر .

ومع إجماع اللغويين والنحاة عامة على أن النبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب قاطبة ، وأن الحديث لا يتقدمه شيء في باب الاحتجاج إذا ثبت

لهم أنه لفظ النبي نفسه ، انقسموا فيما يروى من الأحاديث فريقين :
فريقاً غلب على ظنه أنها لفظه عليه السلام فأجاز الاحتجاج بها ، وفريقاً
غلب على ظنه أنها مروية بالمعنى لا باللفظ ، وإذا لا يجوز الاحتجاج بها .
ونحن عارضون بشيء من التفصيل المذهبين ثم خاتمونا بما نرى أنه الأقرب
إلى الحق مستنديين إلى الحقائق التاريخية ووقائع الحال :

مذهب المانعين :

عبر عنه أبو حيان الأندلسي (٧٤٥ هـ) خير تعبير إذ كان أشدهم
مبالغة فيه ، وإنكاراً على مخالفيه ، ونحن نثبت من كلامه حجة المانعين في
عدم الوثوق بأن المروي لفظ النبي ، ولهذا لم يحتجوا به قال :
« إنما ترك العلماء ذلك لعدم وثوقهم أن ذلك لفظ الرسول صلى الله
عليه وسلم ، إذ لو وثقوا بذلك لجرى مجرى القرآن في إثبات القواعد
السكينة ، وإنما كان ذلك لا مبرر : »

١ - أحدهما أن الرواة جوزوا النقل بالمعنى فتجد قصة واحدة قد
جرت في زمانه صلى الله عليه وسلم فتنتقل بألفاظ مختلفة كحديث :
« زوجتكها بما معك من القرآن »

وفي رواية أخرى « ملكتكها بما معك من القرآن »

وفي الثالثة « خذها بما معك من القرآن »

وفي الرابعة : « أمكننا كها بما معك من القرآن » ..

فنعلم يقيناً أنه صلى الله عليه وسلم لم يلفظ بجميع هذه الألفاظ ، بل

لا نجزم بأنه قال بعضها إذ يحتمل أنه قال لفظاً آخر مرادفاً لهذه الالفاظ فأتت الرواة بالمرادف ولم تأت بلفظه إذ المعنى هو المطلوب ؛ ولا سيما مع تقدم السماع وعدم ضبطه بالكتابة والاتكال على الحفظ ، والضابط منهم من ضبط المعنى وأما ضبط اللفظ فبعيد جداً ولا سيما في الأحاديث الطوال . . . ومن نظر في الحديث أدنى نظر علم العلم اليقين أنهم إنما يروون بالمعنى .

٢ — الأمر الثاني : أنه وقع اللحن كثيراً فيما روي من الحديث ، لأن كثيراً من الرواة كانوا غير عرب بالطبع ، ولا يعلمون لسان العرب بصناعة النحو ، فوقع اللحن في كلامهم وهم لا يعلمون ذلك . وقد وقع في روايتهم غير الفصح من لسان العرب ، ونعلم قطعاً غير شك بأن رسول الله كان أفصح الناس ، فلم يكن ليتكلم إلا بأفصح اللغات وأحسن التراكيب وأشهرها وأجزها ، وإذا تكلم بلغة غير لغته فانما يتكلم بذلك مع أهل تلك اللغة . . . » (١)

هذا دفاع أشدهم حماسة في المنع أوردته على ما فيه من مبالغة لتكون على علم بمذهبهم جملة وتفصيلاً . وأبو حيان أقام النكير على ابن مالك صاحب التسهيل لاحتجاجه بالحديث ، فاحتج عليه بما تقدم وبأن الواضعين الأولين لعلم النحو المستقرين للأحكام من لسان العرب كأبي عمرو بن

العلاء وعيسى بن عمر والحليل وسيدويه من أئمة البصريين ، والكسائي
والفراء وعلي بن مبارك الأحمر وهشام الضرير من أئمة الكوفيين لم
يفعلوا ذلك ، وتبعهم على هذا المسلك المتأخرون من الفريقين وغيرهم
من نخاة الأقاليم كنجاة بغداد وأهل الأندلس^(١) . وسترى أن هذا
الزعم لا يقف على رجليه لأن أئمة موثقين من المتقدمين احتجوا
بالحديث فلم يكن ابن مالك بدعاً في أئمة النحو .

مذهب المجيزين :

هذا هو الأصل ، ونجد الاحتجاج بالحديث ماثلاً معاجم اللغة ،
فنظرة إلى معاجم (التهذيب للأزهري) و(الصاحح للجوهري) و(المخصص
لابن سيده) و(المجمل ، ومقاييس اللغة لابن فارس) و(الفائق لازمخشري)
كافية لدحض ما ادعى أبو حيان ، بل قد عد ابن الطيب^(٢) من أصحاب هذا
المذهب من النخاة : ابن فارس وابن خروف وابن جني وابن بري والسهيلي ، بل
إنه قال : لا نعلم أحداً من علماء العربية خالف في هذه المسألة إلا ما أبداه
الشيخ أبو حيان في شرح التسهيل وأبو الحسن الضائع (- ٦٨٠) في شرح
الجل ونابهما على ذلك الجلال السيوطي (- ٩١١)^(٢) .

ولا عجب في أن يتدارك المتأخرون ما فات المتقدمين ، بل إن ذلك
هو المنتظر المعقول ، إذ كان العالم من الأوائل يعلم روايات محدودة

(١) المصدر السابق

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية ١٩٩/٣ بحث (الاستشهاد بالحديث) للسيد محمد الحضر حسين

وخيرهم من صنف مفردات اللغة في موضوع واحد كالأصمعي مثلاً .
ثم جاءت طبقة بعدهم وصل إليها كل ما صنف السابقون فكانت أوسع
إحاطة ، ثم جاءت طبقة بعد طبقة ، وألفت المعاجم المحيطة بكل ما اطلع
عليه أصحابها من تصانيف ونصوص غاب أ كثرها عن الأولين فكانوا
أوسع علماً ، ولذلك نجد ما لدى المتأخرين من ثروة نحوية أو لغوية أو
حديثية شيئاً وافراً مكنهم من أن تكون نظرتهم أشمل وأحكامهم أسد .
ولو كانت هذه الثروة في أيدي الأقدمين كأي عمرو بن العلاء
والأصمعي وسيدويه . . لعضوا عليها بالنواجذ ولغيروا - فرحين مغتبطين -
كثيراً من قواعدهم التي صاحبها - حين وضعها - شح المورد . ولكانوا
أشد المنكرين على أبي حيان جموده وضيق نظرتة وانتجاعه الجذب ،
والخصب محيط به من كل جانب .

ثم أتى الإمام ابن مالك (- ٦٧٢) فأكثر من الاستدلال بما وقع
في الأحاديث على إثبات القواعد الكلية في لسان العرب ولا سيما في
كتابه (التسهيل) إكثاراً ضاق به أبو حيان شارح (التسهيل) غير مرة ،
حتى غلا في بعض هذه المرات فقال « والمصنف قد أكثر من الاستدلال
بما ورد في الأثر متعقباً بزعمه على النحويين وما أمعن النظر في ذلك (!!)
ولا صعب من له التمييز !!! ^(١) » كذا قال ! .

(١) انظر الاقتراح للسيوطي ص ١٩ - ٢١

ثم جاء ابن هشام (- ٧٦١ هـ) تلميذ أبي حيان ونقيضه في مذهبه
إزاء الاستشهاد في الحديث ، يكثر من الاحتجاج به في كتبه ما وجد إلى
ذلك سبيلاً كغيره من النحاة ، حتى لفت نظر مترجميه فنصوا على أنه
« كان كثير المخالفة لشيخه أبي حيان ، شديد الانحراف عنه » (١)

وهؤلاء يردون اعتراضات المانعين في سهولة ويسر :

فأما المانع الأول وهو تجويز الرواية بالمعنى فيجبون عليه بأن الأصل
الرواية باللفظ ، ومعنى تجويز الرواية بالمعنى أن ذلك احتمال عقلي فحسب
لا يقين بالوقوع ، وعلى فرض وقوعه فالمغير لفظاً بلفظ في معناه عربي
مطبوع يحتاج بكلامه في اللغة ، ونحن نعرف مقدار تحري علماء الحديث
وضبطهم لألفاظه ، حتى إذا شك راوٍ عربي بين (على وجوههم) و (على
مناخرهم) (٢) أثبتوا شكه ودونوه مبالغة في التحري والدقة . هذا إلى
جانب كثير من الرواة صحابة وتابعين دونوا الأحاديث من عهد النبي
صلى الله عليه وسلم ، فهذا عبد الله بن عمرو بن العاص كان يكتب الحديث
حياته رسول الله ، وكذلك روي عن عبد الله بن عمر ، وأنس بن مالك ،
وسهل بن سعد الساعدي من الصحابة الكرام . وهذا عمر بن عبد العزيز

(١) بغية الوعاة ص ٢٩٣

(٢) في الحديث « وهل يكتب الناس في النار على وجوههم (أو قال على
مناخرهم) الا حصائد السنتهم . » انظر الحديث (٢٩) في الأربعين النووية .

(١٠١ -) يكتب إلى الآفاق أن : « انظروا ما كان من حديث رسول الله أو سنته فاكتبوه » ، ثم كان الزهري (١٢٤ -) وابن أبي عروبة (١٥٦ -) والربيع بن صبيح (١٦٠ -) ممن دونوا الحديث كتابة . ثم شاع التدوين في الطبقات التي بعد هؤلاء ، وهذا كاف في غلبة الظن بأن الذي في مدونات الطبقة الأولى لفظ النبي نفسه ، فإن كان هناك إبدال لفظ بمرادفه فإنما أبدله عربي فصيح يحتاج به . وإن وقع بعد ذلك شك في بعض الروايات من غلط أو تصحيف فنزير يسير لا يقاس أبداً إلى أمثاله في الشعر وكلام العرب ، فكثير من الأشعار نفسها رويت بروايات مختلفة ، وبعضها موضوع وربما كان ما فطنوا إلى وضعه منه أقل من القليل ، وجاز عليهم أكثر الموضوع إذ كان واضعه قد أحسن المحاكاة ، قال الخليل بن أحمد : « إن النحارير ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب إرادة اللبس والتعنت . »^(١)

وأنتم تحتجون بهذا الشعر والنثر على عجزه وبجَره ، هذا من حيث المتن ، وأما من حيث السند فقد عرف المحيزون والمانعون أن ما في روايات الحديث من ضبط ودقة وتحري لا يتحلى ببعضه كل ما يحتاج به النحاة واللغويون من كلام العرب .

وأما المانع الثاني وهو وقوع لحن في بعض الأحاديث المروية ، فهو

(١) الصاحبي ص ٣٠ المطبعة السلفية بالقاهرة

شيء - إن وقع - قليل جداً لا يبنى عليه حكم ، وقد تنبه إليه الناس و تحاموه ولم يحتاج به أحد ، ولا يصح أن يمنع من أجله الاحتجاج بهذا الفيض الزاخر من الحديث الصحيح إلا إن جاز إسقاط الاحتجاج بالقرآن الكريم لأن بعض الناس يلحن فيه . وأنت تعرف إلى هذا أنهم قد تشددوا في أخذ الناس بضبط ألفاظ الحديث ، حتى إذا لحن فيه شاذ أو عامي أقاموا عليه النكير ، بل إن بعضهم ليدخله النار بسببه ، وكان هذا التشديد تقليداً متوارثاً في حملة الحديث حتى يومنا هذا . وانظر إن شئت ما أثبتته في هذا الموضوع أحد أعلام الشام السيد جمال الدين القاسمي (- ١٣٣٢ هـ) :

« من قرأ حديث رسول الله وهو يعلم أنه يلحن فيه سواء كان في أدائه أم في إعرابه ، يدخل في هذا الوعيد الشديد (يعني قوله صلى الله عليه وسلم : من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) لأنه يلحنه كاذب عليه . » ^(١) اهـ .

قلت : حتى الذين يروونه بالمعنى يعظمون أمر اللحن في الحديث : فهذا إمام أهل الشام الأوزاعي يقول : « أعرّبوا الحديث فإن القوم كانوا عرباً » ، ويقول : « لا بأس بإصلاح اللحن في الحديث . » وهذا

(١) قواعد التحديث من فن مصطلح الحديث ص ١٥٦ دمشق مطبعة ابن زيدون

حماد بن سلمة يقول : « من لحن في حديثي فليس يحدث عني . » وإليك هذه السلسلة :

عن الحسن بن علي الحلواني قال : « ما وجدتم في كتابي عن عفان لحناً فأعربوه فإن عفان كان لا يلحن » وقال لنا عفان : « ما وجدتم في كتابي عن حماد بن سلمة لحناً فأعربوه فإن حماداً كان لا يلحن . » وقال حماد : « ما وجدتم في كتابي عن قتادة لحناً فأعربوه فإن قتادة كان لا يلحن . » — انظر كتاب (الف باء) للبلوي ٤٤/١ .

وأغلب الظن أن من لم يستشهد بالحديث من المتقدمين لو تأخر به الزمن إلى العهد الذي راجت فيه بين الناس ثمرات علماء الحديث من رواية ودراية لقصروا احتجاجهم عليه بعد القرآن الكريم ، ولما التفتوا قط إلى الأشعار والأخبار التي لا تلبث أن يطوقها الشك إذا وزنت بموازين فن الحديث العلمية الدقيقة .

« وأما ما ادعاه أبو حيان من أن المتأخرين من نحاة الأقاليم تابعوا المتقدمين في عدم الاحتجاج بالحديث ، فردود بأن كتب النحاة من أندلسيين وغيرهم مملوءة بالاستشهاد بالحديث ، وقد استدل بالحديث الشريف الصقلي والشريف الغرناطي في شرحيهما لكتاب سيدييه ، وابن الحاج في شرح المقرب ، وابن الجباز في شرح ألفية ابن معطي ، وأبو علي الشلوبين في كثير من مسائله ، وكذلك استشهد بالحديث السيرافي والصفار في شرحيهما لكتاب سيدييه وقال ابن الطيب : « بل رأيت

الاستشهاد بالحديث في كلام ابن حيان نفسه « (١) ،

وجرى على ذلك العلماء حتى عصرنا الحاضر، منهم المرحوم الاستاذ طه الراوي، فقد كان يذهب إلى الاحتجاج بما صح منهادون قيد ولا شرط، ويعرض للذين اعترضوا بوجود أعاجم في رواية بعض الأحاديث فيقول « والقول بأن في رواية الحديث أعاجم ليس بشيء، لأن ذلك يقال في رواية الشعر والنثر اللذين يحتاج بهما فإن فيها الكثير من الأعاجم؛ وهل في وسعهم أن يذكروا لنا محدثاً ممن يعتقد به يمكن أن يوضع في صف (حماد الراوية) الذي كان (يكذب، ويلحن، ويكسر) ومع ذلك لم يتورع الكوفيون ومن نهج منهجهم عن الاحتجاج بمروياته، ولكنهم تحرجوا في الاحتجاج بالحديث ... ثم لا أدري لم ترفع النحويون عما ارتضاه اللغويون من الانتفاع بهذا الشأن، والاستقاء من ينبوعه الفياض بالمعذب الزلال، فأصبح ربع اللغة به خصيباً بقدر ما صار ربع النحو منه جديباً :

وكان حالهما في الحكم واحدة لو احتكنا من الدنيا إلى حكم (٢)
وقبله بقليل عالج هذا الموضوع السيد محمد الخضر حسين في مجلة مجمع

(١) مجلة مجمع اللغة العربية ٢٠٧/٣ بحث السيد محمد الخضر حسين - هذا ويقال لأبي حيان : ابن حيان أيضاً لأن أحد أجداده (حيان) .

(٢) نظرة في النحو (مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ١٤ / ٣٢٥ - ٣٢٧)

اللغة العربية على خير ما يعالجه عالم ثبت مترو وقاض منصف ، وانتهى من بحثه إلى النتيجة المرضية الآتية :

« من الأحاديث ما لا ينبغي الاختلاف بالاحتجاج به في اللغة (والقواعد) وهو ستة أنواع :

أولها - ما يروى بقصد الاستدلال على كمال فصاحته عليه الصلاة والسلام كقوله (حمي الوطيس) وقوله (مات حنف أنفه) وقوله (الظلم ظلمات يوم القيامة) الى نحو هذا من الأحاديث القصار المشتملة على شيء من محاسن البيان كقوله (ارجعن مأزورات غير مأجورات) وقوله (إن الله لا يمل حتى تملوا) .

ثانيها - ما يروى من الأقوال التي كان يتعبد بها ، أو أمر بالتعبد بها كألفاظ القنوت والتحيات وكثير من الأذكار والأدعية التي كان يدعو بها في أوقات خاصة .

ثالثها - ما يروى على أنه كان يخاطب كل قوم من العرب بلغتهم . ومما هو ظاهر أن الرواة يقصدون في هذه الأنواع الثلاثة إلى رواية الحديث بلفظه .

رابعها - الأحاديث التي وردت من طرق متعددة واتحدت ألفاظها ، فإن اتحاد الألفاظ مع تعدد الطرق دليل على أن الرواة لم يتصرفوا في ألفاظها ، والمراد أن تتعدد طرقها إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى الصحابة أو إلى التابعين الذين ينطقون الكلام العربي فصيحاً .

خامسها - الأحاديث التي دونها من نشأ في بيئة عربية لم ينتشر فيها فساد اللغة ، كمالك بن أنس وعبد الملك بن جريج والامام الشافعي .
سادسها - ما عرف من حال رواته أنهم لا يجيزون رواية الحديث بالمعنى مثل ابن سيرين والقاسم بن محمد ورجاء بن حيوة وعلي بن المديني ^(١)
ومن الأحاديث ما لا ينبغي الاختلاف في عدم الاحتجاج به ، وهي الأحاديث التي لم تدون في الصدر الأول وإنما تروى في بعض كتب المتأخرين ...

والحديث الذي يصح أن تختلف الأنظار في الاستشهاد بألفاظه ، هو الحديث الذي دون في الصدر الأول ولم يكن من الأنواع الستة الميئة آنفاً وهو على نوعين : حديث يرد لفظه على وجه واحد ، وحديث اختلف الرواية في بعض ألفاظه :

(١) قلت : لعل ذلك هو الغالب على رجال الحديث وغيرهم ممن يروي الحديث ، ولذا كان اول المرغبات عندهم في تعلم العربية صيانة الفاظ القرآن والحديث من التحريف أولاً وحسن فهمها ثانياً ، قال الاصمعي « ان أخوف ما أخاف على طالب العلم اذا لم يعرف النحو ان يدخل في جملة قول النبي صلى الله عليه وسلم : (من كذب على فليتبوأ مقعده من النار) لانه لم يكن يلحن ؛ فهما رويت عنه ولحنت فيه كذبت عليه . » - اه
مخطوطة الظاهرية لتاريخ دمشق لابن عساكر ٥ / الورقة ٤٨١ / ١ والاصمعي هذا هو الذي كان - على جلالة قدره في اللغة العربية - يتقي ان يفسر حديث رسول الله كيتقي ان يفسر القرآن ! « مبالغة منه في التحري والورع . - انظر الورقة ٤٨٢ / ١ من الجزء نفسه

١ - أما الحديث الوارد على وجه واحد فالظاهر صحة الاحتجاج به ؛ نظراً إلى أن الأصل الرواية باللفظ، وإلى تشديدهم في الرواية بالمعنى. ويضاف إلى هذا كله عدد من يوجد في السند من الرواة الذين لا يحتاج بأقوالهم ، فقد يكون بين البخاري ومن يحتج بأقواله من الرواة واحد أو اثنان وأقصاهم ثلاثة .

ومثال هذا النوع أن الحريري أنكر على الناس قولهم قبل الزوال (سهرنا البارحة) قال : وإنما يقال (سهرنا الليلة) . ويقال بعد الزوال (سهرنا البارحة) اهـ . والشاهد على صحة ما يقوله الناس حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أصبح قال : (هل رأى أحد منكم البارحة رؤيا ؟) وحديث : (وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح — وقد ستره الله — فيقول عملت البارحة كذا .) فقي قوله (إذا أصبح قال: هل رأى أحد منكم البارحة) وقوله (ثم يصبح فيقول عملت البارحة) شاهد على صحة أن يقول الرجل متحدثاً عن الليلة الماضية وهو في الصباح : سهرنا البارحة ، أو وقع البارحة كذا .

٢ — وأما الاحاديث التي اختلفت فيها الرواية ... فنجيز الاستشهاد بما جاء في رواية مشهورة لم يغمزها أحد المحدثين بأنها وهم من الراوي ^(١) ..

(١) مثل لها الأستاذ بكلمة (قام النبي صلى الله عليه وسلم ممثلاً) اي منتصباً ، والمعروف في كلام العرب انما هو (ماثل) . وانظرها في لسان العرب .

وأما ما يجيء في رواية شاذة ، أو في رواية يقول فيها بعض المحدثين : إنها غلط من الراوي ^(١) ، فنقف دون الاستشهاد بها .

وخلاصة البحث أنا نرى الاستشهاد بالفاظ ما يروى في كتب الحديث المدونة في الصدر الأول وإن اختلفت فيها الرواية ، ولا نستثني إلا الألفاظ التي تجيء في رواية شاذة أو يغمزها بعض المحدثين بالغلط أو التصحيف غمزاً لا مردّ له ، ويشدّ أزرنا في ترجيح هذا الرأي أن جمهور اللغويين وطائفة عظيمة من النحويين يستشهدون بالألفاظ الواردة في الحديث ولو على بعض رواياته . ^(٢) اهـ .

٣ - كلام العرب

أما العرب المحتج بهم فقد عرفت من هم في القسم الثالث من هذا البحث بأسباب فلا نعيد منه هنا شيئاً ، فقد اقتصر النحاة على تدوين كلام القبائل الضاريين في وسط الجزيرة : كأسد وقيس وتميم وهذيل ، والذي دُوّن منه كلام لبعض أفراد منهم . فإذا نسبت هؤلاء الأفراد إلى قبائلهم ، ثم نسبت هذه القبائل القليلة إلى قبائل العرب عامة ، عرفت صدق أبي عمرو بن العلاء وصحة مذهبه حين قال :

(١) مثل لها الاستاذ بكلمة (ان كلماته بلغت ناعوس البحر) . وفي بقية الروايات

« قاموس البحر » وناعوس غير معروفة في كلام العرب

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية ٣ / ٢٠٨ - ٢١٠

« ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافرأ لجاؤكم علمٌ وشعر كثير . » ومن نعم النظر في معاجم اللغة وكتب قواعد ما يجد كتب اللغويين أوفر حظاً في الاستشهاد بالشعر والنثر على السواء في إثبات معنى أو استعمال كلمة ؛ ويجد النحاة يكادون يقتصرون على الشعر . وزادت عنايتهم بالشواهد الشعرية مع الزمن ؛ حتى « كان مسجل يروي عن علي بن المبارك الأحمر أربعين ألف بيت شاهداً في النحو »^(١) ، بل كان أبو بكر الأتباري (٣٢٨ —) يحفظ فيما ذكر ثلاثمائة ألف بيت شاهد في القرآن الكريم^(٢) . ونحن إن قابلنا الشواهد النثرية عند هؤلاء وأولئك بالشواهد الشعرية وجدناها ضئيلة جداً ، فإذا أضفت إلى ذلك كله ، حملهم على الضرورة الشعرية كل شعر لم ينطبق على قواعدهم ومقاييسهم^(٣) التي بنوها على استقرار ناقص جداً ، عرفت أن أساس

(١) بغية الوعاة ص ٢٨٢ ، ٣١٨ ، ٣٣٤ .

(٢) طبقات الحنابلة ص ٣٢٨

(٣) بل كان بعض قدماء النحاة لا يستشهد بشعر جرير والفرزدق والاختل ، ولا يتورع عن تلحينهم فيما لا ينطبق على قواعدهم . هذا عبد الله بن إسحق الحضرمي وهو مولى ياجن الفرزدق في قوله :

مستقبلين شمال الشام تضرينا بحاصب من نديف القطن منشور
على عمائنا تلقى ، وأرحلنا على زواحف تزجي ، مخارير

ويقول له : « الا قلت : على زواحف تزجيها محاسير » فيضرب الفرزدق قائلاً « والله لأهجونك بيتك يكون شاهداً على السنة النحويين أبداً » وبهجوه بقوله : =

تلك القواعد والقوانين غير متين من الناحية النظرية على الأقل .

= فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا
الشعر والشعراء ٣٥ » بتحقيق احمد محمد شاكر وانظر خزائن الأدب للبغدادي
٢١٧ / ١ - ٢١٩ » طبع السلفية ومراتب النحويين ص ١٢ فيستمر عبد الله في
تلحينه ذاهماً الى انه ينبغي ان يقول : مولى موال .

ولما سمع قول عثمان البتي الفصيح الرائع المقلب بالعربي لفصاحته الذي قال فيه
يونس : « ماجاءنا عن أحد من روائع الكلام ماجاءنا عن البتي » لما سمع قوله :
كورهاء مشني إليها حليلها

قال : أخطأ عزيزكم : إنما هو : مشنوء . — إنباه الرواة ٢ / ٣٤٤ توفي
البتي سنة ١٤٣ هـ

ومن قبله كان يونس بن حبيب يؤخذ رؤية وإياه العجاج باشتقاقا يشفقانها على
غير القياس عنده حتى ضاق به رؤية وقال له : « علينا أن نقول وعليكم أن تعربوا . »
هذا « وقد ارتقى بعضهم الامر الى تلحين بعض فحول الجاهلية كما وقع لعيسى
ابن عمر . فانه كان يقول : أساء النابغة بقوله : « . . . في انباها السم نافع » وكان
عليه ان يقول « نافعاً » . وعيسى هذا معروف مثل ابن أبي إسحق بأنه كان يطعن
على العرب ويخطيء المشاهير منهم » إنباه الرواة ٢ / ٣٧٥ وطبقات النحويين
واللغويين ص ٢٦

ويقول ابن فارس : « ما جعل الله الشعراء معصومين يوقون الغلط والخطأ ، فما
صح في شعرهم فمقبول ، وما أبتة العربية وأصولها فهو مردود » كقوله :

ألم يأتيك والأنباء تنمي

وقوله : لا جفا لإخوانه مصعباً

وقوله : قفا عند ما تعرفان ربوع

فشكله غلط وخطأ « ١ هـ — مجلة المجمع العلمي العربي ١٤ / ٣٢٧

(٥)

بعض قواعدهم في الاستعجال^(١)

١ - المسموع إما مطرد وإما شاذ. والاطراد والشذوذ أربعة أضرب :
١ - مطرد في القياس والاستعمال معاً ، كرفع الفاعل ونصب
المفعول . وهذا أقوى مراتب الكلام .

٢ - مطرد في القياس شاذ في الاستعمال نحو الماضي من يذر ويدع^(٢) .
وقولهم (مكان مقل) هذا هو القياس ، والاكثـر في السماع (باقل) ،
وكذا مجيء منصوب عسى اسماً صريحاً مثل (عسى زيد قائماً) غير أن
الاكثـر مجيئه فعلاً .

٣ - مطرد في الاستعمال شاذ في القياس ، نحو قولهم : (استجود
استنوق ، استصوب) والقياس الايـلال (استحاذ ..) .

٤ - شاذ في القياس وفي الاستعمال معاً كقولهم : ثوب مصوون ،
وفرس مقوود^(٣) .

« ١ » مقتبسة بتصرف من كتاب « الاقتراح للسيوطي » ص ٢٤ - ٤١

« ٢ » علمت ما في هذا الحكم من خطأ ص ٣٠

« ٣ » تمة قال ابن هشام :

اعلم انهم يستعملون « غالباً ، وكثيراً ، ونادراً وقليلاً ، ومطرداً » فالمطرد
لا يتخلف ، والغالب اكثر الاشياء ولكنه يتخلف ، والكثير دونه ، والقليل دونه ،
والنادر اقل من القليل . فالعشرون بالنسبة الى « ٢٣ » غالب ، والخمسة عشر بالنسبة
اليها كثير لا غالب ، والثلاثة قليل ، والواحد نادر .

٢ - لا تشترط العدالة في العربي المروي عنه وإنما تشترط في الراوي
٣ - يقبل ما ينفرد به الفصيح لاحتمال أن يكون سماع لغة قديمة باد
المتكلمون بها .

٤ - اللغات على اختلافها حجة كلها . ألا ترى أن لغة الحجازيين
في أعمال (ما) ، ولغة التميميين في تركه ؟ كل منهما يقبله القياس ، فليس
لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبها (١) .

٥ - في تداخل اللغات :

إذا اجتمع في كلام الفصيح لغتان فصاعداً كقوله :
وأشرب الماء مابي نحوهُ عطش إلا لأن عيونه سال (٢) وادبها
فقال (نحوهُ) بالاشباع و (عيونه) بالاسكان ... اعتبرتا معاً ، لأن
العرب قد تفعل ذلك للحاجة إليه في أوزان أشعارها وسعة تصرف أقوالها
ويجوز أن تكون لغته إحداهما ، ثم إنه استفاد الأخرى من قبيلة أخرى ..
قال الأصمعي : اختلف رجلان في (الصقر) فقال أحدهما بالصاد وقال
الآخر بالسين ، فتراضيا بأول وارد عليهما ، فحكيا ما هما فيه ، فقال : « لا
أقول كما قلتما ، إنما هو الزقر » ، وعلى هذا يتخرج جميع ماورد من التداخل

(١) قلت : أورد ابن فارس في كتابه « الصاحي » طائفة من هذه اللغات ثم
قال : « . . . وكل هذه اللغات مسبوكة منسوبة الى اصحابها . . . وهي وان كانت لقوم
دون قوم ، فانها لما انتشرت تعاورها كل . » - الصاحي ص ٢٢
(٢) « كذا ، والذي في لسان العرب مادة «ها» : « سئل وادبها » ولعلها الصواب

نحو لغة (قلى ' يقلى ') أخذ ماضيها من لغة (قلى يقلى) ومضارعها من لغة (قلى يقلى ') ومثلها (سلى ' يسلى ') .

٦ - إذا دخل الدليل الاحتمال سقط به الاستدلال .

ردّ أبو حيان بهذه القاعدة على ابن مالك كثيراً في مسائل استدلال بها ، منها استدلاله على قصر (الأُخ) بقوله :

أخاك الذي إن تدعه للممة يجبك بما تبغي ويكفيك من يبغي
فإنه يحتمل أن يكون منصوباً بإضمار فعل (الزم) . وبهذا لا يصح الاستدلال بالبيت على قصر (الأُخ) .

٧ - كثيراً ما تروى الأبيات على أوجه مختلفة ، ويكون الشاهد في بعض دون بعض .

روي قول الشاعر : ولا أرض أبقل إبقا لها

على وجه ثان : ولا أرض أبقلت إبقا لها

بالتذكير مرة ، وبالتأنيث مع نقل حركة الهمزة إلى التاء مرة أخرى ، فإن صح أن القائل بالتأنيث هو القائل بالتذكير ، صح الاستشهاد به على الجواز من غير الضرورة ؛ وإلا فقد كانت العرب ينشد بعضهم شعر بعض ، وكل يتكلم على سجيته التي فطر عليها . ومن هنا تكثر الروايات في بعض الأبيات .

٨ - لا يحتج في اللغة العربية بكلام المولدين والمحدثين ، فابن هرمة

(١٥٠ -) آخر الإسلاميين المحتج بأقوالهم ، وبشار (١٦٧ -) رأس المحدثين

غير المحتج بكلامهم^(١).

٩ - لا يجوز الاحتجاج بشعر ولا نثر لا يعرف قائله إلا إذا رواه عربي ممن يحتج بكلامه^(٢)، مخافة أن يكون لمولد أو لمن لا يوثق بفصاحته، فمثلاً أجاز الكوفيون :

١ - إظهار (أن) بعد (كي) مستشدين بقول الشاعر :

أردت لكيساً أن تطير بقربتى فتركها شناً بيداء بلقع

٢ - وأجازوا دخول اللام في خبر لكن واحتجوا بقول الشاعر :

ولكنني من حبها لعميد

وكلا الرأيين لا ثبت لأن البيت الأول مجهول القائل فلا يحتج به، والشرط الثاني لا يعرف قائله ولا شرطه الأول، وما بني عليهما غير صحيح^(٣).

(٦)

فأتم

الآن ، وبعدما تقدم كله ، نستطيع أن نجمل الرأي في صنيع النحاة

«١» سبق هذا ص ١٧

«٢» انظر القياس في اللغة العربية للسيد محمد الخضر حسين ص ٣٨

«٣» وابن هشام لا يسم دائماً باسقاط الاحتجاج بالمجهول وهذه حجة : «ولو صح ذلك لسقط الاحتجاج بخسين بيتاً من كتاب سيويه فان فيه الف بيت عرف قائلوها وخسين مجهولة القائلين» اهـ . قلت : وليكن ذلك ، وماذا فيه ؟ والمنهج الحق يقتضي هذا الاسقاط .

المتقدمين حول الاحتجاج في النظرات الآتية :

١ - لم يصدروا في تنسيق شواهدهم عن خطة محكمة شاملة ، فأنت تجد في البحث من بحوثهم قواعد عدة ، هذه تستند إلى كلام رجل من قبيلة أسد ، وتلك إلى كلام رجل من تميم ، والثالثة إلى كلمة لقرشي . وتجد على القاعدة تفريعا دعيا إليه بيت لشاعر جاهلي ، واستثناء مبنيا على شاهد واحد اضطر فيه الشاعر إلى أن يركب الوعر حتى يستقيم له وزن البيت . ولعل عذرهم في ذلك أنه ليس لديهم نصوص مصنفة على القبائل ، فلم يُعن الرواة ولا المؤلفون الأولون بأن يذكروا كلام كل قبيلة في نسق ، حتى يأتي النحوي فيستنبط قواعد كل لهجة على حدة خطوة أولى ، ثم يبحث عن الأشيع في لهجات القبائل فيقعّد عليه قواعده . ويصدق عليهم في ذلك تماماً ما يأخذه الأستاذ أحمد أمين على واضعي المعاجم الذين حشروا اللغات واللغيات واللهجات والتصحيقات والضرورات معاً فتضخمت معاجمهم تضخماً زائداً « وكان الأولى أن تستبعد اللغات ويحقق التصحيف وتترك اللهجات ^(١) » ، وإذا لاختصرنا حيزاً كبيراً من معاجمنا . ولزمنا بكثير من البلبلة والفوضى والاضطراب يعانیه متصفح

« ١ » انظر ضحي الاسلام ٣١٩ / ١ . فكثيرا ما تتغاير اللهجات فتضع حرفاً مكان حرف « عتا و عاث » و « الشائع والشاعي » وما إليها خلاف لهجات فحسب ، لكن المدونين جعلوها مواد مستقلة فزادوا في حجم موسوعاتهم زيادة غير قليلة ، والمادة في الاصل واحدة .

هذه المعاجم ، الذي كثيراً ما يحار بين الأقوال والروايات المتضاربة :
أيها يأخذ وأيها يدع ؟

وهذا نفسه فعله النحاة . فلو سئلنا : على لغة أية قبيلة ينطبق نحوكم
الذي تدرسونه اليوم ؟ ما استطعنا تسمية القبيلة باطمئنان ، بل نكون
أقرب إلى دقة إذا أجبنا إنه أسس على خليط لا نظام له مما روي على أنه
تكلمت به العرب .

وعلى أن الخليل بن أحمد رحمه الله وضع بما أوتي من ذهن رياضي علمي
منظم خطة قريبة ، وأخذ نفسه - فيما نظن - بها ، إن الذين أتوا بعده
انحرفوا كثيراً عن المنهج وحشروا في بحوثهم ما قرب وما بعد ، وما صح
ولم يصح ، إرادة المكاثرة والمفاخرة في العلم :

قال رجل للخليل : « أخبرني عما وضعت مما سميت عربية : أيدخل فيه
كلام العرب كله ؟ » فقال : « لا » فقال : « كيف تصنع فيما خالفتك فيه
العرب وهم حجة ؟ » فقال : « أحمل على الأكثر وأسمي ما خالفني
لغات ، » ^(١)

فأنت ترى أن إمام البصريين خط للنحو خطة هي أشبه بالتشذيب
منها بالتنظيم ، فقد أهدر كثيراً مما يتكلم به العرب لتسلم له قواعد غالبية
بقدر الامكان .

وعلى قصور هذه الخطة فقد كان الخير في اتباعها وتعاهدها بالاحكام مع الزمن ، فنهج قريب يتبع بأمانة وإصلاح خير من لا نهج ، وهذا مالم يكن مع الاسف الشديد .

٢ — لم يدرسوا الرواة وأحوالهم ومن منهم الثقة الضابط ومن منهم الوضاع والمخلط ، فلم نعرف عن طبقات رواة اللغة ما عرفنا عن طبقات المحدثين ، ولا حظي فن الرواية اللغوية ببعض ما حظي به فن رواية الحديث ، ومع أن بعضهم حاول تقليد المحدثين في الجرح والتعديل فكان ينص في ترجمة الخليل وأبي عمرو بن العلاء مثلاً على أمانتهما وينص في ترجمة قطرب بما يشعر بكذبه ، ويشير إلى زياد الاصمعي .. إن صنعهم أشبه بتقليد ابتدائي لا علمية فيه .

٣ — لم يحققوا النصوص التي بنوا عليها لا سنداً ولا متناً ، أما السند فكثيراً ما تجد الشاهد في كتبهم منسوباً إلى غير قائله ، وأما المتن فكثيراً ما تجده مروياً عندهم على غير الصحيح ويبنون قاعدتهم على موضع الخطأ منه^(١) . وكان عليهم أن يتقصوا الروايات المختلفة ويحققوها متحرين صحيحها

«١» واليك امثلة على ذلك :

١ — استشهدوا بهذين البيتين :

أردت لكهما أن تطير بقربتي فتركها شنا بيداء بلقع ،
فقال أكل الناس أصبحت ما نجاً لسانك كيما أن تغر وتخدعا

على جواز ورود « أن » بعد « كي » في الشعر ، وقالوا في البيت الاول « كي » —

من زائفها ، وإذا استطيعون الاطمئنان إلى ما يبنون عليها من قواعد .

— اما تعليلية مؤكدة للام ، واما مصدرية مؤكدة بـ «أن» ، ويرى الاخفش أن «كي» حرف جر وأن الناصب للفعل كلمة «أن» اما ظاهرة كما في البيت اثنائي واما مضمرة .

اما البيت الاول فلا يعرف قائله كما تقدم ، ولذا لا يصح الاحتجاج به ، واما البيت الثاني فروايته خطأ ، وقد رآه السيوطي نفسه في ديوان جميل ليس فيه جمع «أن» و «كي» ورواية الديوان : لسانك هذا كي تفر وتخدعا

وإذا لأصل لما ذكروا من جواز ضرورة وتخريج . فلا تجتمع ، «أن» و «كي» في نص صحيح .

انظر معاً : مغني اللبيب لابن هشام . مادة (كي) ، و (أوضح المسالك) للمؤلف نفسه باب نصب المضارع ، وشرح شواهد المغني للسيوطي : (شواهد كي) ص ١٧٣ وشرح شذور الذهب لابن هشام ص ٣٤٧ (مطبعة الاستقامة بالقاهرة) .

٢ — قال سيويه : « ومما جاء من الشعر في الإجراء على الموضع (أي مراعاة المحل لا اللفظ في الاعراب) قول عقبة الاسدي :

معاوي انا بشر فأسجج فلسنا بالجلال ولا الحديد
أدبروها بني حرب عليكم ولا ترموا بها الغرض البعيدا » الكتاب ٣٤/١
وأبيات عقبة هذا مشهورة ، كلها مجرور الآخر منها
أكلتم أرضنا فجردتموها فهل من قائم أو من حصيد

وإذا لاحظت فيها على ما أورده سيويه . وقد حاول بعضهم الاعتذار عن سيويه بأن مقطوعة أخرى فيها هذا البيت ، منصوبة الآخر ومنها البيت الثاني لشاعر آخر هو ابن الزبير الاسدي ، ولا عذر بعد تصريح سيويه بأن شاعره عقبة الاسدي .
انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/٤٥ (بتحقيق احمد محمد شاكر) وخزانة الادب للبغداد ٢/٢٢٥ (طبعة السلفية) .

ويـ حم الله ابن سلام إذ قال « وجدنا رواة العلم يغلطون في الشعر ،
ولا يضبط الشعر إلا أهله » (١)

٤ — تفريطهم بقسم كبير من اللغة حين أهملوا الاحتجاج ببعض
القراءات التي قرئ بها القرآن الكريم ، والاحتجاج بالحديث النبوي
وفي ذلك إهدار لجزء غير يسير من أبلغ الكلام العربي وأعلاه . بل لقد
أخطئوا حين تهاونوا بكتب الامام الشافعي ومن في طبقة من الفصحاء
الذين نشئوا في بيئة سليمة ولم يتطرق الفساد إلى لغتهم ، وهذه إضاعة
أسف لها حتى علماء المشرقيات من الأجانب ، والحق كل الحق معهم ،
فقد ذهبوا إلى أن « بتدوين مثل الشافعي علوم الشريعة إغناء للغة العربية
بوسائل التأديبة ، أكثر مما أغناها به كثير من الشعراء . وهذه الناحية
— مع الأسف — أهملها علماء الشرق إهمالاً تاماً واشتغلوا بشواهد لشعراء

= ٣ — استشهدوا على لغة (أكلوني البراغيث) بالحديث الصحيح :

« يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ... »

وأكثر بن مالك بالاستشهاد به حتى صار يسمى هذه اللغة (لغة يتعاقبون) . ولو

تحرروا الشاهد لعلموا انه مختصر من حديث مطول رواه البزار أوله :

« ان لله ملائكة يتعاقبون فيكم : ملائكة بالليل وملائكة بالنهار .. »

وإذا لاشاهد فيه وبقيت لغة البراغيث) محتاجة الى شاهد صحيح .

— انظر الاقتراح للسيرطي ص ٢٢

(١) طبقات الشعراء ص ٥٠

مجهولين . فكان هذا الاشتغال عبثاً إذا قيس بذلك الإهمال . » (١)

ومما تقدم تعلم أن الصورة التي تتمثل في ذهن من يعالج النحو واللغة في كتبها القديمة غير صحيحة التعبير ولا صادقة عما كانت عليه اللغة العربية شعراً ونثراً ، وستسلم إلى حد بعيد بما ذهب إليه إسرائيل ولفنسون من أن حالة اللغة العربية عند ظهور الاسلام يجب أن تبحث في القرآن أولاً ، ثم في الأحاديث ثانياً ، ثم في الأمثال ثالثاً . . . » ثم في الشعر الجاهلي على تحفظ . » (٢)

إن ما مر بك من هذا البحث حتى الآن عن نقص في النظام والتحري في مرويات اللغويين والنحاة ، يجعلك تسلم بما ذهب إليه هذا العالم دون تردد .

(١) (التطور النحوي) لبرجستراسر (أملاء في كليه الآداب بالجامعة المصرية) ص ١٣٨ . هذا وقد عرف الاقدمون للشافعي قوة سليقته وعلو كعبه في اللغة حتى وصفه عالم من أهل زمانه هو عبد الملك بن هشام صاحب السيرة (٢١٣ -) فقال « جالست الشافعي زماناً فما سمعته تكلم بكلمة الا (اذا) اعتبرها المعتبر لا يجد كلمة في العربية أحسن منها » و « كان قوم من أهل العربية يختلفون الى مجلس الشافعي معنا ويجلسون ناحية ، فقلت لرجل من رؤسائهم : « انكم لاتعاطون العلم فلم تختلفون معنا؟ قالوا : « نسمع لغة الشافعي » . وتصحيح الاصمعي عليه شعر الهزليين مشهور ، عند الأدباء وبحق قال ابن هشام المذكور : « الشافعي لغة يحتج بها » انظر ارشاد الاديب ٢٩٩/١٧ .

(٢) انظر تاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولفنسون ص ٢١٣ - ٢١٧ (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) .

القياس

القياس

١ - من تاريخ القياس والقياسيين . ب - أثر العلوم الدينية فيه .

ح - من احكام القياس . د - المصريون والقياس .

أبرز فرق بين علم اللغة وعلم الصرف والنحو أن الأول طريقه السماع والثاني طريقه القياس ولذلك عرفوا النحو بأنه :

« علم بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب » .

وأدق من ذلك في رأئي قول الكسائي :

« إنما النحو قياس يُتَّبَع » (١) .

إذ لست أعقل النحو إلا استقراء ثم قياساً .

أما القياس نفسه هنا فحمل غير المنقول على المنقول في حكم لعلة

جامعة (٢) وهم يعمدون إليه إذا كان المنقول عن العرب مستفيضاً بحيث

(١) مطلع قصيدة له ذكرها القفطي في ترجمته - انباء الرواة ٢/٢٦٧ وانظرها

في تاريخ بغداد .

(٢) قال ابن الانباري : مثل ان تركيب قياساً في الدلالة على رفع ما لم يسم

فاعله فتقول :

اسم اسند الفعل اله مقدماً عليه فوجب أن يكون مرفوعاً قياساً على الفاعل .

فالفاعل : أصل مقيس عليه ، ونائبه : فرع مقيس ، والحكم الرفع ، والعلة الجامعة

الاسناد . (عن الاقتراح للسيوطي ٤٧) .

يطمان إلى أنه كثير في كلامهم كثرة أرادوا معها القياس عليه .
وسأتناول طرفاً من تاريخه وما أفادت العربية منه ، ثم أتكلم على
أركانه ، ثم أختم بعمل المحدثين فيه وما يرجى للفتنا من فوائده لا يأمننا هذه .

(أ)

من تاريخ القياس

استقرى مدوّنوا النحو ما وصلهم من كلام العرب وراعوا الحكم
السائد في الأعمّ الأغلب منه ، فدققوا علله وصنفوها ثم وضعوا
قوانينهم المطبّرة . ولا شك في أن بعض المنقول من مختلف اللهجات
يخرج على هذه القوانين ، فحاول النحاة تسجيله وتذييل بعض أحكامهم
باستثناءات وتفريعات ، وبذلوا في ذلك جهداً صادقاً حتى لا يشذّ على
قوانينهم شيء ذو بال ، وحتى تكون محيطية بكلام العرب على قدر الإمكان
ومع ذلك شذّت على استثناءاتهم وقبودهم بعض نواذر لا قيمة لها . وإعما
العبرة بما اطرّد في أكثر كلامهم .

كان هناك فريقان من علماء العربية : فريق حاول قصر الناس على
السماع والتزامه والجمود عليه ، فلم يكتب لمذهبه البقاء لمخالفته طبائع الأشياء
ولأنّ من غير المعقول أن يكون كلامنا كله بمفرداته وتراكيبه وارداً
عن العرب ، فالعرب إذا قالت مثلاً (كتب زيد) « فإنه يجوز أن يسند

هذا الفعل إلى عمرو وبشر وأردشير . . إلى ما لا يدخل تحت الحصر وإثبات ما لا يدخل تحت الحصر بطريق النقل محال» (١).

القياسيون : والفريق الثاني هم أهل القياس أصحاب مذهب

« ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب ألا ترى أنك لم تسمع أنت ولا غيرك اسم كل فاعل ولا مفعول وإنما سمعت بعضها فقست عليه غيره» (٢)، وإليهم يرجع الفضل في حياة اللغة الحياة النشيطة حتى أيامنا هذه ، فقد حافظوا على روحها وتعهدوها بالغذاء فزمت وبسقت وأظلت فروعها حضارات مختلفات . ومع انتسابهم جميعاً إلى مذهب القياس يتفاوتون فيما بينهم فيه توسيعاً وتضييقاً .

(١) الاقتراح ص ٤٧ .

(٢) كلمة المازني وأبي علي الفارسي — انظر الخصائص ١ / ٣٥٧ ، ٢ / ٢٥٠)
قال أبو علي « اذا قلت (طاب الحشكُنان) فهذا من كلام العرب لانك باعرا بك اياه قد أدخلته كلام العرب ، ويؤكد هذا عندك أن ما أعرب من أجناس الاعجمية قد أجرته العرب مجرى أصول كلامها ، ألا تراهم يصرفون في غير العلم نحو (آجر ، وإبريسم ، وفرند ، وفيروزج وجميع ما تدخله لام التعريف ، وذلك انه لما دخلته اللام في نحو الديباج والفرند والسهريز والآجر أشبه أصول كلام العرب أعني النكرات فجري في الصرف ومنعه مجراها . » (١ / ٣٥٧) .

الحشكُنان : خالص دقيق الحنطة اذا عجن بشيرج وبسط وملئ بالسكر واللوز والفسق وماء الورد وجمع وخبز ؛ وأهل الشام تسميه المكفن . — تذكرة داود ١ / ١٢٩ ،

والسهريز : ضرب من التمر ، بالوصف والاضافة . — المغرب للجو البقي ١٩٩ .

لم يكن أرباب القياس على بدع من الأمر ، فأصحاب اللغة أنفسهم
 اتبعوا في طردها وتصريفها واشتقاقها بما سبقوا به أرباب القياس أنفسهم
 « فإن الأعرابي إذا قويت فصاحته وسمت طبيعته تصرف وارتجل ما لم
 يسبقه [إليه] أحد قبله » ^(١) هذا رؤبة وأبوه العجاج الراجزان
 المشهوران « إنهما قاسا اللغة وتصرفا فيها وأقدا على ما لم يأت به من
 قبلهما ^(٢) » ؛ « وحكى أنهما كانا يرتجلان ألفاظاً لم يسمعاها ولا سبقا
 إليها ^(٣) » ومن يتصفح شعر الراجزين يجد مصداق هذا القول .

ونحن نجد النزعة إلى تعميم القياس قديمة من أيام الخليل ، كما نجد
 إلى جانبها نزعة محافظة معتدلة يمثلها أمثال ابن قتيبة ، فقد ذهب في مقدمة
 كتابه (الشعر والشعراء) إلى أنه ليس لمتأخر الشعراء « أن يقيس على
 اشتقاقهم فيطلق ما لم يطلقوا » ^(٤) واستشهد لذلك برأي الخليل فقد
 ذكر أن الخليل بن أحمد أتاه رجل فأنشده :

ترافع العز بن فارقنعم

فقال الخليل : « ليس هذا شيئاً » ^(٥) فقال الرجل : كيف جاز

(١) الخصائص ٢/٢٥٠ .

(٢) الاقتراح للسيوطي ص ٥٣ .

(٣) الشعر والشعراء ص ٢٣ تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر (القاهرة ١٣٦٤هـ) .

(٤) وقد اعتذر ابن جني - وهو من رؤوس مدرسة القياس - لمنع الخليل بعذر

فني ، ذلك ان علة المنع كون لام الفعل حرف حلق وتكرير حرف الحلق مستنكر =

للحجاج أن يقول :

تقاعس العزّ بنا فاقعُغَسَّسَا

ولا يجوز لي ؟!

ويروى عن بشار أنه كان يقيس ما لم يرد على ما ورد فرأى العرب
صاغت (فعلى) وصفا فقالت : جَمَزَى من (الجمز) وهو السرعة
فقاس هو أيضاً (فعلى) فقال :

الآن أقصر عن سميّة باطلى وأشار بالوَجَسَلَى علي مشير
وقال : على العزّ لي مني السلام فرما لهوت بها في ظل مُخَضِّلَة زهر
فعاوبه وقالوا « لم يسمع من العرب وَجَسَلَى ولا غَزَلَى »^(١) وقع هذا

= عندهم مستثقل - (انظر الاقتراح للسيوطي ص ٥٣) وقال ابن جني أيضاً : « العرب
لم تبين هذا المثال مما لامه أحد حروف الحلق . (انما هو مما لامه حرف فوي وذلك
نحو اقعنسس واسحنكك واكئندد واعفنجج ، فلما قال الرجل للتحليل (فارفعنا)
أنكر ذلك من حيث أرينا » - الخصائص ١ / ٣٦٢) .

اكئندد : غلظ واشتد . اعفنجج : أسرع .

(١) الموشح للمرزباني ص ٢٤٦ ، وانظر محاضرة الاستاذ احمد امين في مجمع
اللغة العربية في دورة ١٩٤٩ (مدرسة القياس في اللغة) مجلة مجمع اللغة العربية ج ٧
نقل ابن السكيت في كتابه (المقصور والممدد) مايلي :

قال الاصمعي : « لم اسمع (فعلى الا في المؤنث ، الا في بيت لأمية بن ابي عائذ
في المذكر :

كأنني ورجلي اذا رعتها على جري جازيء بالرمال » - المزهري ٧١/٢ الحمار
الجمزي : السريع والجازيء : المكتفي .

وأمثاله في المثة الثانية للهجرة ، فأصبح من الطبيعي أن ينشأ حول القياس أخذ ورد بين المجيزين والمانعين أو بين المجددين والمحافظين ؛ وأن ينتهي هذا الجدل بنشوء مدرسة للقياس لها رسومها ونظمها ، حاولت فرض سيطرتها حتى على أصحاب اللغة فخطئوا بهض الشعراء الجاهليين والاسلاميين وحكموا على آيات بالشذوذ لعدم انطباقها على قواعدهم ، وما بهلاء الفرزدق بـابن أبي اسحق ببعيد عنك فينسى ^(١) ولا خبر عيسى بن عمر ، وعيسى هذا ذكروا انه كان ينزع إلى النصب إذا اختلفت العرب ... وضع كتابه على الاكثر (الاشيع) وبوبه وهذبه ، وسمى ما شذعن الاكثر لغات ^(٢) وان أبي اسحق — على ما قال ابن سلام — « أول من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل ، وكان معه أبو عمرو بن العلاء ، وكان ابن أبي اسحق أشد قياساً وأبو عمرو أوسع علماً بكلام العرب ولغتها وغريبها » ^(٣) وخير ما يمثل اتجاهه جوابه حين سأله يونس : « هل يقول أحد : الصويق — يعني السويق ؟ » قال : « نعم ، عمرو بن تميم تقولها . وما تريد إلى هذا ؟ عليك بباب من النحو يطرد وينقاس . » وهذه عناية القياس تلفت النظر إلى الذهنية القياسية التي وجدت منذ القديم ، وابن أبي اسحق هذا هو الذي قال فيه يونس « لو كان في الناس اليوم أحد لا يعلم إلا علم ابن أبي اسحق يومئذ لضحك منه . ولو كان فيهم من له ذهنه

(١) انظر ص ٤٨ من هذا الكتاب .

وتفاده ونظر نظره لكان أعلم الناس ،^(١)

كان أهم الأعلام في هذه المدرسة حيثُذ الخليل وتلميذه سيويه
وكان من لطيف المصادفات أن تعاصر هذه المدرسة مدرسة أخرى
تشابهها في الفقه هي مدرسة الرأي التي رفع بنائها أبو حنيفة النعمان
وتلاميذه . ولا غرابة في ذلك فالقوم حيثُذ كانوا مدفوعين بحكم
الضرورة إل تأسيس بنيتهم الفكري تلبية لحاجات الحضارة إذ ذاك ،
فقد وضعت في هذا الزمن أسس العلوم ومناهجها ، وانفرد في كل فن
الاختصاصيون فيه يدمون به إلى الأمام ليساير حضارة لا يحظى
بخيرها متخلف .

* * *

من قياس الخليل وسيويه :

لم يكن الخليل أول القياسين في النحو كما لم يكن أبو حنيفة أول
القياسين بالفقه ، بل سبق كلا من شيوخه من ضرب في القياس بسهم ،
لكن كان الخليل فيهم كما قال ابن جني : « سيد قومه وكاشف قناع
القياس في علمه »^(٢) وإذا ذكرت أنه واضع أساس المعاجم وله أول

(١) إنباء الرواة ٢/٢٧٥ ، ١٠٥ ، ١٠٨ وطبقات فحول الشعراء لابن سلام

ص ١٥ وطبقات النحويين واللغويين ص ٢٦ .

(٢) الخصائص ١/٣٦١ .

معجم ألف في العربية ، وأنه بخصب ذهنه ابتكر العروض لقياس الشعر ،
لم تستكثر أن يكون لهذا الذهن تلك المراتة المولدة في النحو ، بحيث
يرجع إليه الفضل في إظهار معالم القياس ووضع رسومه ومناهجه ، وتجد
في كتاب سيديويه أنماطاً كثيرة من قياسه مبعثرة في أبواب شتى . وإليك
نمطاً من صنيعة : نسبت العرب إلى (تهامة) فقالت تهامي على القياس
و (تهام) على غير القياس كما قالت (شامي وشام) وجعلوا ألف (تهام)
بدلاً من إحدى ياءي النسب ؛ قال ابن جني : « فإن قلت : فإن في تهامة
ألفاً فلم ذهبت إلى أن الألف في تهام عوض من إحدى الياءين ؟ »
فقال : « قال الخليل في هذا : إنهم كأنهم نسبوه إلى (فَعَلْ أو فَعِل)
و كأنهم فكروا صيغة تهامة فأصاروها إلى (تَهَم أو تَهَم ثم أضافوا (أي
نسبوا) فقالوا : تهام . » وإنما ميل الخليل بين (فَعَلْ و فَعِل) ولم يقطع
بأحدهما لأنه قد جاء هذا العمل في هذين المثالين جميعاً وهو (الشام
واليمن) . وهذا الترجيم الذي إشرف عليه الخليل ظناً قد جاء به السماع
نصاً : أنشدنا أبو علي : قال أنشدنا أحمد بن يحيى (ثعلب) :

أرقتي الليلة برق بالتهم يالك برقاً من يشقه لا ينم
فانظر إلى قوة تصور الخليل إلى أن هجم به الظن على اليقين ، فهو
المعني بقوله :

(الأثمي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعاً)^(١)

وسيمر بك نمط من قياس سيبويه عندما نصل إلى الفقرة (ح) .
استمر القياس على الطريق التي لحبها الخليل وسيبويه حتى كانت المئة
الرابعة للهجرة فبلغ ذروة مجده بأبي علي الفارسي وتلميذه (ابن جني)
وهض به هذان الإمامان نهضة لم يحظ يمثلها قبلهما ولا بعدهما
حتى اليوم .

من قياس الفارسي :

فأما الفارسي (- بغداد ٣٧٧) فقد عرف فارس والعراق والشام
وأقام طويلاً ببلاد الشام وكان أكثر مقامه بجلب في بلاط سيف الدولة
وطار صيته في النحو وأخذ في القياس يفكر فيه ليله ونهاره ؛ حتى استقام
له منه مذهب وسع الشقة بين الجامدين على السماع وأنصار القياس .
والظاهر أن عشق القياس بهره وأخذ على فكره السبيل ، فصار يمتحن
به كل مسألة تعرض له ، وعلى رسومه يصدر فتاواه ويعتقد آراءه ، وقد
كان الخطأ في خمسين مسألة في اللغة أحب إليه من الخطأ في مسألة واحدة
من القياس كما قال لتلميذه ابن جني ^(١) . وكذلك كان رحمه الله ، فقد
حظيت مدرسة القياس من ثمرات تفكيره بفيض غزير حتى قال ابن
جني « أحسب أن أبا علي قد خطر له وانتزع من علل هذا العلم ثلث

(١) سنة ٣٤٦ هـ - انظر الخصائص ١٨/٢

ما وقع لجميع أصحابنا»^(١) وليس هذا بالقليل . ولعل خير ما يترجم العالم في مثل مقامنا هذا معرفة نمط من منهجه وإنتاجه : ذكر ابن جني أنه شاهد أبا علي غير مرة « إذا أشكل عليه الحرف الفاء أو العين أو اللام ، استعان على علمه ومعرفته بتقليب أصول المثال الذي ذلك فيه ، فهذا أغرب مأخذاً مما تقتضيه صناعة الاشتقاق »^(٢) ونعت هذه الطريقة بأنها « حزنة المذهب والتودد لها وعر المسلك » ... وقد كان أبو علي رحمه الله يراها ويأخذ بها . ألا تراء غلب كون لام (اُثْفِيَّة) - فيمن جعلها أفعولة - واواً على كونها ياء (وإن كانوا قد قالوا « جاء يثفوه ويثفيه ») بقولهم (جاء يثفه) قال : فيثفه لا يكون إلا من الواو ... « فلما وجد فاء (وثف) واواً قوياً عنده في (أثفية) كون لامها واواً فتأنس اللام بموضع الفاء على بعد بينهما »^(٣) « ومن لطيف ما ألقاه - رضي الله عنه - علي أنه سألتني يوماً عن قولهم (هاتِ لا هاتيتَ) فقال : « ما هاتيت ؟ » فقلت : « فاعات ؛ فها ت من هاتيت كعاطٍ من عاطيت » فقال : « أشيء آخر ؟ » فلم يحضر إذ ذاك ، فقال : « أنا أرى فيه غير هذا .. يكون فعليت » قلت : ممه ؟ قال : « من الهوئية وهي المنخفض من الأرض . وكذلك (هيت) لهذا البلد ، لأنه في منخفض من الأرض ، فأصله

(١) ٢٠٨/١

(٢) الخصائص ١٢/١

(٣) ١١/١

(هو تيت) ثم أبدلت الواو التي هي عين (فعليت) وإن كانت ساكنة..
فصار هاتيت وهذا لطيف حسن» (١).

كان ابن جنبي يقرأ على الفارسي كتاباً للمازني ، فلما جاء ذكر قول
أبي عثمان في الالحاق المطرد : « إن موضعه من جهة اللام نحو قعد ،
ورمند وشمل وصنغر . وجعل الالحاق بغير اللام شاذاً لا يقاس
عليه مثل : جوهر ويطر وجدول ... الخ » قال أبو علي :

« لو شاء شاعر أو ساجع أو متسع أن يبنّي بالحاق اللام إسماً وفعلًا
وصفة لجاز له ولـ كان ذلك من كلام العرب ، وذلك نحو قولك :
خرَجَجَ أكرم من دَخَلَل ، وَضَرَبَ زيدٌ عمرًا ، ومررت برجل
(ضَرَبَ وكَسَرُهم ونحو ذلك) فاعترضه ابن جنبي قائلاً : (أفتر تجل
اللغة ارتجالاً ؟ !) قال : « ليس بارتجال ، لكنه مقيس على كلامهم ، فهو
إذن من كلامهم : ألا ترى أنك تقول : (طاب الحشكنان) فتجمله من
كلام العرب وإن لم تكن العرب تكلمت به هكذا ، فرفعك إياه
كرفعها ، ماصار لذلك محمولاً على كلامها ومنسوباً إلى لغتها » (١) .

وسأله ابن جنبي يوماً (هل يجوز لنا في الشعر من الضرورة ما جاز
للعرب أولاً ؟) فقال : « كما جاز أن نقيس مشورتنا على مشورهم ، فكذلك

(١) الخصائص ٢٧٧/١

(٢) ٣٥٨/١

يجوز لنا أن نقيس شعرنا على شعرهم ؛ فـأ أجازته الضرورة لهم أجازته لنا ، وما حظرتهم عليهم حظرتهم علينا ، وإذا كان كذلك فما كان من أحسن ضروراتهم فليكن من أحسن ضروراتنا ، وما كان من أقبحها عندهم فليكن من أقبحها عندنا ، وما بين ذلك « بين ذلك » ^(١) .

وسأله أيضاً عن إثبات النون في قول الشاعر :

أن تقرأن على أسماء ويحكما مني السلام وألا تشعرا أحدا

فقال : « أن مخففة من الثقيلة ، وأولاها الفعل بلا فصل للضرورة أيضاً ، فهذا شاذ عن القياس والاستعمال جميعاً ... لأن الغرض فيما ندونه من هذه الدواوين ونقنته من هذه القوانين إنها هو ليلحق من ليس من أهل اللغة بأهلها ، ويستوي من ليس بفصيح ومن هو فصيح ، فإذا ورد السماع بشيء لم يبق غرض مطلوب وعدل عن القياس إلى السماع » ^(٢) .
وذهب أبعد من ذلك فكان يرى رسم الألف اللينة ألفاً دائماً سواء أ كان أصلها واوا أم ياء ، وعله ذلك عنده أن الأصل أن يطابق الرسم اللفظ ^(٣) .

(١) ٣٢٩/١

(٢) الضرائر ٢٧٣ نقلا عن شرح تصريف المازني . قلت : ونريد اليوم عكس ما كان يريد في القرن الرابع ، نريد إهمال اللغيات وطرده القياس ولن يضيع بذلك شيء ذو بال .

(٣) المطالع النصرية ص ١٢٤ نقلا عن المسائل الحلبية للفارسي .

وبعد فسيمر بنا كثير من آراء الفارسي في مواضع شتى ، وسنعجب كل الاعجاب بهذا الذهن المنهجي الغواص وسنقرر أن ابن جني لم يكن إلى المبالغة حين قال فيه بعد أن نقل بعض تخرجاته :

« والله هو ! وعليه رحمته ، فما كان أقوى قياسه . وأشد بهذا العلم اللطيف الشريف أنسه ! فكأنه إنما كان مخلوقاً له . وكيف لا يكون كذلك وقد أقام على هذه الطريقة مع جلة أصحابها وأعيان شيوخها سبعين سنة ، زائحةً عنه ، ساقطة عنه كلفه ، وجعله همه وسدمه ، لا يعتاقه عنه ولد ولا يعارضه فيه متجر ، ولا يسوم به مطلباً ولا يخدم به رئيساً إلا بأخرة ، وقد حط من أثقاله وألقى عصا ترحاله . » (١)

وانظر رويته وتقليبه الأمر على وجوهه المختلفة وعدم مبادرته إلى القطع في مسائل العلم حين عرض لقضية نظرية من قضايا فقه اللغة : أيهما أسبق مرتبة في الوجود الاسم أو الفعل ؟ قال ابن جني :

« اعلم أن أبا علي كان يذهب إلى أن هذه اللغة ، ما سبق منها ثم لحق به ما بعده ، إنما وقع كل صدر منها في زمان . وإن كان تقدم منها شيء على صاحبه فليس من الواجب أن يكون المتقدم على الفعل الاسم ولا أن يكون المتقدم على الحرف الفعل وإن كانت رتبة الاسم مقدمة في

(١) الخصائص ١/٢٧٦ . السدم : الحرص واللهج بالشيء ، وفي الحديث (من كانت الدنيا همه وسدمه جعل الله فقره بين عينيه .) — تاج العروس .

النفس ، ومن جهة القوة والضعف أن يكون الاسم والفعل قبل الحرف .
وإنما يعني القوم بقولهم (إن الاسم أسبق من الفعل) أنه أقوى في
النفس وأسبق من الفعل في الاعتقاد لا في الزمان . وأما في الزمان
فيجوز أن يكونوا قدموا عند التواضع الاسم قبل الفعل ، ويجوز أن
يكونوا قدموا الفعل ، وكذلك الحرف ؛ وذلك أنهم وزنوا حيثند
أحوالهم وعرفوا مصائر أمورهم ، فعلموا أنهم محتاجون الى العبارات
عن المعاني وأنها لا بد لها من الأسماء والأفعال والحروف ، فلا عليهم
بأيها بدؤوا لأنهم أوجبوا على أنفسهم أن يأتوا بها جميع إذ المعاني
لا تستغني عن واحد منهن (١) .

من قياس ابن جني :

أما اذا وصلنا إلى ابن جني فقد تبوأنا ذروة القياس وفلسفته . لقد كان
أعلى علماء العربية كعباً في جميع عصورها ، وأغوصهم عامة على أسرار
العربية ، وأنجحهم في الاهتداء إلى النظريات العامة فيها . وكتابه
(الخصائص) لا يزال محط إعجاب علماء العرب والغرب على السواء ،
وحسبك أن ابن جني هو مبتدع نظرية الاشتقاق الكبير ومؤسس علم فقه
اللغة على ما يحسن أن يفهم عليه هذا العلم اليوم ؛ أما التصريف فهو إمامه

(١) الخصائص ١/٤٣٠

دون منازع ، وكلما تقرأ كتاباً فيه ولا يكون ابن جني مرجع كثير من مسأله . وكتابه (سر الصناعة) من خير ما حفظ الزمان من هذا التراث ، ومما يؤسف له أنه لا يزال ينتظر إنهاء الطبع حتى اليوم .

ولد بالموصل من مملوك رومي سليمان بن فهد الأزدي الموصلية وتوفي ببغداد سنة (٣٩٢ هـ) . صحب أستاذه الفارسي أربعين سنة ، وعاش مدة طويلة ببلاط سيف الدولة بحلب حيث أملى المسائل الحلبية ، ونشأت هناك بينه وبين المتنبي صداقة أساسها إعجاب كل منهما بمواهب الآخر ، وكان من نتائج ذلك أنه شرح ديوان المتنبي ودافع عنه هجمات النقاد ، وأن المتنبي كان يقول فيه : « هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس . » ويقول « ابن جني أعرف بشعري مني ! » (١) .

ونحن نعرف إلى منهجه في القياس من كتابه (الخصائص) الذي يدور على القوص على أسرار اللغة الشاملة ، ويطرد القياس ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، وستجد أثر الفارسي في تلميذه بارزاً في هذا الكتاب ، وأن هذا التلميذ الذي لقن هذا المذهب عن أستاذه قد مضى به بعيداً وتقدم إلى الأمام مسافات شاسعة ، ولعل الخافز له على تأليفه سمو همته إلى جعل أصول النحو كأصول الدين ، فقد جاء في مطلع كتابه قوله « لم نر أحداً من علماء البلدين تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول

(١) انظر ترجمته في ارشاد الارب المعروف بمعجم الادباء لياقوت .

الكلام والفقه» (١).

إن جني كثير الأنس بالتجربة اللغوية يقلبها على وجوهها المختلفة ويكثر التفكير فيها ، ثم يقابل بين اللغات التي يعرفها ليكون حكمه الشامل في اللغة العربية حين يرده إلى طبيعة الحس صحيحاً إلى حد بعيد ، والظاهر أنه يعرف الفارسية فقد عرض لها في حديثه عن اجتماع الساكنين ، قال :

« ومن طريف حديث اجتماع السواكن شيء وإن كان في لغة المعجم فإن طريق الحس موضع تتلاقى عليه طبائع البشر ، ويتحاشون إليه الأسود والأحمر ؛ وذلك قولهم (آرد) للدقيق و (ماست) لليسن ، فيجمعون بين ثلاثة سواكن . إلا أنني لم أر ذلك إلا فيما كان ساكنه الأول ألفاً وذلك أن الألف لما قاربت بضعفها وخفائها الحركة صارت (ماست) : كأنها (مست) (٢) .

وعرض لأمر هام دقيق وهو ما يفيدنا إياه رؤية وجه العربي وجملة حاله حين يتكلم ، وإن رواية كلامه مجرداً قد يفوت علينا من مقصوده شيئاً ذا بال :

« فليت شعري إذا شاهد أبو عمرو وابن أبي إسحق ويونس وعيسى

(١) الخصائص ٢/١

(٢) الخصائص ٩٠/١ وانظر بقية البحث حتى ص ٩٢ .

ابن عمر والحليل وسيبويه وأبو الحسن وأبو زيد وخلف الأحمر والأصمعي ومن في الطبقة والوقت من علماء البلدين ، وجوه العرب فيما تتعاطاه من كلامها وتقصد له من أغراضها ، ألا تستفيد بتلك المشاهدة وذلك الحضور ما لا تؤديه الحكايات ولا تضبطه الروايات .^(١) ونحن نعرف بركة هذا الغوص في كثير من النصوص التي يختلف فيها العلماء لورودها مجردة من الإشارة إلى لهجة المتكلم أو حاله . ترد الجملة عن العرب فيجعلها بعضهم تقريراً وبعضهم استفهاماً حذفت أدواته ، وبعضهم استفهاماً أريد به الإنكار والتهكم . . الخ ولو ورد مع النص حال المتكلم لا تقطع الخلاف .

والطريف أن ابن جني يورد بعد كلامه هذا أمثله كثيرة وينتهي من هذا الباب إلى الإبراه على أن العرب أرادت من العلل والأغراض ما يذكره النحاة تماماً ، يقول في آخر باب (أن العرب قد أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه إليها وما حملناه عليها)^(٢) :

« سألت الشجري يوماً فقلت : « يا أبا عبد الله كيف تقول : (ضربت أخاك ؟) فقال : « كذاك » فقلت : « أفقول : ضربت أخوك ؟ » فقال : « لا أقول (أخوك) أبداً » . قلت : « فكيف تقول : (ضربني أخوك) ؟ » فقال : « كذاك » فقلت : « أأست زعمت أنك لا تقول :

(١) الخصائص ١/٢٤٨

(٢) ص ١/٢٥٠

(أخوك) أبدأ ؟ » فقال : « أَيْش هذا ؟! اختلفت جريتنا الكلام ». فهل هذا في معناه إلا كقولنا نحن : صار المفعول فاعلاً ، وإن لم يكن هذا اللفظ البتة فإنه هو لا محالة .

ثم جعل ابن جني قول النبي لبني غَيَّان (بل أنتم بنو رَشْدان) بمنزلة قول أهل الصناعة : إن الألف والنون زائدتان ، والنبي وإن لم يتفوه بهذا قد صدقه بفعله حين اشتق من الرشد : رَشْدان . « وكذلك قولهم : « إنما سميت هاتئناً لهنأ » ^(١) كقول النحاة : إن الألف زائدة للدلالة على من قام به الفعل ، فعل ابن جني هذا كله ليقول : إن الملل النحوية والقياس شيء أرادته العرب وفعلته وإن لم تنطق بمصطلحاته . والذي يعجب حقاً في ابن جني مزية الشمول في نظراته ، فإن غوصه على السر أداه إلى أن يجمع في حكم واحد ما لا يجمعه النحاة عادة لعدم انتباههم إليه ، فقد جمع نصب جمع المؤنث السالم والمثنى وجمع المذكر السالم في علة واحدة فقال :

« واعلم أن العرب تؤثر من التجانس والتشابه وحمل الفرع على الأصل ما إذا تأملت عرفت منه قوة عنايتها بهذا الشأن وأنه منها على أقوى بال ، ألا ترى أنهم لما أعربوا بالحروف في التثنية والجمع الذي على حده ، فأعطوا الرفع في التثنية الألف ، والرفع في الجمع الواو ، والجر

فيهما الياء ، وبقي النصب لا حرف له فيماز به ، جذبوه إلى الجر فحماوه عليه دون الريع . . ثم لما صاروا إلى جمع التأنيث حملوا النصب أيضاً على الجر فقالوا ضربت الهندات كما قالوا مررت بالهندات ... فدل دخولهم تحت هذا - مع أن الحال لا تضطرهم إليه - على إثارةهم واستجبابهم حمل الفرع على الأصل وإن عري من ضرورة الأصل . « ومن ذلك حملهم حروف المضارعة بعضها على حكم بعض في نحو حذفهم الهمة في نكسرم وتكسرم ويكرم لحذفهم إياها في أكرم لما كان يكون هناك من الاستثقال لاجتماع الهمزتين في نحو أوكرم . (١) .

هذا ابن جني حذو أستاذه الفارسي بل شأه في تعميم القياس وتوسيع طرق الاشتقاق وكان يقول : (مسألة واحدة من القياس أنبل وأنبه من كتاب لغة عند عيون الناس) (٢) .

ولما عرض للإبدال وذكر لغات (فسطاط ، فستاط ، فسطاط) وأن الجمع فيها (فساطيط وفساسيط) فقط وذهابهم إلى أن (التاء) في (فستاط) بدل من الطاء أو السين ، رجح ابن جني كونها بدلاً من السين بقوله : (إذا حكمت بأنها بدل من سين (فسطاط) ففيه شيان جيدان : أحدهما تغيير ثاني المثليين وهو أقيس من تغيير الأول من المثليين

(١) الخصائص ١/١١١ وانظر مزية الشمول عنده في باب (ترفع الاحكام)

١٠٨/٢ وفيه عجائب .

(٢) ٨٨ ، ٨٧ .

لأن الاستكراه في الثاني يكون لا في الأول . والآخر أن السينين في (فساط) ملتقيتان والطاءين من (فسطاط) منفصلتان بألف بينهما ، واستثقال المثلين ملتقيين أخرى من استثقالهما متفرقين ، فعلى هذا الاعتبار ينبغي أن يلقي ما يرد من حديث الإبدال ^(١) .

وقد أراد أن يشرح كتاب يعقوب بن السكيت في (القلب والإبدال) على هذا النمط المنهجي لأن معرفة (هذه الحال فيه أمثل من معرفة عشرة أمثال لفته ^(١)) كما قال .

لم يتخذ ابن جني القياس مذهباً لنفسه فحسب ، بل كان يغري به ويدعو إليه ويحض عليه ويبسح فيه الارتجال فيقول : (للإنسان أن يرتجل من المذاهب ما يدعو إليه القياس ما لم يُلوّ بنص أو ينتهك حرمة شرع ^(٢)) . حتى إذا أدرك القياس إلى ما لم تنطق به العرب قط فليس لك أن ترمي به ، بل تُعده « لشاعر مولد أو لساجع أو لضرورة » ، لأنه قياس على كلامهم ^(٣) ، والأساس عنده في القياس الاعتبار المعنوي فهو يرجح القياس المعنوي على القياس اللفظي ، بل يذهب إلى « أن القياس اللفظي إذا تأملت لم تجده عارياً من اشتغال المعنى عليه ، ألا ترى أنك إذا سئلت عن (إن) من قوله :

(١) الخصائص ٢/٨٨، ٨٧

(٢) » ١/١٨٩

(٣) » ١/١٢٦

ورجّ الفتى للخير ما إن رأيته على السن خيراً لا يزال يزيد^(١)

فإنك قائل : دخلت على (ما) وإن كانت (ما) ها هنا مصدرية لشبهها لفظاً بما النافية . . وشبه اللفظ بينهما يصير (ما) المصدرية إلى أنها كأنها (ما) التي معناها النفي . أفلا ترى أنك لو لم تجذب إحداها إلى أنها كأنها بمعنى الأخرى لم يجز لك إلحاق (إن) بها . فالمعنى إذاً أشيع وأسير حكماً من اللفظ ، لأنك في اللفظي متصور لحال المعنوي ، ولست في المعنوي بمحتاج إلى تصور حكم اللفظي^(٢) .

ومن أعود بحوثه على العربية بالحير والنماء لو أن هناك من يفيد منه ، المبحث الذي ابتدعه وهو (الاشتقاق الكبير) ، المبحث الذي قال فيه آدم متر : « إنه لا يزال يؤتي ثمره إلى اليوم ، ولم يكن لعلماء اللغة من العرب إنتاج أعظم منه »^(٣) وسنخصه بالذكر عندما نعرض للاشتقاق ، على أن له أيضاً بحوثاً كثيرة الفائدة في (الخصائص) منها بحث خلاف الألفاظ مع تقارب المعاني المشتقة^(٤) ، وهو هام جداً يصح أن يعتبر أساساً لـ (فقه اللغة) ، فقد أوضح فيه مذهبه ودعمه بأمثلة كثيرة ، ورسم له في آخره نهجاً شاملاً

(١) البيت للمعلوط القريني

(٢) الخصائص : باب مقاييس العربية ١١٠/١

(٣) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ٣٣٠/١ لآدم متر .

(٤) انظر الخصائص ١١٣/٢

لمن يريد التوسع على طريقته . ولو ترسم من أتي بعده خطاه لكان لنا اليوم في (فقه اللغة) ثراث قيم جداً ،

هذا ، وإذا أنت صفحت كتاباً من كتب الطبقات في النحو ومرت بك مئات من تراجم النحويين ، استطعت بعد إمعان قليل أن تلم بما كان للقياس من خطر عند القوم حتى ليتفرد واحد في المئة فيعرف به فإذا ترجموا له نصوا على امتياز هذا ، وتلك ملكة لم تتوفر كاملة إلا لآعلام قليلين جداً ، فما أقل ما تجده أمثال قولهم في ترجمة ابن أبي إسحق الحضرمي .. « كان .. شديد التجريد للقياس » ويفاضلون بينه وبين أبي عمرو بن العلاء فيقول السيرافي : « ابن أبي إسحق أشد تجريداً للقياس وأبو عمرو أوسع علماً بكلام العرب ولغاتها » ^(١) ، وفي ترجمة يونس : « ليونس قياس في النحو ومذاهب يتفرد بها » ^(٢) .

وفي الكلام على مؤرخ السدوسي يروون قوله : « قدمت من البادية ولا معرفة لي بالقياس وإنما معرفتي قريحتي » وأول ما تعلمته : في حلقة أبي زيد ^(٣) ، وفي ترجمة أبي طالب أحمد بن بكر العبدي : « .. وكان قياً بالقياس » ^(٤) .

(١) بغية الوعاة ص ٢٨٢

(٢) » ص ٤٢٦

(٣) » ص ٤٠٠

(٤) » ص ١٢٩

(ب)

أثر العلوم الدينية في القياس اللغوي

لا شك في أن الباحث الأول لنشأة العلوم العربية هو الدين الجديد الذي أتاهم به محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم : فاهتمامهم بأحكامه حفز على تدوين الفقه والحديث ثم نشأة العلوم المتعلقة بهما ، وعنايتهم بالقرآن الكريم صرفتهم إلى الاهتمام بقرآته وتفسيره وتاريخه ، وذلك حملهم على ضبط اللغة وإحكام قواعدها . ولم تنقض المئة الثانية حتى كان للفقه كتبه ومذاهبه وأصوله ، كما كان للدين أيضاً كتبه وجدله وأصوله ومتكلموه وفرقه . دون أولاً الفقه وأصوله والحديث ، ثم جاء النحو يتقدم رويداً رويداً ، وبدأ يدون وتنسق أبوابه وفصوله ، ثم جاءت بعد الطبقة الأولى طبقات وتميزت المذاهب فيه بعضها من بعض ، ثم كان له أصوله أيضاً .

يقر النجاة بأنهم احتدوا في أصولهم أصول الفقه عند الحنفية خاصة ، فهذا ابن جني يصرح فيقول :

« يتزع أصحابنا الملل (من كتب محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة) لأنهم يجدونها مشورة في أثناء كلامه ، فيجمع بعضها الى بعض بالملاطفة والرفق » ^(١) بل إنه هو نفسه يعقد باباً في الخصائص يثبت

فيه « أن علل جل النحويين وأعني بذلك حذاقهم المتقنين لا ألفافهم المستضعفين ، أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل المتفقيين ، وذلك أنهم إنما يحيلون على الحس ويحتجون فيه بثقل الحال أو خفتها على النفس ، . الخ » (١) .

هذا في المثة الرابعة ، واستمر الحال بعده . فهذا السيوطي في المثة العاشرة يؤلف كتاب (الاقتراح) ويذكر أنه : « بالنسبة إلى النحو كأصول الفقه بالنسبة إلى الفقه... ورتبته على نحو أصول الفقه في الأبواب والفصول والتراجم .. فيعرف به القياس وتركيبه وأقسامه من قياس العلة وقياس الشبه وقياس الطرد إلى غير ذلك على حد أصول الفقه ، فإن بينهما من المناسبة ما لا خفاء به لأن النحو معقول من منقول كما أن الفقه معقول من منقول ... » (٢)

(١) ٤٨/١ وفيه يورد امثلة ومقاييس ، منها تعليله اختصاص الفاعل بالرفع دون النصب لأن للفعل فاعلا واحداً ومفعولات متعددة أحياناً ، فخصوه بالرفع لقلته وخصوا المفعول بالنصب لأنه أخف على أنسنتهم « ليقل في كلامهم ما يستثقلون » وانظر بعد ذلك كلامه على : ميزان ، موسى .

(٢) انظر مقدمة الاقتراح . والظاهر أن الأمر لم يقتصر على الأصول فقد كانت فروع الفقه ماثلة لأعين النحاة حين تقرير جزئيات النحو ، ففي كلامهم على حذف الفاء الواقعة في خبر (أما) اضطراراً في مثل قول الشاعر :

فأما القتال لا قتال لديكم ولكن سيراً في عراض المواكب

يستطردون إلى قول الله « فأما الذين اسودت وجوههم : أكفرتهم بعد إيمانكم .. » يقولون :

ثم تقرأ في كتب النحو بعد ذلك فترى مصطلحات الثقافة الفقهية تطالعك بين الفينة والفينة فتجد مثلاً في كتاب (الإيضاف في مسائل الخلاف) لابن الأنباري من رجال المئة السادسة تعليقا على قول البصريين « الدليل على أن نعم وبئس فعلا ماضيان أحدهما مبنيان على الفتح ، ولو كانا اسمين لما كان لبنائهما وجه ، إذ لا علة ها هنا توجب بناءهما » فيقول ابن الأنباري : « هذا تمسك باستصحاب الحال وهو من أضعف الأدلة » ^(١) فهذا — كما ترى — تحكيم لمعايير الفقه في النحو .

وإذا عرفت أن القياس أداته العقل وأن أئمة القياس في النحوسيبويه والفرء وأبو علي الفارسي والرماني وابن جني والزمخشري وأضرابهم كلهم كانوا معتزلة ^(٢) ، بل إن الرماني (— ٣٨٤) منهم كان يفتن في الكلام على مذهب المعتزلة ؛ ومع أن له ستة كتب على كتاب سيبويه إن كتبه

= « حذف القول استغناء عنه بالمقول فتبعته الفاء في الحذف ، ورب شيء يصح تبعاً ولا يصح استقلالاً كالحاج عن غيره يصلي عنه ركعتي الطواف ، ولو صلى أحد عن غيره ابتداء لم يصح على الصحيح . »
وهذا تأثر بالفقه سافر غير خفي .

(١) الإيضاف ص ٧٣

(٢) النحاة المعتزلة كثيرون جداً ومن بينهم الغالي في اعتزاله ، يعرف كثرتهم من سرد أحد كتب الطبقات . ويظهر أن القدماء عنوا بجمع المعتزلة من النحاة فهذا ياقوت ينقل في ترجمته لابي الحسن البوراني عن كتاب (نحاة المعتزلة) لمحمد بن اسحق .

في الكلام أكثر من كتبه في اللغة والنحو بكثير^(١). والاعتزال كما تعلم منهج يستند إلى «تحكيم العقل مع المحافظة على الدين وهو منهج في البحث والتجربة والاستدلال العقلي والشك والقياس... وقد كان للمعتزلة أثر كبير في القياس في اللغة، كما يظهر ذلك من قولهم بأن اللغة اصطلاحية من وضع البشر، لا توقيفية؛ وكما يظهر في تحرر الجاحظ وأمثاله من المعتزلة في تشقيهم الكلام واستعمالهم للمولد من الألفاظ بل الأعجمي، وكما يظهر أيضاً في أن زعيمي مدرسة القياس وهما أبو علي الفارسي وابن جني كانا من المعتزلة، وكما يظهر في البحوث اللغوية الطريفة التي حققها الزمخشري في كتبه وتفريقه بين دلالة الألفاظ عن طريق الحقيقة ودلالاتها عن طريق المجاز، وهو معتزلي أيضاً؛ فلما ذهبت دولة المعتزلة غلبت دولة المحافظين في اللغة كما هو الشأن في كل علم^(٢)، إذا عرفت ذلك كله أدركت الأثر البعيد الذي للعلوم الدينية في نشأة العلوم اللسانية. هذا في القياس خاصة، وقد علمت أن علماء العربية احتذوا طريق المحدثين من حيث العناية بالسند ورجاله وتجريحهم وتعديلهم، وطرق تحمل اللغة... فكانت لهم نصوصهم اللغوية كما كان لأولئك نصوصهم الحديثية ولهم طبقات الرواة كما لأولئك، ثم احتذوا المتكلمين في تطعيم

(١) انظر ترجمته في إنباء الرواة ٢/ ٢٩٤.

(٢) (مدرسة القياس في اللغة) محاضرة الأستاذ أحمد أمين في مجمع اللغة العربية في

دورة ١٩٤٩. ثم نشرت في مجلة مجمع اللغة العربية ج ٧

نحوهم بالفلسفة والتعليل ، ثم حاكوا الفقهاء أخيراً في وضعهم للنحو
أصولاً تشبه أصول الفقه ، وتكلموا في الاجتهاد فيه كما تكلم الفقهاء ،
وكان لهم طرازهم في بناء القواعد على السماع والقياس والاجماع كما
بنى الفقهاء استنباط أحكامهم على السماع والقياس والاجماع ؛ وذلك أثر
واضح من آثار العلوم الدينية في علوم اللغة .

والطريف أنهم سجلوا للنحو شيئاً من رد الدين ، فهذا الفراء يناظر محمد بن
الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة قائلاً : « قلّ رجل أنعم النظر في باب من العلم
فأراد غيره إلا سهل عليه » امتحنه محمد في مسألة فقهية أجابه عليه من فن النحو ، قال
محمد : « ما تقول في رجل صلى فيها ، فسجد سجدة فسها فسها فيهما ؟ » ففكر الفراء
ساعة ثم قال : « لاشيء عليه . » فقال له محمد : ولم ؟ قال : « لأن التصغير عندنا
لاتصغير له ، وإنما السجدة تان تمام الصلاة ، فليس للتمام تمام . » فقال محمد : « ما ظننت
أدماً يلد مثلك ! » (١) .

واشتهرت هذه الحادثة في زمانها وبعده ، وقامت دليلاً على لطف نظر النحاة
واشارة الى ما بين الفقه والنحو من أخذ وعطاء استمر مع تقدم الفنين ... حتى اذا
بلغنا المئة الرابعة للهجرة وجدنا فقيهاً شافعيًا ، هو ابن الحداد المصري ، كانت له ليلة في
كل جمعة يتكلم فيها عنده في مسائل الفقه على طريق النحو !! « وكان ابو جعفر النحاس
النحوي المصري المشهور المتوفى سنة « ٣٣٨ هـ » لا يدع حضور هذا المجلس (٢) .

بل نرى رد الدين صار على مقياس أوسع في المئة الثامنة ، فهذا الشيخ جمال الدين

(١) وفیات الاعيان ٢٢٧/٥ . وقد روى ابن خلكان هذا الحادث أيضاً بين
الكسائي ومحمد بن الحسن بين يدي الرشيد في ٤٥٧/٢ ولعل الأول هو الواقع .

(٢) لبناء الرواه ١٠٢/١ وطبقات النحويين واللغويين ص ٢٤٠

الأسنوي « ٧٧٢ » له كتاب الكواكب الدرية في تنزيل الفروع الفقهية على الفواعد النحوية » يقول في مقدمته :

« ... استخرت الله تعالى في تأليف كتابين ممتزجين من الفنين المذكورين » يعني أصول الفقه وعلم العربية « ومن الفقه ، لم يتقدمني إليهما أحد من أصحابنا : أحدهما في كيفية تخريج الفقه على المسائل الأصولية ، والثاني في كيفية تخريجه على المسائل النحوية ؛ فأذكر أولاً المسائل الأصولية أو النحوية مهذبة منقحة ، ثم أتبعها بذكر جملة ما يفرع عليها ليكون ذلك تنبيهاً على ما لم أذكره . ثم إن الذي أذكره على أقسام ، فنه ما يكون جواب أصحابنا فيه (يعني الشافعية) موافقاً للقاعدة ، ومنه ما يكون مخالفاً لها ، ومنه ما لم أقف فيه على نقل بالكلية فأذكر فيه ما تقتضيه القاعدة مع ملاحظة القاعدة المذهبية والنظائر الفرعية فيعرف الناظر في ذلك مأخذ مانص عليه أصحابنا وفصلوه ، ويتنبه به على استخراج ما أهملوه . هذا مع أن الفروع المذكورة مهمة مقصودة في نفسها بالنظر ، وكثير منها قد ظفرت به في كتب غريبة كما ستراه مينا إن شاء الله تعالى ... »

واعلم انني إذا أطلقت شيئاً من المسائل النحوية فهي من كتابي شيخنا أبي حيان الذي لم يصنف في هذا العلم أجمع منها وهما (الارتشاف) و (شرح التسهيل) ، فإن لم تكن المسألة فيها صرحت بذلك ، وإذا أطلقت شيئاً من الأحكام الفقهية فهو من الشرح الكبير للرافعي أو من (الروضة للنووي) ... » (١).

والكتاب مخطوط نادر تحتفظ به دار الكتب المصرية « رقه ٥١٤٤ نحو » وقد أطلعتك على خطته كما شرحها ؛ وهأنذا مطلقك على نمط من مسائله ليكون تصورك لما وصل إليه التفاعل بين علوم الشريعة والنحو في المئة الثامنة كاملاً كما يعرضه هذا الأثر النفيس ، ولا بد من الإشارة إلى أن أغلب مسائله تدور على جمل الطلاق ، والوصايا وما إلى ذلك :

(١) انظر الورقة ٢/٢ من المخطوط .

فصل في الضمير

مسألة : الضمير إذا سبقه مضاف ومضاف إليه وأمكن عوده على كل منهما على انفراده كقولك (مررت بـغلام زيد فأكرمته) فإنه يعود على المضاف دون المضاف إليه ، لأن المضاف هو المحدث عنه والمضاف إليه وقع ذكره بطريق التبع وهو تعريف المضاف أو تخصيصه ، كذا ذكره أبو حيان في تفسيره وكتبه النحوية وأبطل به استدلال ابن حزم ومن نحا نحوه كلاما ورد في (الحاوي) على نجاسة الخنزير بقوله تعالى : « .. أو لحم خنزير فإنه رجس »^(١) حيث زعموا أن الضمير في قوله تعالى (فإنه) يعود إلى الخنزير ، وعللوه بأنه أقرب مذكور .

إذا علمت ذلك فن فروع المسألة ما إذا قال : (له علي ألف درهم ونصفه) فالقياس أنه يلزمه ألف وخمسة آلاف لا ألف ونصف درهم .

هكذا القول في الوصايا والبياعات والوكالات والاجازات وغيرها من الأبواب .

مسألة ضمير الغائب قد يعود على غير ملفوظ به كالذي يفسره سياق الكلام .

فن فروع المسألة ما إذا قال (له علي درهم ونصفه) فإنه يلزمه درهم كامل ونصف والتقدير - كما قال ابن مالك - (ونصف درهم آخر) اذ لو كان العائد إلى المذكور لكان يلزمه درهم واحد ، ويكون قد أعاد النصف تأكيذا وعطفه لتغاير الالفاظ . اهـ

ثم لا ننسى خدمة علوم اللغة الفقه نفسه بعد أن استفادت من أصوله وطرقه ؛ فهذا المطرزي (٦١٠ -) يضع معجمه (المغرب) في لغة الفقه خاصة ، وكذلك الفيومي (٧٧٠ -) صاحب (المصباح المنير) ألفه في غريب (الشرح الكبير للرافعي) وهو كتاب في فقه الشافعية ، والرازي (٧٦٠ -) اختار من الصحاح ما يخدم به ألفاظ القرآن والحديث والفقه فألف كتابه النافع المشهور (مختار الصحاح) وهكذا .

(ج)

(١) من أعلام القياس

للقياس أربعة أركان :

١ - أصل وهو المقيس عليه .

٢ - وفرع وهو المقيس .

٣ - وحكم

٤ - وعلة جامعة .

وقد عرفت أن ذلك مثل أن تتركب قياساً في الدلالة على رفع ما لم يسم فاعله فتقول : اسم أسند الفعل إليه مقدماً عليه فوجب أن يكون مرفوعاً قياساً على الفاعل .
١ - فالأصل هو الفاعل ، ٢ - والفرع هو ما لم يسم فاعله ، ٣ - والحكم هو الرفع ، ٤ - والعلة الجامعة هي الاستناد .

١ - في المقيس عليه :

١ - من شروطه ألا يكون شاذاً خارجاً عن سنن القياس ، فما كان

كذلك لا يجوز القياس عليه كتصحيح مثل : استحوذ ، ' استصوب ، استنوق ، وكحذف نون التوكيد في قوله :

(١) مختصر بتصرف عن (الاقتراح) للسيوطي ص ٤٦ فما بعد .

« اصرفَ عنك الهموم طارقها »

أي (اصرفن) ووجه ضعفه في القياس أن التوكيد للتحقيق وإنما يليق به الإِسْهَاب والإِطْنَاب لا الاختصار والحذف .

٢ - كما لا يقاس على الشاذ نطقاً لا يقاس عليه تركاً كما متناعك من (وذر ، ودع) مع جوازهما قياساً لأن العرب تحامتها (١) .

٣ - ليس من شرط المفيس عليه الكثرة فقد يقاس على القليل لموافقته للقياس ويمتنع على الكثير لمخالفته له :

مثال الأول : شئني نسبة إلى شئوة :

اكتفى سيديوه بهذا الوارد ، لأن السماع لم يرد بخلافه لا في هذا اللفظ ولا فيما كان من نوعه ، فقياس عليه وجعل وزن (فَعَلِي) قياساً في (فَعُولَة) مع أنه لم يقع إليه من شواهد إلا هذه الكلمة المفردة ، فهو يقول في النسب إلى (ركوبة ، حلوبة : ركي ، حلبي) .

أما الأُخْفَش فجعله شاذاً لا يقاس عليه ، ونسب إلى الكلمتين بقوله : (ركوبي وحلوبي) لكن القياس يؤيد سيديوه في قياسه على شئوة شئني بما يأتي :

(١) عرفت من ص « ٣٠-٣٢ » أن العربية ماتحاتمتها ، فأعرف الآن أن ابن درستويه وهو الذي سلم خطأ بأن العربية أهملتها قال : « واستعمال ما أهملوا من هذا جائز صواب وهو الأصل ، بل هو في القياس الوجه » — انظر المزهر ٤٦/٢ « طبعة عيسى البابي الحلبي » بعناية « محمد احمد جاد المولى ورفيقه » .

فعولة = فعيلة ، فكل منهما ثلاثي ثالثه حرف لين وانتهى بتاء
التأنيث فجعلوا واو شنوءة كياء حنيفة وعاملوها مثلها في النسبة . (ولا
يقول في ضرورة : (ضرري) لأنه لا يقال في جليلة : جليلي) .

قال أبو الحسن : « فإن قلت : إنما جاء هذا في حرف واحد (يعني
شنوءة) فالجواب : أنه جميع ما جاء » .

ومثال الثاني : قولهم في (ثقيف وقريش وسليم) : ثقفى وقريشى
وسلمى . . وإن كان أكثر من شئني فإنه عند سيويه ضعيف في القياس
فليس لك أن تقول في سعيد : سعدي^(١) .

٤ - للقياس أربعة أقسام :

١ - حمل فرع على أصل كإعلال الجمع لإعلال المفرد مثل (قيمة :
(قيم) أو تصحيحه لصحة المفرد مثل : (ثور : ثورة) .

٢ - حمل أصل على فرع كإعلال المصدر لإعلال فعله (قام : قياماً)
أو تصحيحه لصحة فعله مثل : (قاومت : قواماً) . وحذف الحروف
في الجزم وهي أصول حملاً على حذف الحركات .

(١) هذا « والكلمة أو الكلمتان لا تقومان في وجه القاعدة التي يجري عليها
الفصحاء في عامة مخاطبتهم ولو نقلت عن فصيح عربي : اذ يجوز أن تكون قد صدرت
منه على وجه الغلط أو القصد الى تحريف اللغة ، فان ألسنة الفصحاء قد تقع في زلة
الخطأ وتطوع لهم متى قصدوا الى تغيير الكلمة عن وضعها المعروف لهزل ونحوه .»
١ هـ عن القياس في اللغة العربية ص ٤٣ .

٣ -- حمل نظير على نظير : منعوا (أفعل التفضيل) من رفع الظاهر
 لشبهه بـ (أفعل التمجيد) ، وأجازوا تصغير أفعل التمجيد حملاً على
 اسم التفضيل .

٤ -- حمل ضد على ضد : من أمثله نصب بـ (لم) حملاً على الجزم
 بـ (لن) ، أولهما لنفي الماضي والثاني لنفي المستقبل ^(١) .

ب - في القيس :

وهل يوصف بأنه من كلام العرب أم لا (تقدم هذا ص ٧٠) وقد
 قال ابن جني : « اللغات على اختلافها كلها حجة ، والناطق على قياس لغة
 من لغات العرب مصيب غير مخطيء » .

ج - في الحكم وفيه سائلتان :

جواز القياس على حكم ثبت بالقياس ^(٢) (إذ الأصل أن يثبت

(١) قلت : شاهد الجزم بـ (لن) قول أعرابي يمدح الحسين بن علي :

لن يحب الآن من رجائك من حرك من دون بابك الحلقة

وشاهد النصب بـ (لم) قراءة بعضهم : « ألم نشرح لك صدرك » وقول الحارث

ابن منذر الجرمي :

في أي يومي من الموت أفر أيوم لم يقدر أم أيوم قدر

انظر (لم) ، (لن) في معنى اللبيب

(٢) مثال ذلك أن اسم الفاعل محمول على الفعل في العمل ، ولذلك كان أضعف =

بالسماع) . وجواز القياس على أصل اختلف في حكمه كقولهم في (إلا) إنها ثابت مناب فعل فهي تعمل عمله قياساً على (يا) ، فإن إعمال يا مختلف فيه .

في العلل (٢) :

(تقدم كون علل النحويين أقرب الى علل المتكلمين منها الى علل الفقهاء)

١ - « اعتلالات النحويين صنفان : علة تطرد على كلام العرب وتنساق إلى قانون لغتهم ، وعلة تظهر حكمتهم وتكشف عن صحة أغراضهم ومقاصدهم في موضوعاتهم .

=منه، فإذا استطاع الفعل أن يحمل الضمير في مثل قولك (زيد أخواك زارهما) لم يستطع اسم الفاعل السببي تحمل الضمير ولذلك وجب إظهاره فتقول (زيد أخواك زائر لياهما هو) ولا يجوز استتاره لقصور اسم الفاعل في العمل عن الفعل .

فهذا الترتيب في جملة اسم الفاعل السببي مقيس غير مسموع، فتأتي أنت وتقيس الصفة المشبهة على اسم الفاعل فتقول (زيد أخواك حسن في عينه ها) قياساً على جملة اسم الفاعل المتقدمة ، فهذا قياس على مقيس . - انظر الخصائص لابن جني ص ١٩٤/١ .

(٢) إذا رفعت مارفعته العرب ونصبت مانصبت فعملك نحو ، لأنك تنتحى به مذهب العرب في كلامها فهذا ما كانوا يقصدونه بالنحو او بالعربية قديماً ، ثم لما تقدموا قليلاً صاروا يقولون في (ذهب زيد) رفعت (زيد) لأنها فاعل ؛ فجعلوا ذلك هو العلة ، ثم خطوا خطوة ثانية لما تساءلوا عن سبب رفع الفاعل وقالوا : (الضمة أشرف الحركات ولذلك خصوا بها الفاعل لشرفه) فجعلوا هذا الجواب علة العلة .

فالأولى : أكثر استعمالاً وأشد تداولاً وهي واسعة الشعب
(عندها السيوطي ٢٤) منها :

عذ سماع : يقال امرأة ثدياء (ولا يقال رجل أثدى) لعدم السماع .
عذ تشبيه : كإعراب المضارع لمشابهته الاسم ، وبناء بعض الأسماء
لمشابهتها الحروف .

عذ استئصال : كاستئصالهم الواو في (يعد) بين ياء وكسرة .
عذ فرق : فيما ذهبوا إليه من رفع الفاعل ونصب المفعول .
(قلت : تقدم لابن جني تعليل يرد هذا إلى علة الاستئصال وهو جد وجهه)
عذ نظير : مثل كسرهم أحد الساكنين إذا التقيا في الجزم حملاً
على الجر إذ هو نظيره .

عذ صحل على المعنى : « فمن جاءه موعظة من ربه ^(١) » ذكر
الفعل (جاء) مراعاة لمعنى (الموعظة) .
عذ مساكلة : في قوله (سلاسلاً وأغلالاً) ^(٢) في قراءة من نون
سلاسلاً ... الخ العلل ^(٣) .

(١) سورة البقرة ٢/٢٧٥

(٢) سورة الدهر ٤/٧٦

(٣) انظر في الاقتراح ص ٥٦ وهذه أسماء بقية الأنواع : علة استغناء ، علة
توكيد ، علة تمويض ، علة نقيض ، علة معادلة ، علة قرب ومجاورة ، علة وجوب ،
علة جواز ، علة تغليب ، علة اختصار ، علة تخفيف ، علة دلالة حال ، علة أصل ،
علة تحليل ، علة إشعار ، علة تضاد ، علة أولى .

٢ -- يجوز التعليل بعلتين : كقولك (هؤلاء مسلمي) فإن الأصل : مسلموي : قلبت الواو ياء لأمرين كل منهما موجب للقلب : اجتماع الواو والياء وسبق إحداهما بسكون ، والثانية أن ياء المتكلم توجب كسر ما قبلها فوجب قلب الواو ياء وإدغامها .

٣ -- يجوز التعليل بالأمور العدمية كتعليل بعضهم بناء الضمير باستغنائه عن الأعراب وباختلاف صيغه لحصول الامتياز بذلك .
أنت ترى أن بعض العلل النحوية حسية مقبولة ، وبعضها فرضية ؛ لكن لهم قسماً ثالثاً من العلل وهو (العلل الخيالية) ومثلوا لها بـ (هل) : « فإن الأصل فيها دخولها على الفعل ، وقد تخرج عن الأصل فتدخل على اسم خبره اسم ، ولا تدخل على اسم خبره فعل مثل (هل عمرو كتب) وعللوا ذلك بأن (هل) إذا لم تر الفعل في حيزها تسكت عنه ذاهلة ، وإن رأتها في حيزها حنت إليه لسابق الالفة فلم ترض حينئذ إلا بمناقضته ! ^(١) .

ولا تظن أن تلك العلل سلمها الناس لهم ، إن الأمر على العكس ولا تزال نسمع حتى اليوم الكلمة السائرة : (أضعف من حجة نحوي) ، وقد ذكر القفطي أن أبا العباس الناشي المتكلم (٢٩٣) « نظر في علل النحو وهو متكلم » فتبين له بقوة الكلام نقض أصوله ، ففققها

(١) القياس في اللغة العربية لمحمد الخضر حسين ص ٧٦ .

وصنف فيها — وكذلك العروض أدخل على قواعده شياً ... وأحسن
والله في كل ذلك وأظهر قوة ... » — إنباه الرواة ١٢٨/٢

وقد ضاقت تعليلاتهم وقياسهم وتعقبهم . معاصريهم من الشعراء .
فقال عمار السكلي وقد عابوه في بعض شعره : (١)

ماذا لقينا من المستعربين ومن	قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا
إن قلت قافية بكرة يكون بها	يت خلاف الذي قاسوه أو ذرعوا
قالوا : « لخت ، وهذا ليس منتصباً ؛	وذاك خفض ، وهذا ليس يرتفع
وحرصوا بين عبد الله من حمق	وبين زيد ، فطال الضرب والوجع
كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم	وبين قوم على إعرابهم طبعوا
وبين قوم رأوا شيئاً معاينة	وبين قوم رأوا بعض الذي سمعوا (٢)
ما كل قولي مشروحاً لكم فخذوا	ما تعرفون . وما لم تعرفوا فادعوا
لأن أَرْضِي أَرْض لا تشب بها	نار المجوس ولا تبنى بها البيع
ولا يطا القرد والخنزير ساحتها	لكن بها العين ووالذيال والصدع (٢)

(١) إذ قال : بانت نعمة والدنيا مفرقة وحال من دونها غيران مزعوج

فقيل له : « لا يقال مزعوج ، إنما يقال : مزعَج » فكره ذلك وهجا النحويين
بالأبيات المذكورة . إرشاد الأريب ١٠٣/١٢

قلت : بالرجوع إلى معاجم اللغة يتبين بطلان تقديمهم ونقص اطلاعهم ، إذ نصوا
على أن (زعجه) مثل (أزعه) ، ومن حق هذا الشاعر السليقي أن يغضب لطبعه
الصحيح على من حاول الطعن فيه بلا حق ولا علم .

(٢) الزيادة من إنباه الرواة ٤٢/٢ وفي ترتيب الأبيات وبعض كلماتها خلاف . =

ولست أشك أن القوم بالغوا في التزام القياس وتطويع اللغة له حتى خرج بعضهم على طبيعة الأشياء وكادوا ينسون أن القياس مستبطن من اللغة وأن اللغات لا تبنى على قياس مخترع . والاعتدال هو الصواب في كل الأمور ، وتعجبي في ذلك كلمة محمد ابن الجيان من أصحاب الفارسي : « قياسات النحو تتوقف ولا تطرد ، كقميمص له جُرُّ بانات ، فصاحبه يخرج رأسه كل ساعة من جربان . » (١)

...

هذا ، ومن المنتظر أن يكون للعلل الشأن الذي قدمناه للقياس إذ كان مبنياً عليها فوُصف قوم بتميزهم بحسن النظر في علل النحو (٢) ، وانصرف قوم إلى الاختصاص بها والتأليف فيها خاصة ومما حفظت كتب الطبقات الأسماء الآتية :

- ١ - العلل في النحو لقطرب (- ٢٠٦)
- ٢ - علل النحو لابن كيسان (- ٣٢٠)
- ٣ - النحو المجموع على العلل لمبرمان (- ٣٤٥)

=العين : بقر الوحش . الذيال . الذيال : الثور الوحشي . الصدع : الفتى الشاب من الأوعال والظباء والحمر والابل .

(١) بغية الوعاة ص ٧٩ . والجربان فتحة القميمص .

(٢) كابن قادم المتوفى سنة ٢٥١ هـ

٤ - علل التحول لابن الوراق (- ٣٨١)^(١)
وهذا كاف في الدلالة على مبلغ العناية بهذا الباب .

(د)

العصر برون والقباس

وبعد ، فليت الأُمر وقف بالقياس عند المدى الذي وصل إليه الفارسي وابن جني ، إنه بدأ يتراجع القهقري بعد المئة الرابعة ، وغلب على اللغة وعلومها الجمود ، ثم آل هذا التراث إلى علماء لا سليقة لهم فغشوه بأغشية من مؤلفاتهم لا روح فيها ، فلما كانت مبشرات النهضة آخر المئة الماضية وأول هذه المئة ، وتدفق سيل حاجات الحياة من الحضارة الغربية ، وجد القوم أنفسهم إزاء مستحذات لا قبل لهم بها إلا إذا جدوا متكاتفين ، وهذا ما لم يكن ، لعوامل ليس هذا مكان ذكرها .

كثرت الصحف والمجلات والمؤلفات واحتاجوا إلى فيض من المصطلحات يعبرون بها فكانوا إزاء حاجات العصر الحديثة فريقين : فريقاً دعا إلى إدراج لغة السوق في الكتابة والمدارس على عاميتها وعجمتها ، وفريقاً جمد على ما ورد عن العرب الأولين ، وكان تجاذب بين الفريقين

(١) راجع تراجم هؤلاء الأعلام في بغية الوعاة .

معهما أنصارهما ... إلى أن قيص الله فريقاً ثالثاً ترقّع عن ابتذال الدهاء في الاسواق ؛ وحرص على التراث العربي الكريم ، فشمر عن ساعد الجد يتجرى لهذه المستحدثات مصطلحات عربية ، فإن لم يجد أحدث لها عن طريق الاشتقاق أو المجاز أو التعريب أحياناً قليلة . ثم كانت في مصر محاولات لتأسيس مجامع لغوية تسهر على سلامة الفصحى وتمدها بما تستطيع معه استمرار الحياة بنشاط ، ولم تثبت للزمن تلك المحاولات بمصر ، وإنما قام بالعبء - على قدر استطاعته - المجمع العلمي العربي بدمشق الذي أنشئ على عهد المرحوم الملك فيصل الأول سنة (١٩١٨ م) وكان نشيطاً كل النشاط أول حياته ، فأمد الصحافة ودواوين الحكومة والمدارس والمعاهد بفيض صالح من الاسماء والمصطلحات ، كما انصرف إلى اصلاح لغة الدواوين والصحف والكتب المدرسية بحيث لم يكن يجوز طبع كتاب لم ينظر في لغته احد أعضاء المجمع غير الجاهلين . ولم يطل بمجمع دمشق هذا النشاط أكثر من عشرين ، لكن الأمر استمر خارجه ، وسهرت المعاهد العليا والثانوية على استمرار النهضة .

ولا ينبغي أن ننسى هنا أثر التراجمة الأولين في مطلع النهضة بمصر ولا أثر المصححين في المطبعة الاميرية فيها من شيوخ الأزهروغيرهم (١) ،

(١) انظر بحثنا عن التراجمة من شيوخ الأزهرو نشر في العدد (٦٧٤) من مجلة

فما ترجم قديماً من كتب علمية في الطب والهندسة والعلوم حافل بأوضاع عربية ، وثمرات من ثمرات القياس تستحق التقدير. وقد ينفع المجامع اليوم إطلالة النظر فيما تشتت في هذه الطبقات القديمة النادرة من مصطلحات ونحت واشتقاق ، فالمعروف أن مدرسة الألسن وأساتذتها وخرجيها ، التسمت بكثير من العمل والجد وقليل جداً من الإعلان والتبجح على عكس مؤسسات بعدها ينفق عليها كثير من الأموال وتحاط بكثير من الجمعية ثم تشتغل بكل ما يبعدها عن الهدف الذي من أجله أنشئت ، وأغدق عليها مما جمع من كدح الفلاحين ما أغدق .

قرارات المحدثين

تعددت المحاولات في مصر كما أسلفت ، حتى صار الشعور بضرورة المجمع رغبة عامة للأمة ، لبهاها الملك فؤاد الأول رحمه الله بأخرة ، حين أسس (مجمع فؤاد الأول للغة العربية ^(١)) وبدأ عمله سنة (١٩٣٤ م) يضم حين التأسيس أعلاماً من خير علماء العربية ، وكان في جملة ما عالج من موضوعات قضية القياس في اللغة ، فأصدر فيها - بعد مذاكرات حول المشروعات

(١) ليحافظ على سلامة اللغة العربية وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها ملائمة حاجات الحياة في العصر الحاضر . - انظر المادة الثانية من مرسوم انشاءه ٦/١ من مجلته . هذا وقد أصبح اسم المجمع اليوم : مجمع اللغة العربية .

المقدمة - قرارات سديدة يصح ان نعدّها بعثاً لحركة القياس بعد نوم
امتد ألف سنة . من المئة الخامسة للهجرة حتى اليوم .
وبإثباتنا بعض هذه القرارات نختتم الكلام على القياس مادة وتاريخاً :

قرار التضمن (١)

التضمن أن يؤدي فعل أو ما في معناه مؤدى فعل آخر أو ما في معناه
فيعطى حكمه في التعدية واللزوم .

ويجمع اللغة العربية يرى أنه قياسي لا سماعي بشروط ثلاثة :

- ١ - تحقق المناسبة بين الفعلين .
 - ٢ - وجود قرينة تدل على ملاحظة الفعل الآخر ويؤمن معها اللبس .
 - ٣ - ملاءمة التضمن للذوق العربي .
- ويوصي المجمع ألا يلجأ إلى التضمن إلا لغرض بلاغي .
أمثلة التضمن في القرآن الكريم :

« ... وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم . » (٢)

ضمن (خلا) معنى (اتى)

(١) مجلة مجمع اللغة العربية ٣٣/١ وانظر الاحتجاج لهذه القرارات في ص ١٧٧ -

٢٦٣ من الجزء نفسه .

(٢) سورة البقرة ١٤/٢ .

- « الله يستهزى بهم ويمدُّهم في طغيانهم يعمهون . » (١)
 ضمن (يمد) معنى (يزيد)
 « .. والله يعلم المفسد من المصلح .. » (٢)
 ضمن (يعلم) معنى (يميز)
 « .. ولتكبروا الله على ما هداكم .. » (٣)
 ضمن (لتكبروا) معنى (لتحمدوا)
 « .. فأما لله مئة عام ثم بعثه .. » (٤)
 ضمن (أمات) معنى (ألبت)
 « .. لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً .. » (٥)
 ضمن (يألونكم) معنى (يمنعونكم)
 « .. وما يفعلوا من خير فلن يكفروه .. » (٦)
 ضمن (يكفروه) معنى (يجرموه)
 « .. ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم .. » (٧)
 ضمن (تأكلوا) معنى (تضموا)

(١) سورة البقرة/١٥

(٢) سورة البقرة/٢٢٠

(٣) سورة البقرة/١٨٥

(٤) سورة البقرة/٢٩٥

(٥) سورة آل عمران/١١٥

(٦) سورة آل عمران/١١٥

(٧) سورة النساء/٢

« أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصيباً مِنَ الْكِتَابِ . . » (١)

ضمن (ترى) معنى (تنتهي)

« . . وَلَوْ جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ » (٢)

ضمن (أذاعوا) معنى (تحدثوا)

« . . وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ . . » (٣)

ضمن (تارك) معنى (صادر)

« . . وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ . . » (٤)

ضمن (عتوا) معنى (انصرفوا)

« أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا » (٥)

ضمن (يهد) معنى (يتضح)

« حَقِيقٌ عَلَىٰ أَلا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ . . » (٦)

ضمن (حقيق) معنى (حريص)

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

اتَّسَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ . . » (٧)

ضمن (اتناقلتم) معنى (أخذتم)

(١) سورة آل عمران ٢٣/٣

(٢) سورة النساء ٨٢/٤

(٣) سورة هود ٥٣/١١

(٤) سورة الاعراف ٧٦/٧

(٥) سورة الاعراف ٩٩/٧

(٦) سورة الاعراف ١٠٤/٧

(٧) سورة التوبة ٣٩/٩

« ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا
عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه » (١)

ضمن (يرغبوا) معنى (ييخلوا)

« وياقوم من ينصرني من الله إن طردتهم . . » (٢)

ضمن (ينصر) معنى (يجير)

« ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون » (٣)

ضمن (تخاطب) معنى (تراجع)

قرار التعريب (٤) :

يجب أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية - عند الضرورة -
على طريقة العرب في تعريبهم .

قرار المولد (١) :

المولد هو اللفظ الذي استعمله المولدون على غير استعمال العرب ،
وهو قسمان :

(١) سورة التوبة ١٢١/٩

(٢) سورة هود ٣٠/١١

(٣) سورة هود ٣٧/١١

(٤) مجلة مجمع اللغة العربية ٣٣/١ وانظر الاحتجاج لذلك في ص ١٧٧ - ٢٦٣
من الجزء نفسه .

١ - قسم جروا فيه على أقيسة كلام العرب من مجاز أو اشتقاق أو نحوها ، كاصطلاحات العلوم والصناعات وغير ذلك ؛ وحكمه أنه عربي سائغ .

٢ - وقسم خرجوا فيه عن أقيسة كلام العرب إما باستعمال لفظ أعجمي لم تعربه العرب (وقد أصدر المجمع في شأن هذا النوع قرار التعريب السابق) ، وإما بتحريف في اللفظ أو في الدلالة لا يمكن معه 'التخريج على وجه صحيح ، وإما بوضع اللفظ ارتجالاً (١) .

والمجمع لا يجيز النوعين الأخيرين في فصيح الكلام .

في الصبغة والاشتقاق (٢) :

قرار (فعلة) للمرفة :

يصاغ للدلالة على الحرفة أو شبهها من أي باب من أبواب الثلاثي مصدر على وزن (فعالة) بالكسر .

قرار (فعولن) للتقلب والاضطراب (٢) :

يقاس المصدر على وزن (فعَـلان) لفعل اللازم مفتوح العين إذا دل على التقلب والاضطراب .

(١) ترتجلة السوفة وتروجه ، وربما سرى الى بعض الخاصة في كلامهم العادي كالجلعة والشرشة مثلاً .

(٢) ٣٤/١

قرار (فَعَال) للمرضى^(١) :

يقاس من (فَعَل) اللازم المفتوح العين مصدر على وزن (فَعَال) للدلالة على المرض .

قرار (فَعَال وفَعِيل) للصوت^(٢) :

إذا لم يرد في اللغة مصدر لفَعْل اللازم مفتوح العين الدال على صوت، فيجوز أن يصاغ له قياساً مصدر على وزن (فَعَال) أو (فَعِيل) .

قرار المصدر الصناعي^(٢) :

إذا أريد صنع مصدر من كلمة ، يزداد عليها باء النسب والتاء .

قرار (فَعَال) للنسبة إلى الشيء^(٢) :

يصاغ (فَعَال) قياساً للدلالة على الاحتراف أو ملازمة الشيء .
فإذا خيف لبس بين صانع شيء وملازمه ، كانت صيغة (فَعَال) للصانع وكان النسب بالياء لغيره ، فيقال (زَجَّاج) لصانع الزجاج ، (وزُجَّاجي) لبائعه .

(١) ٣٤/١

(٢) ص ٣٥/١

فرار اسم الآلة^(١)

يصاغ قياساً من الفعل الثلاثي على وزن (مِفْعَل ، ومِفْعَال ، ومِفْعَلَة) للدلالة على الآلة التي يعالج بها الشيء^(٢) .

فرار الاشتقاق من أسماء الأعيان^(٣) :

اشتق العرب كثيراً من أسماء الأعيان^(٤) .

والجميع يحيز هذا الاشتقاق - للضرورة - في لغة العلوم^(٥) .

(١) ٣٥/١

(٢) قلت : احكام هذه القرارات كانت موضع خلاف منذ القديم بين من يقصرها على ما لم يسمع له صيغة مخصوصة ، ومن يرى اطراد القياس فيها الى جانب ما سمع له صيغة اخرى ، والخطوة التي خطاها المجمع هي حسم الخلاف بيله الى اطراد القواعد وخيراً صنع .

(٣) ٣٦/١

(٤) ٣٧/١

(٥) فبقول مثلاً : منحّس (كما قالوا مفضض) ، مزنخ ، مبلر ، مقصدر ، مكهرب ممغظ ، مدسّى ، (مُعْضَى ، متعض) ، استماه البخار ، استماس الفحم استرب النشا (الرب الغليكويز = غسل الفاكهة) كما قالوا : حنّيته - بوبته - تربت يده ، أترّب جوّ ربه فتجورب ... - ارض مذبة ، المذبة - المزفت - زت الطعام (وتجد في احتجاجات السكندري كثيراً جداً مما اشتق العرب من أسماء الأعيان) ص ٢٣٦-٢٦٨ من المجلة نفسها .

قرار مطاوع (فعل) التمرني^(١)

كل فعل ثلاثي متعد دال على معالجة حسية فطاوعه القياسي : (انفعل)
ما لم تكن فاء الفعل واواً ، أو لاماً ، أو نوناً ، أو ميماً ، أو واءاً ،
ويجمعها قولك (ولنمر) فالقياس فيه (افتعل) .

قرار مطاوع (فعل) بتشديد العين^(١) :

قياس المطاوعة لفعل مضعف العين (تفعل) ، والأغلب فيما
ضعف للتعدي أن يكون مطاوعة ثلاثيه .

قرار مطاوع (فاعل)^(١) :

(فاعل) الذي أريد به وصف مفعوله بأصل مصدره مثل (باعدته) ،
يكون قياس مطاوعه (تفاعل) كتباعد .

قرار مطاوع (فعلل)^(٢) :

(فعلل) وما ألحق به قياس المطاوعة منه على (تفعلل) نحو دحرجته
فتدحرج ، وجليته فتجليب .

قرار التعدية بالهمزة^(١) :

يرى المجمع أن تعدية الفعل الثلاثي اللازم بالهمزة قياسية .
قرار صيغة (استفعل) للطلب والضرورة^(١) :

يرى المجمع أن صيغة (استفعل) قياسية لإفادة الطلب أو الضرورة .
ملحقات الاصول العامة^(١) :

الأول — يفضل اللفظ العربي على المعرب القديم إلا إذا اشتهر بالمعرب .
الثاني — ينطق بالاسم المعرب على الصورة التي نطقت بها العرب .
الثالث — تفضل الاصطلاحات العربية القديمة على الجديدة ، إلا إذا شاعت .

الرابع — تفضل الكلمة الواحدة على الكلمتين فأكثر عند وضع اصطلاح جديد ، إذا أمكن ذلك ، وإذا لم يمكن تفضل الترجمة الحرفية^(٢) .

(١) ٣٧/١

(٢) وفي ٣٣/٢ فما بعد قرار :

- ١ - تکملة مادة لغوية ورد بعضها في المعجمات ونحوها ولم ترد بفتحها .
 - ٢ - قرار النسبة الى جمع التكسير (عند ضرورة التمييز ونحوها) .
 - ٣ - قرار قياس (مفعلة) للـ كان يكثر فيه الشيء .
 - ٤ - قرار قياس (فعّال) للمبالغة في الثلاثي اللازم والمتعدي .
- وفي ١٧٤/١٤ بحث ثم قرارات في قياسية جموع التكسير - فليرجع الى ذلك كله .

وأنت قد عرفت أن أكثر هذه القرارات كانت حول القضايا التي كان فريق من العلماء يقصرها على السماع وآخر يفيس عليها ما لم يرد عنهم فيه سماع ، اما المجمع الحديث فقد نهج منهجاً يستطيع ان يحقق به مقتضيات الزمن ، وقد سبقه الى سد الثلمة - وان كان على نحو علمي أضيق - مجمع دمشق . أما الجامعة السورية فقد اضطر أساتيدها منذ انشائها ورجال الطب منهم خاصة إلى مصطلحات علمية كثيرة؛ وضعوها على ما تقتضيه الأصول العربية تعريباً واشتقاقاً ووضعاً فأغنوا بعض الغناء^(١).

والذي نختم به هذا البحث أن الواجب لا ينتهي برسم الخطة، بل إن رسم الخطة شيء وتحقيقها شيء آخر؛ فإذا شرع المجمع يحقق ما رسم ويمد المعاهد والمؤسسات والمجتمع كله بما يحتاج إليه من أسماء وأفعال لحاجاتنا اليومية والاجتماعية والعلمية والفنية والوجدانية ، والحضارية بصورة عامة؛ إذا فعل ذلك كان في طريق أداء الواجب عليه وتحقيق المصلحة التي من أجلها أنشأ منشئه رحمه الله .

ويبقى بعد ذلك للغة العربية فيض زاخر من المراتة ، على أهلها أن

(١) ثم استمروا في تقديمهم حتى صار لكل استاذ فن منهم معجم للمصطلحات التي واستعملها وضما في مؤلفاته واخذها عنه طلابه ، بحيث تفكر كلية الطب اليوم بطبع معجم طبي في اللغة العربية لكثرة ما توفّر لديها من مصطلحات . والذي قام به اساتيد هذه الكلية في اكثر من ثلاثين عاما عمل جليل يستحق شكر العربية والوطن فقد كانوا اكثر من اساتذة ، كانوا اصحاب رسالة وايمان

يفيدوا منه ولا يطلوه . إذ قد ثبت على مر الزمن أنها تسبق الباحثين
والمستبطين ولا يعجزونها ، وأن كل عصر أفاد منها على قدر استعداد أهله
ومواهبهم وملكاتهم . وحسبك أن تقابل بين الأصمعي والتحليل وقد
كانا في زمن واحد ، وبين ابن خالويه وابن جني وقد أظلهما عصر واحد
أيضاً ، لتميز مدى ما يفيد ذو الملكة المبدعة الخلاقة من الدائرة الضيقة التي
يدور فيها ذو الذهن المقيد ، واللغة بعد واحدة والفرص المتاحة أيضاً واحدة :
والكن تأخذ الأذهان (منها) على قدر القرائح والفهوم



الاشتقاق

في اللغة العربية

الاشتقاق

١ معناه - ٢ أنواعه - ٣ مصدره - ٤ أحكامه - ٥ خاتمة

(١)

معنى الاشتقاق

أقدم استعمال لهذه الكلمة في معناها المعروف ماورد في الحديث الصحيح:
« يقول الله : أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها من اسمي . » (١)
ومعناها الاصطلاحي :

أخذ لفظ من آخر مع تناسب بينهما في المعنى وتغيير في اللفظ يضيف
زيادة على المعنى الأصلي ، وهذه الزيادة هي سبب الاشتقاق .

(٢)

أنواع

حصروه في أنواع أربعة : صغير . وكبير ، وأكبر ، وكبير

(١) المزهري للسيوطي ٣٤٦/١ والرحم والرحمة واحد

١ — الاشتقاق الصغير أو الأصغر :

وهو المراد حين يطلق لفظ الاشتقاق مثل كلمتي (عالم ، ومعلوم) من (العلم) . ويتفق هنا المشتق والمشتق منه في الأحرف الأصلية وفي ترتيبها . وأفراد هذا الاشتقاق عشرة : الفعل الماضي ، والفعل المضارع ، وفعل الأمر ، واسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة باسم الفاعل واسم التفضيل ، واسم الزمان ، واسم المكان ، واسم الآلة .
وأمرها جميعاً من حيث قواعد الاشتقاق معروفة للجميع فلا نعرض لها هنا بشيء .

٢ — الاشتقاق الكبير :

أن يكون بين الكلمتين تناسب في المعنى واتفاق في الأحرف الأصلية دون ترتيبها مثل : حمد ومدح ، وجبذ وجذب ، وكلم ولكم .
وسنعرض له بشيء من البيان ،

٣ — الاشتقاق الأكبر :

أن يكون بين الكلمتين تناسب في المعنى واتفاق في الأحرف الثابتة وتناسب في مخرج الأحرف المتغيرة ، مثل : نهق ونعق ، وعنوان وعلوان :
لكن تتبعات اللغويين هدت إلى عدم لزوم هذا القيد (تناسب الخارج) كما يظهر لك من الزمر الآتية :

أ — صرير البكرة وصريفها — الحرق والحرب (كل ثقب مستدير والحرب ثقب الأذن) — هديل وهدير .

ب — الحرف المضعف مع آخر : كدّ وكدح ، رصّ ورصف ،
زحّ وزحل ، رجّ ورجف ، ضمّ وضمد ، ردّ وردع .

ح — الناقص مع حرف آخر : رسا ورسب ، سما وسمق ، زجاوزجر
هذى وهذر ، محأومح ، احتفى واحتفل ، دهدي ودهدم ، أسي
وأسف ، رخا ورخص ، الحجى والحجر ، هباء وهباب .

د — المضعف يحول ناقصاً : ربّ ورباء ، طمّ وطمى ، تمّطط وتمّطى
تقّضض وتقّضى ، تظنّن وتظنّنى .

ه — المضعف يحول أجوف : ضرّ وضار ، كعّ وكاع^(١) .. الخ .

ومن المحدثين من هذا حدوا بن جني الذي سيأتي بيانه بعد في الكلام
على الاشتقاق الكبير ، فاستقرى بعض الحكماء التي تشترك في الحرفين
الأولين فوجد فيها كلها معنى مشتركاً ، ولو تيسر له مواصلة استقرائه
لطلع علينا — فيما أقدر — بنظرية تؤيد القائلين اليوم بأن الأصل في
الكلمات العربية ثنائي لا ثلاثي ، قال :

« والذي يتقرى كلم اللغة العربية بأنعام نظر يجد أن لمعظم موادها
أصلاً يرجع إليه كثير من كلماته إن لم نقل كلها ، خذ على ذلك مادة (فل)
وما يثلاثها تجد الجميع يدور حول معنى الشق والفتح مثل : فلعج ، فلعج ، فلع
فلق ، فلد ، فلى . ومثل ذلك مادة (قط) وما يثلاثها تقول : قطّ ، قطع

(١) كتاب الاشتقاق والتعريب

قطر ، قطف ، قطن . وكلها بمعنى الانفصال . « (١)

واليك مثلاً آخر لمحدث أيضاً :

الهمزة والباء مدلولهما النفور والبعد والانفصال بين الشيئين :

أَبَّ للسير : تهباً له . أَبز الظبي : وثب وانطلق .

أَبَّت اليوم : اشتد حره فقطع الناس أَبق العبد : نفر عن مولاه .

عن أعمالهم . أبل : توحش .

أبد الوجش : نفر . أبه عن الشيء : تنزه عنه .

أبر النخل : قطع منها شيئاً | أبقى عن الضيم : فرغه . (٢)

ولأمر ماجرى صاحب (المصباح المنير) في أبواب معجمه على أن

يقول مثلاً (الهمزة والباء وماثلتهما) ... هكذا إلى آخر الأبواب، فهل

كان يشير إلى أن وراء كل أصلين معنى مشتركاً يكمن في كل ماتفرع

منهما من كلم؟ وإذا تكون نظرية (المعجمية الثنائية) التي يشيد بها بعض

العصرين قد فطن إليها لغويو العرب ومروا بها غير متلبثين لقلة

جدواها العملية .

٣ -- الاشتقاق الكبّار :

زاده بعضهم^(٣) مطلقاً إياه على ما يسمى بالنحت ، فجعل منه :

(١) المرحوم الاستاذ طه الراوي : مجلة المجمع العلمي العربي دمشق ١٣/٢٢٠

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية ٢/٢٤٥

(٣) انظر مجلة مجمع اللغة العربية ١/٢٨٣ : بحث الاستاذ عبد الله أمين

(عشمي من : عبد شمس) و (حولق من : لاحول ولا قوة الا بالله).
ومراعاة معنى الاشتقاق تنصر جعل النحت نوعاً منه، وإن فضل المتمسكون
بالاصطلاح الفني إفراده من الاشتقاق .

وهذا النحت ذو انواع أربعة :

١ - فعلية : ينحت من الجملة دلالة على النطق بها أو حدوث مضمونها
فأمثلة الحالة الأولى : بأباً = قال بأبي أنت ، جعفل = قال : جعلت
فذاك ، سبجل = قال : سبحان الله ، دمعز = قال : أدام الله عزك ،
سمعل = قال : السلام عليكم ، فذلك = قال : فذلك .. الخ
ومثال الحالة الثانية : بعثر = بعث وأثار ،

٢ - وصفي : ينحت من كلمتين دلالة على صفة بمعناها أو أشد منه :
ضبطر : من الضبط والضبر (الاكتناز) ، صلدم (شديد الحافر) :
من الصلد والصدم ، صهصلق : من الصهيل والصلق (وهو الصوت
المرتفع) .. الخ .

٣ - اسمي : ينحت من اسمين جامعاً بين معنيهما :
جلهود : جلد + حمد ، حنقُر (بمعنى البرد) = حَبْ قُرّ ، عقايل
(بقايا العلة في الجسد) = عقي الجمي وعقي العلة .. الخ ، وهي كلمة لا مفرد لها .

٤ - نسبي : ينحت نسبة إلى علمين :

طبر خزي : نسبة إلى طبرستان وخورازم ، شفعتي : نسبة إلى الشافعي

وأبي حنيفة (١)

وسمع عن العرب : عبشمي : نسبة إلى عبد شمس ، عبدري : نسبة إلى عبد الدار ، مرقسى : نسبة إلى امرئ القيس ، تيملي إلى تيم اللات .. الخ ،

• • •

هذا ويتعلق النوع الأول من الاشتقاق بعلم الصرف ، أما الأنواع الثلاثة الباقية فتتعلق ببحوث اللغة .

وسنعرض بشيء من الإفاضة إلى الاشتقاق الكبير خاصة لشأنه المرموق دون بقية الأنواع .

في الاشتقاق الكبير

إذا قلبت فعلاً ثلاثياً على أوجه الستة ، فأت واجدين معانيها قدراً مشترك في الكلمات المستعملة منها ؛ فكان هذا القدر هو المعنى الأساسي لها جميعاً ، ثم تنفرد كل منها بمعنى ليس في سائرهما ، وهذه حال تشبه حال المشتقات مع المصدر في الاشتقاق الأصغر .

مؤسس هذه (النظرية) ومبدعها ووضع اصطلاحها الفيلسوف اللغوي ابن جني أحد الأئمة الأعلام في المئة الرابعة الهجرية ، فقد صرح

(١) الاشتقاق والتعريب

في كتابه الخصائص في (باب الاشتقاق الأكبر) ^(١) بما يلي :

« هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا ، غير أن أبا علي (الفارسي) رحمه الله كان يستعين به ويخلد إليه مع إعواز الاشتقاق الأصغر ، لكنه مع هذا لم يسمه ^(٢) وإنما كان يعتاده ويستروح إليه ويتعلل به ، وإنما هذا التلقب لنا نحن وسنراه فتعلم أنه لقب مستحسن ، وذلك أن الاشتقاق عندي على ضربين : كبير وصغير ، فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم : كأن تأخذ أصلاً من الأصول فتقرّاه فتجمع بين معانيه وإن اختلفت صيغته ومبانيه ، وذلك كتركيب (س ل م) فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه نحو : سلم ويسلم وسالم وسلمان وسلمى والسلامة السليم ..

(١) ١٣٣/٢ . « وهو البحث الذي لا يزال يؤتي ثمره الى اليوم ، والذي يختص بمادة الكلمة دون هيئتها ، ولم يكن لعلماء اللغة من العرب إنتاج أعظم من هذا » - آدم متر في كتابه (الحضارة الاسلامية في القرن الرابع ١ / ٣٣٠ الطبعة الثانية سنة ١٩٤٧ . هذا ويريد ابن جني بـ (الاشتقاق الأكبر) ما اصطلاحنا في تقسيمنا على تسميته بـ (الكبير) كما تقدم آنفاً فتنبه الى ذلك .

(٢) قلت : في الفهرست لابن النديم ص ٩٥ (المطبعة الرحمانية بمصر) أن للرماني كتاب : (الاشتقاق الصغير) وكتاب (الاشتقاق الكبير) ، والرماني من آراب الفارسي وأقرانه ، فلعل ابن جني لم يطلع على كتابيه هذين . هذا اذا كان قوله (الصغير ، والكبير) صفتين للاشتقاق لا للكتاب . توفي الرماني سنة (٣٨٤) وهو ممن كان يمزج النحو بالمنطق ، حتى كان الفارسي يقول : « إن كان النحو ما يقوله الرماني فليس معنا منه شيء ، وإن كان ما نقوله نحن فليس معه منه شيء » .

وأما الاشتقاق الأكبر فأن تأخذ أصلاً من الاصول الثلاثة فتعقد عليه وعلى تقاليمه الستة معنى واحداً تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه ، وإن تباعد شيء من ذلك (عنه) رد بلطف الصنعة والتأويل إليه ، كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد . « ثم مضى ابن جني يضرب الامثلة على قاعدته وإليك خطأ منها :

مادة (قول) في جميع تراكيبها الستة تدل على الإسراع والحركة : قول : زهو القول وذلك ان الفم واللسان يخفان له ... وهو بضد السكوت الذي هو داعيه الى السكون .

قل و : القلّو حمار الوحش وذلك لحفته وإسراعه ، ومنه (قلوت البسر والسويق) وذلك لأن الشيء إذا قلّ جف وخف ، وكان أسرع الى الحركة وألطف .

وقل : الوقيل للوعل وذلك لحركته ، توقيل في الجبل إذا صعد فيه وذلك لا يكون الا مع الحركة والاعتمال .

ولق : ولقى يلقى إذا أسرع .

لوق : في الحديث (لا آكل من الطعام إلا ما لوقلي) اي ما خدم وأعملت اليد في تحريكه ، ومنه اللوقة : الزبدة وذلك لحفتها وإسراع حركتها وأنها ليست لها مسكة الجبن .

لقو : اللسّوة للعُقاب ، قيل لها ذلك لحفتها وسرعة طيرانها^(١) .
وقد احتذى المتأخرون من عصرينا حذو ابن جني فقدموا لنا أمثلة
كثيرة على منواله ، وبعضهم انحرف في تطبيقها فأتى بجديد كما رأيت
في صنيع الاستاذ طه الراوي رحمه الله وغيره . وإليك مثلاً آخر :
انظر تقاليد مادة (نجد) تجدها كلها تنفيذ القوة فهي المعنى المشترك لها :
فـ النجد : الشجاع ، وما ارتفع من الأرض ، والنجدة القتال ، والنجدة
الفرع ؛ وفي كل ذلك قوة .

والجند : بهم تكون القوة .

والجدن : حسن الصوت وهو قوة ، وأجدن استغنى بعد فقر ؛ وفي
الاستغناء قوة .

والدناج : إحكام الأمر وهو قوة .

والدجن : المطر الكثير وفيه قوة .

والدجنة : الظلمة والظلمة رهب ففيها قوة^(٢) .

على أن هذه النظرة العميقة مكنت الاشتقاقيين « من رد الكلمات التي
اشتركت في معنى واحد بعضها إلى بعض بالقلب والإبدال ، وأطلعهم على
سر تولد اللغة ونموها » .

(١) الخصائص ٥/١ - ١١ وقد فعل مثل ذلك بمادة (ك ل م) ص ١٣ - ١٧

فاتظرها ثمة بانعام .

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية ٢٠٠/٢

ولم يعدم هذا المذهب مبالغين فيه حملتهم قلة بضاعتهم وسوء بصارتهم على أن يخرجوا إلى غير الاعتدال ، فقد حكى السيوطي في (الزهر) ^(١) أن أحدهم سئل : « من أي شيء اشتق الجرجير ؟ » فقال : « لأن الريح تجرجره ... ومن هذا قيل للجبل الجريج لأنه يجرج على الأرض » قال : « والجرجة لم سميت جرجة ؟ » قال : « لأنها تجرج على الأرض » فقال « لو جرت على الأرض لانكسرت » ، « فالجرجة لم سميت جرجة ؟ » قال : « لأن الله جرها في السماء جرجا » قال : « فالجرجور الذي هو اسم المئمة من الابل لم سميت به ؟ » فقال : « لأنها تجرج بالازمة وتقاد .. الخ » وقال آخر انما سمي الثور ثوراً لأنه يثير الارض ..

وركب هذا المتهرب بعض المصريين فأولع برد الكلمات الاعجمية الى العربية، حتى ان بعضهم سئل عن ^(٢) (البنجرة) وهي الشباك بالتركية ، فقال إنها من (فتجر الرجل) إذا فتح عينيه والنافذة في الجدار فتحت ^(٣)

(٣)

مصدر المستقاة

ليست هذه المسألة موضع اتفاق بين البصريين والكوفيين ،

(١) الجزء ١/ ٣٥٤ والخبر مفصل في ارشاد الارب عن ابراهيم الزجاج فانظره نمة ١/ ١٤٤ إذ زعم « أن كل لفظتين اتفقتا بعض الحروف وان نقص حروف احدهما عن حروف الاخرى فان احدهما مشتقة من الاخرى » وسرد امثلة عدة وقد روى ياقوت تنكيث المعارضين عليه

(٢) مجلة الجمع العلمي العربي ١٣/ ٢٢٠ . ثم اتخذ بعض الظراف الدعابة مركباً في هذا الباب ، فذهب يرد كثيراً من الكلمات الاجنبية الى العربية تعريضاً بالمتقربين فيقول مثلاً أصل (الالكتريك) : آلة تريك ، وأصل المادة الهاضمة (الكاربونات) (الكرب نط) .. الخ .

فالأولون يذهبون إلى أن المصدر أصل الفعل ، والكوفيون يرون أن المصدر مشتق من الفعل وفرع عليه ، وللفريقين أدلة وردود سردها ابن الأنباري في كتابه (الإيضاف في مسائل الخلاف) في المسألة الثامنة والعشرين (١٤٤/١ — ١٥٢) وكان قد أفرد لها في تأليف مستقل .

فمن أدلة الكوفيين : أن المصدر لا يتصور معناه ما لم يكن له فعل فاعل ، فينبغي أن يكون الفعل الذي يعرف به المصدر أصلاً للمصدر . وأن المصدر يذكر تأكيداً للفعل ورتبة التوكيد بعد رتبة المؤكّد ، وأنا نجد أفعالاً لا مصادر لها مثل : نعم ، بئس ، عسى ، ليس .. الخ ومن أدلة البصريين : أن المصدر يدل على مطلق الزمان لا اختصاص له بزمان دون زمان ، فلما احتاجوا إلى الدلالة على زمن محدد اشتقوا منه الفعل ليدل على الحدوث والظرف معاً .

وأنه لو كان مشتقاً من الفعل لكان يجب أن يجري على سنن في القياس : كاشتقاق الأفعال وأسماء الفاعلين ..

وأنه لو كان مشتقاً من الفعل لوجب أن يدل على ما في الفعل من الحدث والزمان وعلى معنى ثالث هو سبب الاشتقاق ، كما دل اسم الفاعل مثلاً على معنى الفعل (الحدث والزمن) وعلى الذات الفاعلة .. الخ .. إلى أدلة كثيرة صناعة لكل من الفريقين . يجد المدقق فيها كلها اجتهاداً في النظر ووجهاً من الحق .

ومن الباحثين المحدثين من دعم رأي الكوفيين وعممه على كل اللغات

السامية . ذاهباً إلى أن القائلين بأن المصدر أصل الاشتقاق متأثرون بعقليتهم الفارسية .

قال إسرائيل ولفنسون مدرس اللغات السامية بالجامعة المصرية سابقاً :
« وقد رأى بعض علماء اللغة العربية أن المصدر الاسمي هو الأصل الذي يشتق منه أصل كل الكلمات والصيغ ؛ ولكن هذا الرأي خطأ — في رأينا — لأنه يجعل أصل الاشتقاق مخالفاً لأصله في جميع أخواتها السامية .

وقد تسرب هذا الرأي إلى هؤلاء العلماء من الفرس الذين بحثوا في اللغة العربية بعقليتهم الآرية ، والأصل في الاشتقاق عند الآريين أن يكون من مصدر اسمي ، أما في اللغات السامية فالفعل هو كل شيء ، فنه تتكون الجملة ولم يخضع الفعل للاسم والضمير ، بل نجد الضمير مسنداً إلى الفعل ومرتبباً به ارتباطاً وثيقاً ^(١) .

ثم ذكر هذا المستشرق اليهودي أن هذه نظريته الخاصة إذ لم يشر إليها أحد من علماء الافرنج . ومع رغبته في أن يعم بنظريته هذه اللغة العربية ولغته العبرية يجدر بالمتأمل الوقوف وعدم القطع بما لم يقيم عليه البرهان الساطع ، فما أكثر الظواهر التي خالفت فيها العربية أخواتها الساميات .

(١) تاريخ اللغات السامية ص ١٤ (لجنة التأليف والترجمة والنشر - الطبعة

وربما ذهب إلى تأييد نظرية الكوفيين غيره من الباحثين المحدثين ،
والمسألة بعدُ نظرية صرف لم يقيم فيها دليل حاسم ، ولا لنا منها اليوم
جدوى عملية .

* * *

وأي كان فالذي نميل إليه الآن هو أنه إذا كان في المشتق زيادة
معنى على المشتق منه ، وكان البسيط مقدماً على المركب - وذلك مسلم
عند الفريقين - فأصل المشتقات كلها - صناعة - المصدر لا الفعل ،
لأن المصدر يدل على حدث والفعل يدل على حدث وزمن ، والأسماء
المشتقة تدل على حدث وزمن مع زيادة ثلاثة كالدلالة على الفاعل أو
المفعول أو التفضيل أو المكان . فهذه الكثرة من المشتقات التي جعلت
للغة سمعتها ومراتها أخذت من المصادر التي هي جميعاً أسماء معان . وقد
مر بك (ص ٨٠) كلمة الفارسي في أن « رتبة المشتق أن يكون بعد » .
على أن العرب لم تحجم أحياناً عن الاشتقاق من غير المصادر ، فاشتقت
من أسماء معان ومن ذوات حسية ومن أسماء الأزمنة والامكنة ومن
أسماء الاصوات ومن الحروف وإليك البيان ^(١) :

١ — عمدوا إلى الأعداد وهي أسماء معان جامدة فقالوا : وحُد

(١) عن مجلة مجمع اللغة العربية ٣٨٥/١ فما بعد ، باختصار وتصرف

وتوحد : بقي وحده ، وثنيته تنثية جعلته اثنين ، وثلاثهم جعلتهم ثلاثة ، وربعتهم وخمستهم .. إلى (عشرتهم) ، وفي المخصص : « كانوا تسعة وعشرين فثلاثهم : أي صرت لهم تمام ثلاثين ، وكذلك جميع العقود إلى المئة ، فإذا بلغت المئة قلت : « كانوا تسعة وتسعين فأمايتهم ، وكانوا تسعمائة وتسعة وتسعين فآلفتهم » .

٢ — واشتقوا من أسماء الأئمنة وهي أيضاً أسماء معان جامدة ، اشتقاقاً صريحاً يكاد يكون مطرداً . ففي اللسان : أخرف القوم : دخلوا في الخريف ، وشتوت بموضع كذا وتشتيت : أقمت به في الشتاء ، وأربعوا : دخلوا في الربيع ، وتربعوا الموضع : أقاموا فيه بالربيع ، وأصافوا : دخلوا في الصيف وصافوا بمكان كذا ، وأجروا دخلوا في الفجر ، ومثلها أصبحوا ، وأشرقوا : دخلوا في وقت الشروق ، وأظهروا وأعصروا وأصلوا ، وفي الحديث : (كان في سفر فاعتشى في أول الليل أي سار وقت العشاء) واستحروا وابتكروا . وساوعه : استأجره الساعة أو عامله بها ، وألبلوا .. الخ .

٣ — واشتقوا من أسماء الذوات كأعضاء الانسان ، فقالوا أذنه وراه وسره ، أي ضرب أذنه ورثته وسرته .. الخ وتأبط الشيء وضعه تحت إبطه .. ومن غير أعضاء الانسان قالوا : أبرته العقرب : لسعته بآبرتها ، وأبّل الرجل : كثر إبّله ، وأزرتة : ألبسته إزاراً ، واستأسد وأسد : صار كالأسد .. الخ .

وقالوا: أأورق الشجرُ، وعقرب الصدغُ، وفلفل الطعام الخ ومن
الشجر قالوا: شجرت فلاناً بالرحم تأويله: جعلته فيه كالغصن في
الشجرة (١).

٤ — واشتقوا من أسماء الأصوات حتى لقد ذكر ابن جني أنه
« ذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات
كدوي الرياح وحنين الرعد وخرير المياه، ونعيق الغراب وصهيل
الفرس... ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد. وهذا عندي وجه
صالح ومذهب متقبل » (٢).

وأصل حكاية الاصوات في اللغة العربية على حرفين مثل (ط ق) ،
ق ب) أو ثلاثة أوسطها لين مثل (غ اق) ومنها اشتقت الأفعال . فكلمة
(ص ل) يحكى بها صوت شيء يابس إذا تحرك والفعل المشتق منه
(ص ل) ، فإن تكرر قالوا (ص ل ص ل) ، قالوا : ص ل اللجام إذا صوت .
فاذا تكرر قلت : ص ل ص ل ، وسمي الطين اليابس (ص ل ص ل) لذلك .
وكلمة (جى جى) دعاء الأبل للشرب فاشتقوا منه فعلاً فقالوا :
« جأجأ بالأبل » إذا دعاها للشرب ، وقال الراجز :

وما كان على إلهي ولا الجيء امتداحيك
أي على الطعام والشراب .

(١) المزهر ١/٣٥١

(٢) الخصائص ١/٢٦

ودعاء المعز بكلمة (عا ، عا) فجعل الراجز لاسم الصوت هذا فعلاً
ومصدراً فقال :

يا عنز هذا شجر وماءُ عا عَيْتُ لو ينفعني العيماء
وآخر الأثلة التي تقدمها كلمة (صخ) وهي حكاية صوت حادث
من ضرب صخرة بصخرة ، فاشتق العرب منها فعل (صخ) واستعملوا
كلمة (الصاخة) وهي الصيحة تصخ الأسماع ، واشتقوا : أصاخ بمعنى استمع
للصوت ، وربما كان اسم (الصخر) نفسه مشتقاً من اسم صوته ، ثم اشتقوا
منه فقالوا : مكان مصخر كثير الصخر . وربما كان منه (صرخ) و (صخب)
و (صخذ) وهو صوت الصرد . وقريب منه الصماخ للأذن لأنه جزء من
أداة السمع : وجعل ما ذكره بعض المحدثين ^(١) من جعلهم بعض الحروف
أساساً في كلمات عدة يلاحظ صوته في معانيها جميعاً : كالنون في الطن
والرن والقف في الطرق والشق والدق .

هـ — واشتقوا من حروف المعاني أفعالاً ومصادر فقالوا : أنعم الرجل
قال نعم ، سوف الحاجة : إذا ما طل وقال مرة بعد مرة : سوف أقضيها ،

(١) احمد امين بك في محاضرة له (القياس) بمجمع اللغة العربية في دورة ١٩٤٩
وقال عقب ذلك : « وعند تحري هذا الباب نراهم يحاكون أولاً صوت المسموع
بالأذن ، ثم ينقلونه الى المبصر بالعين ، ثم ينقلونه الى المحسوس بباقي الحواس الخارجية
ثم الى العقول بالعقل ، فتلاوا نظرنا الى كلمة (حس) وتبعناها وجدنا أن المصدر
الاصلي لـ (حس) كان صوتاً سنيا تخيلوا انه يسمع عند الحس أي عند المس باليد .

وقالوا : (سألتك حاجة فلو ليت لي : قلت لي لولا ، ^(١) وقالوا : لالي الرجل : قال : لا ، وقالوا : لوى الكاتب لاء جيدة ، وقالوا : موّى إذا كتب (ما) ، وكوّف كافاً حسنة ، ودلّ دالا جيدة وزوّى زايّاً قوية ^(٢) .

٦ - بل كان الاشتقاق عندهم كالمصارة المعدية تحالط كل غذاء فتهضمه و (تمثله) الجسم متحولاً إلى جنس دمه ، فقد صبت هذه المصارة على الأعلام العربية فقالوا تنزرو وتقحطن بمعنى انتسب إلى نزار وقحطان ^(٣)

= ثم انتقلوا من الاحساس باليد الى الاحساس بغيرها فسموا كل ما يشعر به محسوساً وسموا الآلات التي يحس بها حواس ، ثم اطلقوها على العلم الحادث من الحواس ، وعلى اليقين الحاصل من العلم بها ، واشتقوا أحس بالشيء إذا أدركه بحاسته ، ونقلوه الى أحسست بالشيء أي أيقنت به . ثم نوعوا هذا الصوت السيني فجعلوه مرة (حساً) ومرة (لمساً) ومرة (مساً) .. وتارة يلاحظون ما بين الحرف والمعنى من مناسبة فيلاحظون في الحاء آخر الكلمة دلالة على الاتساع والانتشار : (ساح ، باح ، صاح شرح ، مرج) ، والكلمة المبدوءة بالشين على التشتت والتفرق مثل (شن ، شطر شعت ، شع) .. والمبدوءة بالغين على الغموض : (غمض ، غاب ، غبش ، غارغطس غم ..) - انظر مجلة مجمع اللغة العربية ج ٧ ص ٣٥٧

(١) الخصائص ٣٤/٢

(٢) انظر الخصائص ٢٧٥/١

(٣) جاء في كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني : « ويدخل من تنزرو بها مع الابناء ، ويدخل أهل البلد من تقحطن بها مع بني شهاب » الابناء ابناء الفرس ، - انظر الاكليل الجزء العاشر ص ١٥ الحاشية «٤»

بل صبوها حتى على الأسماء الأعجمية وما زالت بها حتى لينتها للعربية
وطوعتها فاشتقت منها ، قال أبو علي الفارسي :
« إن العرب اشتقت من الأعجمي النكرة كما تشتق من أصول
كلامها ، قال رؤبة :

هل ينجنيني حلفٌ سخّيت أو فضة أو ذهب كبريت ^(١)
« فسَخّيت من السَخْت كَزِ حَلَب من الزحل ، » وحكى أيضاً عن
ابن الأعرابي ... « يقال درّهت الحُبّازى أي صارت كالدرهم فاشتق
من الدرهم وهو اسم أعجمي » ^(٢) .

« ومما اشتقه العرب من كلام العجم ما أنشدناه من قول الراجز :
هل تعرف الدار لأم الحزرج منها فظلت اليوم كالمرزج
أي الذي شرب الزرجون وهي الحمر ، فاشتق المرزج من الزرجون ^(٣) .
أما (زنديق ، ودينار ، وديوان ، ولجام ، ومهرجان ... الخ) . فأشهر
من أن يجهلها أحد ، فقد عربتها العرب وأكثرت من استعمالها حتى ظن
أنها عربية صرف ، واشتقوا منها أفعالاً ومصادر وصفات فقالوا : زندقه

(١) في اللسان : هل ينجنيني كذب سخّيت . والسخّيت : الصلب الشديد ،
أصله فارسي ، والدقيق الحواري ، والغبار الشديد الارتفاع — وانظر الديوان

(٢) الخصائص ٣٥٨/١ الزحليل : السريع

(٣) الخصائص ٣٥٩/١

تزدق ، ومدنر ، ودون تدويناً ، ومهرجوناً كل يوم^(١) . وقالوا من
(الجورب) : (جوربتة فتجور رب) بمعنى (ألبسته الجورب فلبسه)^(٢)
وقالوا من (المنجنيق) : (جنى الحجاج الكعبة)^(٣) .. الخ .

(٤)

أصطلاحات تتعلق بالاشتقاق

المحقق وغيره - الطرد وغيره - أركان الاشتقاق - تغييراته - ما يتمنع على
الاشتقاق - كتبه .

الاشتقاق المحقق وغير المحقق

الاشتقاق المحقق : أن تظهر الدلالة على المعنى المراد بالاشتقاق ، مثل
اشتقاق (عالم) من (العلم) .
وهو ثلاثة أنواع :

الأول - المفرد : وهو الاشتقاق الذي لا يعارضه اشتقاق آخر
كـ (ضارب) من (الضرب) .

(١) قالها علي بن أبي طالب لما قدموا إليه حلوى يوم المهرجان ، ولما قدمت إليه
حلوى يوم النيروز قال : « نيروزنا كل يوم » - تاج العروس مادة «رز»

(٢) انظر هذه المادة في لسان العرب

(٣) انظر محاضرات الراغب ٣٦٧/٢

الثاني - الراجح : وهو الاشتقاق الذي يعارضه اشتقاق آخر ، ولكن الأول أرجح ؛ وذلك مثل كلمة (موسى) :

قيل : هي (مُفْعَل) من أَوْسَى بمعنى حلق ، وقيل هي (فُعْلَى) من مَاسٍ بمعنى تبخر (وقيل من رجل مَاسٍ أي خفيف طيَّاش) :
إلا أن كونها من (أَوْسَى) أرجح من (مَاسٍ) ، لأن (مُفْعَل) في كلامهم أكثر من (فُعْلَى) وهو أَقْسَى لأن (مُفْعَل) يشتق من كل (أَفْعَل) ، أما (فُعْلَى) فليس كذلك ، ولأن مُفْعَل منصرف و (فُعْلَى) غير منصرف .

الثالث - الواضح ، وهو الذي يعارضه اشتقاق آخر بلا ترجيح ، مثاله كلمة (الأُولَى) قيل هي من أَلَقَ بمعنى (جُن) فهي (فَوْعَل) وقيل هي (أَفْعَل) من (الولَق) وهو السرعة ، ولا مرجح لأحدهما (١) والاشتقاق غير المحقق أن تكون فيه شبهة اشتقاق فلا يكون اللفظ دالاً على المعنى المراد ، فكلمة (هَجْرِع) لارجل الطويل (قيل إنها من (الجرع) وهو السهل الطويل .

المطرود وغيره :

الاشتقاق المطرود عشرة أنواع : الأفعال الثلاثة والأسماء المشتقة السبعة (اسم الفاعل واسم المفعول . والصفة المشبهة أحياناً . واسم الزمان

(١) ابن جني يجعلها فوعلاً على كل حال «أصلها وولق» ثم قلبت

واسم المكان واسم التفضيل واسم الآلة). وبقية المشتقات غير مطردة كالتي مرت بك وك (القارورة) للزجاجة التي يقر فيها الماء.

أركان: لا بد في الاشتقاق من أركان أربعة: ١- المشتق ٢- المشتق منه ٣- تشاركهما في المعاني والحروف ٤- أن يكون بينهما تغيير لفظاً مثل (طالب من الطلب) أو تقديرأ مثل (طلب من طلب). ونعرف اشتقاق كلمة من أخرى بتقليبها على جميع الصيغ، حتى رجع إلى صيغة توجد في جميع تصاريفها، فكلمة (عالم) ليست مشتقة من معلوم لنقص بعض الحروف منها.

تغييرات: رد السيوطي تغييرات الاشتقاق إلى خمسة عشر:

- ١- زيادة حركة: علم وعلم.
- ٢- زيادة مادة: طالب وطلب.
- ٣- زيادتهما: ضارب وضرب.
- ٤- نقصان حركة: الفرس والفرس.
- ٥- نقصان مادة: ثبت وثبات.
- ٦- نقصانها: نزا ونزوان.
- ٧- نقصان حركة وزيادة مادة كغضبي وغضب.
- ٨- نقصان مادة وزيادة حركة كحرم وحرمان.
- ٩- زيادتهما مع نقصانها كاستنوق والناقة.
- ١٠- تغيير الحركتين كيطر ويطراً.

- ١١ — نقصان حركة وزيادة حركة وحرف ك اضرب من الضرب .
- ١٢ — نقصان مادة وزيادة أخرى ك راضع من الرضاعة .
- ١٣ — نقصان مادة وزيادة أخرى وحركة ك خاف من الخوف .
- ١٤ — نقصان حركة وحرف وزيادة حركة فقط ك (عَدَّ) من (الوعد) : فيه نقصان الواو وحركتها ، وزيادة كسرة العين .
- ١٥ — نقصان حركة وحرف وزيادة حرف ك (افخر) من (الفخار) نقصت الف وفتحة وزادت الف (١) .

الممنوع من الاشتقاق :

قالوا : لا يدخل الاشتقاق ستة أشياء :

- ١ — الأسماء الاعجمية .
- ٢ — أسماء الاصوات .
- ٣ — الأسماء المتوغلة في الإيهام مثل (من ، ما ، مهما) وماشابهها ،
- ٤ — الالفاظ النادرة مثل : طوبى .
- ٥ — الأسماء التي لها معان متقابلة ك (الجون) فهو الأبيض والأسود وكذا سائر أسماء الأضداد .
- ٦ — الحروف .

(١) المزهري ٣٤٨/١ هذا والذي في الاصل ك « فاخر » من الفخار نقصت ألف وزادت الف وفتحة ، ولم تظهر لنا صحته فرجحنا ما ثبتناه ، لانه هو المثل الذي يطابق الوصف المذكور .

وما ورد من ذلك فهو نادر مقصور على السماع — ١ هـ
وقد عرف مما تقدم لك أنهم يقتصرون على السماع ، فاشتقوا من
الحروف والاسماء الأعجمية وأسماء الأصوات وغيرها .

كتب الاشتقاق :

قال السيوطي :

« أفرد الاشتقاق بالتأليف جماعة من المتقدمين : منهم قطرب (٢٠٦-)
والاصمعي (٢١٥-) ، وأبو حسن الاخفش (٢٢١-) ، وأبو نصر الباهلي
(٢٣١-) ، والمفضل بن سلمة (٢٥٠-) والمبرد (٣٨٥-) والزجاج (٣١١-)
وابن السراج (٣١٦-) ، وابن دريد (٣٢١-) ، وأبو جعفر النحاس
(٣٣٨-) . وابن خالويه (٣٧٠-) ، والرماني (٣٨٤-) له الاشتقاق الكبير
و(الاشتقاق المستخرج) ويوسف الزجاجي الجرجاني (٤١٥-) ، وأبو عبيد
البكري (٤٨٧-) . وجمال الدين الشريشي الاندلسي (٦٨٥-) وعلي
الحوارزمي حجة الافاضل (٦٨٦-) . ومن هؤلاء من قصر الكلام على
ناحية خاصة هي اشتقاق الاسماء كالباهلي والمفضل ويوسف الزجاجي
والبكري والحوارزمي ، ومنهم من زاد في التخصيص كابن دريد فكسر
كتابه على (اشتقاق اسماء القبائل) والكتاب مطبوع متداول^(١)

(١) المزهر ١/٣٥١ وانظر انباء الرواة ١/١٠٣ و١٠٨، ١٠٩، ١٦٥، ٣٢٥ .

هذا وفي الفهرست لابن النديم أن لفظويه (٣٢٣) كتاب الرد على من زعم أن
العرب تشتق الكلام بعضه من بعض . انظر ترجمته فيه وفي كتاب « انباء الرواة » =

وقلما نجد أحداً من أعلام العربية ممن يذكر في فهرست ابن النديم أو غيره من كتب الطبقات إلا عالج هذا الموضوع ، إن لم يكن في كتاب مستقل ففي ضمن بحث آخر . وعاد إلى طريقه في هذا العصر المشتغلون باللغة في مناسبات شتى في الصحف والمجلات العلمية . من هؤلاء الشيخ عبد القادر المغربي فقد أخرج كتابه (الاشتقاق والتعريب) قبل أكثر من أربعين سنة (١) . .

(٦)

خاتمة

إذا صح أن ولد إسماعيل لم يزالوا « على مر الزمان يشقون الكلام بعضه من بعض ، ويضعون للأشياء أسماء كثيرة بحسب حدوث الأشياء الموجودات وظهورها » (٢) فالذي لا شك فيه أننا لم نجار هؤلاء العرب

= للقفطي حيث نسب إليه كتاباً يطل الاشتقاق (١/١٨٠) مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م) وجاء في هذا المصدر ص ١٧٨ أنه كان ينكر الاشتقاق ويحمله وله في ذلك مصنف وكل حجة فيه مدخولة وكان أبو بكر بن السراج في طرف آخر في هذا النوع : تنهات في الاشتقاق وإثباته واستعماله تنهاتاً يخرج عنه حد الحقيقة الماشية على أصول من تقدم ١٠ هـ

(١) طبع سنة ١٩٠٨ وأعيد طبعه سنة ١٩٤٧

(٢) ابن النديم في الفهرست ص ٧ (المطبعة الرحمانية بمصر) .

الأولين في عملهم ، ولعل في تحجير علماء العربية الأقدمين عاملاً هاماً في صدا هذه الآلة الحيرة : الاشتقاق .

كل من يتصفح معاجم اللغة يعرف بعد شيء من الممارسة ، أن مواد اللغة فيها ناقصة ، فلسنا نجد في مادة ما كل الصيغ المجردة والمزيدة في الأفعال والأسماء . وقد أحيت أن أورد لك مثلاً على ذلك مادة (الاشتقاق) نفسها ، فرجعت إلى هذه المادة في (لسان العرب) و(تاج العروس) وهما أكبر المعاجم المطبوعة على الإطلاق ، فوجدت فيهما من هذه المادة الصيغ الآتية وقد رتبها لك مجردة فمزيدة :

الافعال	الاسماء
شَقَّ	شَقاً
أَشَقَّ النخلُ : طلعت أكامه	شَقَّ : نصف
شَقَّقَ الكلام	شَقَّ
شَاقَّ	المشَقَّ
شَقَشَقَ الفحل : هدر	الشَّقَق : الطول
النَشَقَّ	الشُّقَّة : البعد
تَشَقَّقَ	المَشَقَّة
اشتَقَّ	الشَّقَّة : من العصا والثوب ما شق طويلاً

الأفعال

الأسماء

تشاقُّ الرجال

الأشُقُّ : الطويل والانتى شقاء

استشَقَّ بالجوالق : حزمه على أحد شقيه الشقيق

الشقيقة : فرجة بين جبلين تلبت العشب

الشقوقة : طائر

الشُقَّاق : شق في الجلد من داء

الشُقَّاق : موضع

الشُقْشُقَة : للبعير شيء يخرج منه فيه كالرئة

فإذا عارضنا ما وجدنا من هذه الأفعال بالأوزان التي جمعها الصرفيون

للفعل ، وجدنا هذه المعاجم سكنت عن الصيغ الآتية :

من مزيد الثلاثي : اشَقَّقَ ، اشَقَّاقَ ، اشقَّقَ ، اشقَّقوق .

من مزيد الرباعي : تشَقَّقشَقَّ ، اشَقَّقشَقَّ ، اشَقَّقشَقَّق .

ولئن كان حسنا اللغوي يميل إلى إهمال مثل (اشقَّقوق ، اشَقَّقشَقَّق)

لثقلهما في النطق والسمع ، إن هذا الثقل أصاب هذه المادة خاصة لمكان

القافات المتتالية ، والقاف وحدها حرف فخم غير خفيف .

أما الأسماء فإذا نحن قابلناها مثلاً بما حشر لنا السيوطي في مزهره

من أوزان الأسماء والمصادر التي ذهب هو وغيره إلى قصرها على السماع

وجدنا أكثر من سبعين صيغة لم يرد عليها من مادة (شق) ولا كلمة

من أمثال (فَعُول ، فَعْلَال ، فَعْلَى ، أَفْعَلَان ، أَفْنَعْل ، فَعَاعِيل ، فَعْلُول ، فَعْلِيل ... إلخ)^(١) .

إن هذه الصيغ ضربت عليها الأسداد حتى ماتت ، فاسنأ نستعمل منها في لغتنا اليوم إلا قدراً ضئيلاً يستوي هو والعدم .

وما أكثر ما نجد في دواوين اللغة وكتب القراء أعد مثل قولهم (ليس في العربية على وزن كذا إلا كلمتان أو كذا كلمات) ، ولما قال بشار على هذا الوزن (الوجلي والغزلي) طعنوا عليه وقالوا خفش : « لم يسمع من الوجلي والغزل : (فَعْلَى) وإنما قاسهما بشار ؛ وليس هذا بما يقاس ، إنما يعمل فيه بالسماع »^(٢) .

فيحار المرء ويتساءل : من جمع لهم العربية كلها في طبق فأحصوا كلها عدّاً ثم حكموا متبئين : « ليس في العربية من كذا إلا كذا » ؟ ولو قال قائلهم : « لا أعرف من كذا إلا كذا » لكان أقرب إلى النصفه وأصدق قليلاً . هذا وهم جميعاً موقوفون أنه ما وصل إلى الرواة من اللغة إلا أقلها ، ولم تدون المعاجم كل ما روت الرواة .

وأبعد في الغرابة مما تقدم أنهم نقلوا الحظر إلى الأوزان المطردة في الأفعال ، فذهبوا إلى أنه لا يشترط في كل مجرد أن تكون له كل

(١) ارجع إليها مسرودة في المزهري ٤٩/٢ - ١١٧/٢ - ١٥٦

(٢) القياس في اللغة العربية ص ٥١

الأوزان المزیدة ؛ وغالی الرماني منهم فضرب فی حظره الرقم القیاسی
— كما یقولون — حین منع ما أجمعوا علی قیاسه ، وهو اشتقاق اسم
المفعول من الثلاثی المتعدي ، فقال : « لا یقاس من (نفع) اسم
مفعول !! » (١) .

وبعد ، فالاعتدال أن نشیق ما نحتاج إلیه الیوم علی أوزان العرب
وأسالیها فی تشقیق الصیغ دلالة علی تنويع المعانی ، فإذا أردنا أن ندل
علی الثبوت مثلاً فی صفة ما من مادة لم یرد فیها عن العرب صفة مشبهة
اشتققنا منها (فعیلاً) إذ كانت (فعیل) أكثر الصیغ دوراناً فی الصفات
المسموعة ، وكذلك نفعل فی مزیدات الأفعال وصیغ الأسماء .

وقد خطا مجمع اللغة العربیة خطاً مبارکة فی طرده القیاس ، فی
المصادر والصفات ، ورأیت خطأ من قراراته فی الاشتقاق آخر بحث
القیاس (١) فلا نعیدهنا منها شیئاً ،

فإذا خطونا خطوة تالیة فأبحنا للكتاب والشعراء اشتقاق المزیدات
والصیغ كلها فی الأفعال والأسماء من کل مادة ، بشرط الحاجة والتوفیق فی
الاشتقاق ، ومراعاة المعنی الذی أرادته العرب من کل صیغة ، إذا تم
ذلك رجونا أن یكون علی أیدی البقریین من المطبوعین ، استجابة

(١) القیاس فی اللغة العربیة ص ٦٤

(٢) ابظر ص ١٠٨ فنا بعد .

اللغة العربية لكل المطالب الحضارية في حياتنا المادية والوجدانية ،
لا بد إذن من إعادة النظر في باب الاشتقاق ؛ والوقوف على استعداد
اللغة العربية فيه ، والإفادة من مرانها وطواعيتها وكنوزها المعطلة ،
لتلبي حاجات عصرنا الحديث بل حاجات كل عصر ؛ فنطرد من قواعده
ما كان غير مُطَّرد ، ونكمل المواد الناقصة في المعاجم ، ونشتق من
الأعيان وغيرها كل ما تدعو إليه حاجة ؛ فلا تزال لغتنا غنية بإمكاناتها ،
تنتظر إقدام المقدمين من الواقفين على مزاياها وأسرارها بعد أن طال
بلاؤها من إجمام المحجّمين أحقاباً طوالاً .

ومن نعم النظر في هذه المشتقات التي أوردناها من أسماء المحسوسات
ومن أسماء الأصوات والحروف . . . ويرد الفكر إلى القواعد التي
وضعوها بين أيدينا ، يجد العرب والعربية قد سبقا تلك القواعد أشواطاً
بعيدة جداً ، فقد أفادوا من لغتهم أضعاف ما يتصور القاعديون .

لغتنا غنى وافر وطبيعة مسعفة يحسدها عليها كثير من اللغات ، فهي
كنز يطلب من يكتشفه ويحسن استخدامه والإفادة منه . وعلى أن مجمع
اللغة العربية بمصر قد التفت قليلاً إلى هذه الناحية ، لا تزال الشقة - كما
قلت سابقاً - بعيدة بين همته وأن يحسن الانتفاع بمزايا العربية حق الانتفاع .

الخلايف

بين نحاة البصرة والكوفة

اختلاف

لمحة تاريخية (مدرسة البصرة - مدرسة الكوفة) ٢ - نشأة الخلاف
٣ - الفروق بين المذهبين ٤ - أثر العصية في الخلاف ٥ - كتب الخلاف ٦ - بعد
المذهب البصري والمذهب الكوفي .

(١)

لمحة تاريخية (مدرسة البصرة - مدرسة الكوفة)

ما مضى لك بيان من أحداث اللحن حمل القوم على الاجتهاد لحفظ
العربية وتيسير تعلمها للأعاجم . فشرعوا يتكلمون في الأعراب وقواعده
حتى تم لهم مع الزمن هذا الفن . والذي تجمع عليه المصادر أن النحو
نشأ بالبصرة وبها نما واتسع وتكامل وتفلسف ، وأن رؤوسه بنزعتيه
كلهم بصريون .

أول من أرسل في النحو كلاماً أبو الأسود الدؤلي ، وقيل إن علياً
هو الذي ألقى على أبي الأسود شيئاً من أصول النحو ثم قال له : (انح
هذا النحو) ؛ وقيل إن أول من تكلم فيه : نصر بن عاصم ، وقيل : عبد
الرحمن بن هرمز ، وقيل لم يصل الينا شيء عن أحد قبل يحيى بن يعمر
وابن أبي إسحق الحضرمي . . الخ .

ومن يقرأ بإسمان ترجمة أبي الأسود في تاريخ دمشق لابن عساكر مثلاً . ثم يفكر في توارده أكثر المصادر على جعله واضع الأساس في بناء النحو لا يستبعد ذلك ، فالرجل ذو ذكاء نادر وجواب حاضر ، وبديهية نيرة ، ثم هو بعد بليغ أريب مرز الذهن ، وحسبك اختراعه (الشكل) (١) الذي عرف بنقط أبي الأسود للدلالة على الرفع والنصب والجرو والتنوين ، وهو ما أجمعوا عليه قديماً ولم يشك فيه حديثاً أحد . و (الشكل) أعود على حفظ النصوص من حدود النحو ؛ ولعله أعظم خدمة قدمت للعربية حتى الآن ، وكان الخطوة الأولى إلى النحو كما ذهب إليه الأستاذ أحمد أمين (٢) .

ونص أبو الطيب اللغوي على أن أبا الأسود وضع النحو ليتعلم بنو

(١) اختار أبو الأسود كاتباً وأمره أن يأخذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد وقال له : « إذا رأيتي قد فتحت في بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه ، فإن ضمنت في فانقط نقطة يمين يدي الحرف ، وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف ، فإن أتبعته شيئاً من ذلك غنة فاجعل مكان النقطة نقطتين » فهذا نقط أبي الأسود . - أخبار النحويين البصريين لأبي سعيد السيرافي (ص ١٦) (المطبعة الكاثوليكية في بيروت) . وتهذيب تاريخ ابن عساكر ١٠٩/٧ . والفهرست لابن النديم ص ٦٠ وهذا سبب إطلاق الفتح والكسر والضم على الحركات المعروفة فيما أرى ، إذ كان أبو الأسود أول من استعملها . أما السكون في هذا المصحف فعلامته التجرد من العلامة (٢) ضحى الإسلام ٢٨٧/٢ وانظر مراتب النحويين ص ١٠

زياد^(١) « واختلف الناس إليه يتعلمون العربية وفرع لهم ما كان أصله فأخذ ذلك عنه جماعة » .

وليس يعني هنا تحرير هذه الأولية فذلك بتاريخ النحو أشبه^(٢) ، ولكتنا لا نرى بداً من أن نشير إلى أن اتفاقهم على أنه واضح (الشكل) وأن شبه الاجماع على أنه أول من تكلم بالنحو وأنه كان يتصدر لإعراب القرآن^(٣) ، وأن هؤلاء الذين تزعم لهم الأولية في بعض الأقوال : نصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر ، وعنبسة القيل ، وميمون الاقرن ، ...

(١) مراتب النحويين ١٠٠٨

(٢) وما أقرب رواية أبي الفرج من الواقع والاعتدال حين سلسل لنا الخطوات في عبارة فيها كثير من الاقتصاد قال راوياً عن المدائني :

« أمر زياد أبا الأسود الدؤلي أن ينقط المصاحف فقطها ، ورسم من النحو رسوماً ثم زاد فيها بعده عنبسة بن معدان ثم جاء عبد الله بن أبي اسحق الحضرمي وأبو عمرو ابن العلاء فزاداه ، ثم جاء الحليل بن أحمد الأزدي وكان صليبة فلجبه ، ونجم علي ابن حمزة الكسائي مولى بني كاهل من أسد فرسم للكوفيين رسوماً فهم الآن يعملون عليها . — الاغانى ١١/١٠١ ، وسيمر بك بعض تفصيل عن هؤلاء الاعلام ، ولا بأس في تنبيهك الى أن أبا الفرج نص في أول ترجمته لأبي الاسود ، على أنه « كان الاصل في بناء النحو وعقد أصوله » .

وابن سلام يقول : « أول من استن العربية وفتح ابوابها لأبي الاسود ... » — طبقات فحول الشعراء ص ١٢ طبعة دار المعارف ،

(٣) في ترجمة حر بن عبد الرحمن القاري النحوي أنه : سمع أبا الاسود وعنه طلب لإعراب القرآن أربعين سنة . — بغية الوعاة ص ٢١٥

كلهم تلميذ أبي الأسود أو تلميذ تلميذه ، عنه أخذوا العربية والقراءة
بالبصرة ؛ كل أولئك مع ما عرف عن أبي الاسود من ذكاء وقاد ،
وفكر متحرك ، وعقل وروية يجعلنا نقطع بأنه وضع أساساً بني عليه من
بعده . ولكن ، ما هو هذا الأساس ؟

لسنا نجد لهذا السؤال جواباً يشفي الغليل ، فصحيفة أبي الاسود
تغرق عند النحاة بـ (التعليقة) ، فإذا أردنا معرفة محتوياتها لم نحظ بما يطمأن
إليه ^(١) ، بل فات معرفتها العلماء منذ المئة الرابعة مع شدة حرصهم عليها

(١) أما ابن الانباري فقد اطمأن الى خبر ذكره في أول كتابه (تزهة الألباء
في طبقات الأدباء ص ٥) حين روى أن علي بن أبي طالب دفع الى أبي الاسود رقعة
فيها : « الكلام كله اسم وفعل وحرف ، فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما أنبأ
به ، والحرف ما أفاد معنى . واعلم ان الاسماء ثلاثة : ظاهر ومضمر ، واسم لا ظاهر
ولا مضمر ، وانما يتفاضل الناس فيها ليس بظاهر ولا مضمر . . . » ثم يذكر ابن الانباري
ان ابا الاسود وضع ابواب (العطف ، والنعت ، والتعجب ، والاستفهام) الى ان وصل
الى باب لمن واخواتها ما خلا لكن ، فلما عرضها على علي أمره بضم لكن اليها ، وكلما
وضع باباً من أبواب النحو عرضه عليه ، « اهـ

ولست ادري هل ابقت امور الخلافة والحروب والفتن لعل وقتاً يفرغ فيه
للتأليف في العلوم وتنقيحها واختراعها ؟ ولعل الاستاذ أحمد أمين لم يكن بعيداً من
الصواب حين روى هذا الخبر فعلق عليه بما يأتي :

« وكل هذا حديث خرافة فطبيعة زمن علي وابي الاسود تأبى هذه التعاريف وهذه
التقاسيم الفلسفية ، والعلم الذي ورد الينا من هذا العصر في كل فرع علم يتناسب مع
القطرة ليس فيه تعريف ولا تقسيم ، انما هو تفسير آية اوجع لاحديث ليس فيها ترتيب
ولا تبويب ، فأما تعريف واما تقسيم منطقي فليس في شيء مما صح نقله الينا عن عصر =

فيروي ابن النديم خبراً طريفاً عن رجل جماعة للكتب له خزانة لم يُرَ لأحد مثلها بما جمعت من خطوط العلماء الأولين ونوادير الكتب والرقاع فهي متحف كل ما فيه نادر ثمين ، قال الذي شاهدها :

«... ورأيت عنده أمانات وعهوداً بخط أمير المؤمنين علي عليه السلام وبخط غيره من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن خطوط العلماء في النحو واللغة مثل أبي عمرو بن العلاء وأبي عمرو الشيباني والأصمعي وابن الأعرابي وسيبويه والفراء والكسائي ومن خطوط أصحاب الحديث مثل سفيان بن عيينة وسفيان الثوري والأوزاعي وغيرهم

= علي وأبي الأسود واخشي ان يكون ذلك من وضع بعض الشيعة الذين أرادوا ان ينسبوا كل شيء الى علي واتباعه « - ضحى الاسلام ٢٨٥/٢
وانا مع عدم استيعادي كثيراً صدور كلام مثل هذا عن أبي الأسود بعد موت علي بسنين حين اعتزل العمل الرسمي وفرغ لمثل هذه الشؤون ، لأطمئن الى ما روى ابن الأنباري

حتى ان فارس الذي ذهب الى قدم النحو قبل زمن أبي الأسود بكثير لا ينكر إمامته وتجديده فقد قال : « فان قال قائل : لقد تواترت الروايات بان أبا الأسود اول من وضع العربية وان الحليل اول من تكلم في العروض » قيل له : نحن لا ننكر ذلك ، بل نقول : إن هذين العلمين قد كانا قديماً وأتت عليهما الايام وقلا في أيدي الناس ، ثم جددهما هذان الامامان . » - الصاحبي في فقه اللغة ص ١٠ ونقله بنصه السيوطي في المزهري ٣٤٥/٢

لكني اقف عند قوله المبرده « قرأت اوراقاً من كتابي عيسى بن عمر فكان كالاشارة الى الاصول » واقول إذا كانت كتب الطبقة الثالثة هذه كالاشارة الى الاصول فما حال نحو أبي الأسود ؟ [توفي أبو الأسود سنة ٦٧ وعيسى بن عمر سنة ١٤٩ هـ] . -
انظر نزهة الالباء .

ورأيت ما يدل على ان النحوي عن ابي الاسود ما هذه حكايته : وهي اربع اوراق احسبها من ورق الصين ترجمتها : هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول عن ابي الاسود رحمة الله عليه بخط يحيى بن يعمر وتحت هذا الخط بخط عتيق : هذا خط علان النحوي ، وتحت : هذا خط النضر بن شميل .

ثم لما مات الرجل فقدنا القمطرة وما كان فيه فما سمعنا له خبراً ... على كثرة بحثي عنه .^(١)

فليسعنا من الأسف والحسرة على تعلية أبي الأسود ما وسع العلماء قبلنا بألف عام إذ كان لا سبيل إلى المعرفة الشافية .

أخذ عن أبي الأسود : يحيى بن يعمر ، وعنبسة الفيل ، وميمون الأقرن ونصر بن عاصم وعطاء بن أبي الأسود ، وأبو نوفل بن أبي

(١) الفهرست ص ٦١

ثم تظهر فجأة بعد أكثر من مئة سنة عند إبراهيم بن عقيل القرشي (- ٤٧٤هـ) فيزعم لأصحابه من أهل الحديث أن عنده تعلية أبي الأسود التي القاها عليه علي ابن أبي طالب ، ويعددهم هاويستجزونه ويرجئهم فلا يظفرون منه بطائل ، ثم يكتبها عنه — فيأرووا — فقيه مالكي اسمه ابو العباس أحمد بن منصور « وإذا به قد ركب عليها إسناداً لا حقيقة له ... وهذه التي سماها التعلية هي في أول أمالي أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحق الزجاجي النحوي نحو عشرة اسطر فجعلها هذا الشيخ إبراهيم قريباً من عشر اوراق . » هـ — انظر تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٣١/٢ مطبعة روضة الشام ١٣٣٠ هـ .

قلت : ليس في أمالي الزجاجي المطبوعة من هذه التعلية أثر ما .

وابن عساكر على حق حين يتوقف في توثيق إبراهيم بن عقيل بعد هذا التدليس .

عقرب^(١)، وعن هؤلاء أخذ علماء البصرة طبقة بعد طبقة ، ثم نشأ بعد نحو مئة عام من تلاميذهم من ذهب إلى الكوفة فعلمهم بها ، فكان منه ومن تلاميذه ما يسمى بمدرسة الكوفة^(٢) .

وهذا جدول^(٣) يوضح لك تتابع هذه الطبقات إلى المئة الثالثة للهجرة :

(١) إنباء الرواة ٣٨٢/٢

(٢) على أن هناك من ذهب إلى وجود مدرسة ثالثة هي مدرسة المدينة ، وأن رأسها عبد الرحمن بن هرمز الذي مر بك (ص ١٥٢) أنه أحد الذين نسبت إليهم أولية الكلام في النحو . وهذا شيء لم يشتهر ، لكن القفطي ذكر في هذا كلاماً أنا مثبته افائده فقد جاء في إنباء الرواة في ترجمته :

قال أهل العلم : إنه أول من وضع علم العربية والسبب في هذا القول أنه أخذ عن أبي الأسود الدؤلي وأظهر هذا العلم بالمدينة ، وهو أول من أظهره وتكلم فيه بالمدينة ، وكان من أعلم الناس بالنحو وأنساب قريش ، وما أخذ أهل المدينة النحو إلا منه ، ولا يقلوه إلا عنه ، وإليه أشار ابن برهان النحوي في أول شرحه في (اللمع) بأن قال : « النحاة جنس تحته ثلاثة أنواع : مدنيون ، بصريون ، كوفيون » ... ويروى أن مالك بن أنس إمام دار الهجرة تردد إليه لطلب النحو واللغة قبل إظهارها ..

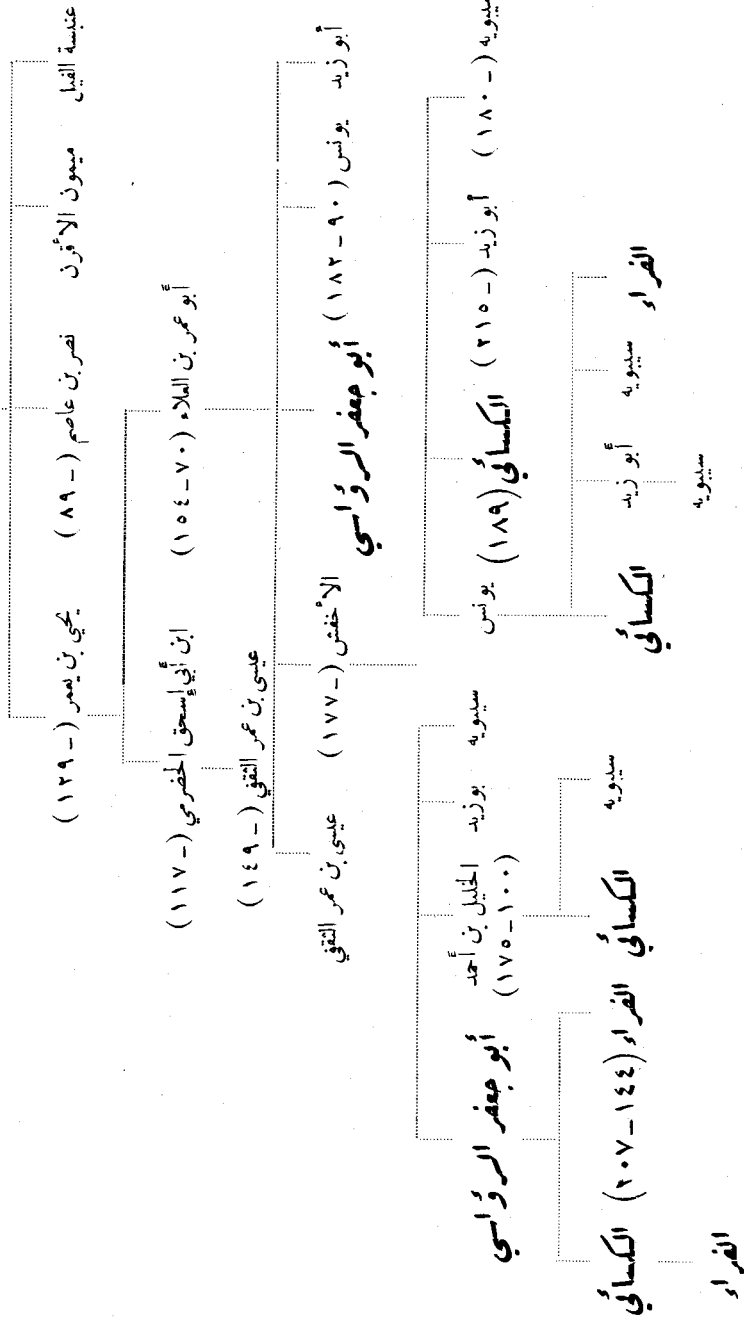
مات سنة ١١٧ « - إنباء الرواة ١٧٢/٢

هذا واحد وأما الثاني فبشكست الذي مر بك خبره ص ١٢

(٣) عن ضحى الاسلام ٢٨٤/٢ . وتكرر الاسم معناه تعدد مشايخ صاحبه ،

أما الاعلام المدرجة أسماءهم بخط رقمي فهم كوفيون ، والباقون بصريون .

أبو الأسود الدؤلي (٦٧ -)



فأنت ترى أن أعلام الكوفة كلهم أخذوا عن أئمة البصريين بأخرة .

الطبقة الأولى من البصريين

وأما عنبة فقد « تعلم النحو وروى الشعر وظرف »^(١) حتى صار - على ما يروى عن الحليل - أبرع أصحاب أبي الأسود »^(٢)

وأما ميمون فرأس الناس بعد عنبة ويروون عن أبي عبيدة قوله : « أول من وضع العربية أبو الأسود ، ثم ميمون الأقرن ، ثم عنبة الفيل ، ثم عبد الله بن أبي إسحق الحضرمي »^(٣)

وأما نصر بن عاصم الليثي فكان أحد القراء والفصحاء ، وأخذ عنه أبو عمرو بن العلاء والناس « قال عنه الزهري : « إنه ليفلق بالعربية تفليقاً » ، بل منهم من ذهب إلى أنه أول من وضع العربية »^(٤)

وأما يحيى بن يعمر فقد عرفت علمه وفصاحته ، وعرفت شأنه مع الحجاج ، ووصفوه بالعلم والأمانة ، وقد روى عن ابن عمر وابن عباس وغيرهما^(٥) والذي يجب التنبيه إليه قبل الانتقال إلى الطبقة الثانية أن تلميذي أبي الأسود نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر خطوا الخطوة الكبرى التي تلت خطوة أبي الأسود في ضبط الكتابة العربية ، إذ ابتكرا نقط الحروف أفراداً وأزواجاً لتمييز الحروف المتشابهة كالباء والياء والنون ، فعلا ذلك بإشارة الحجاج على ما ذكروا ، وبعد تردد منهما في أن يزيدا شيئاً على رسم مصحف عثمان ، ثم بان لهما صواب الإصلاح بعد روية ، فأقهما عليه .

(١) اخبار النحويين البصريين ص ٢٤ .

(٢) المزهر ٣٩٨/٢ .

(٣) اخبار النحويين البصريين ص ٢٥ .

(٤) المصدر نفسه ص ٢١ ، ٢٠ والفهرست لابن النديم ص ٥٩ .

(٥) ص ٩ من هذا الكتاب و ص ٦٢ من الفهرست و ص ٢٢ من أخبار

النحويين البصريين .

بل إن ليحيى هذا أولية في التأليف فقد ذكروا أنه اتفق هو وعطاء بن أبي الأسود بعد موت أبيه « على بسط النحو وتعيين أبوابه وبعج مقاييسه ... ولما استوفيا جزءاً متوفراً من أبواب النحو نسب بعض الرواة إليهما أنهما أول من وضع هذا النوع . » (١)

ولكن المشهور أن نصرأ هو الذي ميز بين الحروف المتشابهة بالنقط المتداول حتى اليوم وغير ترتيب (الأبجدية) إلى الترتيب المعروف ، ثم ألغى نقط أبي الأسود مستبدلاً به (الشكل الحالي) الذي هو أبعاض الحروف (اوي) .

الطبقة الثانية من البصريين

وفيهما أبو عمرو بن العلاء وعبدالله بن أبي إسحق الحضرمي .

فأما الأول فمن أشهر ما زان وأحد الأعلام في القرآن واللغة والنحو ، وهو أحد القراء السبعة ، قال فيه أبو عبيدة : « أعلم الناس بالقراءات والعربية وأيام العرب والشعر ، وكانت دفاًره ملاء بيته إلى السقف (٢) » كان مرجع الناس في عصره ، وخير ما يعبر عن مكانته في عيون معاصريه حديث سفيان بن عيينة ، قال : « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت : يا رسول الله لقد اختلفت علي القراءات فبقراءة من تأمرني ؟ فقال : بقراءة أبي عمرو بن العلاء . » (٢) وأخذ عن نصر بن عاصم المتقدم ذكره ، وعن يحيى بن يعمر ، وعن قارىء مكة عبد الله بن كثير .

« وأخذ عنه عيسى بن عمر ويونس بن حبيب وأبو الخطاب الاخفش فكان هؤلاء الثلاثة أعلم الناس وافصحهم » (٣) وأما عبد الله بن أبي إسحق الحضرمي ، فقد مربك

(١) لبناء الرواة ٢ / ٣٨٠ .

(٢) بغية الوعاة .

(٣) مراتب النحويين ص ٢٣ .

امره مع الفرزدق ، وهو في زمن أبي عمرو واثناس يفاضلون بينهما فيقدمون أبا عمرو في اللغة ويقدمون ابن أبي اسحق في النحو وهو « أعلم أهل البصرة وأعقلهم ، فرع النحو وقاسه ، وتكلم في الهمز حتى نُعمل فيه كتاب مما أملاه ^(١) » ويذكرون أنه أول من علل النحو .

ويمكن أن يلحق بهذه الطبقة عيسى بن عمر الثقفي مولى خالد بن الوليد ، أخذ العلم عن أبي عمرو بن العلاء وعبد الله بن أبي اسحق الحضرمي ، وعُد في القراء البصريين وهو امام في العربية والنحو ، ولعله أول من ألف فيها كتاباً جامعاً ، وقد اشتهر اسم كتابه دون أن يصل إلينا منها خبر أو أثر ، والغريب أن تلميذه الخليل بن احمد قرأها ووعاها ، وأعجبه حتى جعل مؤلفها مجدد هذا الفن والمعفي على آثار من سبقه قال :

ذهب النحو جميعاً كله غير ما أحدث عيسى بن عمر
ذاك (إكمال) وهذا (جامع) فهما للناس شمس وقر

ثم « فقد الناس هذين الكتابين منذ المدة الطويلة ولم يقعا الى أحد علمناه ، ولا خبر أحد أنه رآهما » ، وهذا السيرا في وليس بينه وبين زمن المؤلف إلا مئتان من السنين

(١) عن مراتب النحويين ص ٢٨ المزهر ٢ / ٣٩٨ . وشهادة يونس بن حبيب فيه .

أنه « لو كان في الناس اليوم من له ذهنه ونفاذه كان أعلم الناس » — طبقات فحول الشعراء ص ١٤ هذا ولازبيدي كلام يشير الى نصيب عيسى بن عمر في تدريج النحو يقول فيه « وضع أبو الاسود باب الفاعل والمفعول لم يزد عليه ... فزاد رجل من بني ليث أبواباً ثم انظر فاذا في كلام العرب ما لا يدخل فيه فأقصر عنه ، فلما كان عيسى بن عمر قال : « ارى أن أضع الكتاب على الأكثر وأسمي الأخرى لغات فهو أول من بلغ غايته في كتاب النحو ... وضع كتابين سمى أحدهما الجامع والآخر المكمل . » طبقات النحويين واللغويين ص ١٥ .

يقول : لم يقعا البينا ولا رأينا أحداً ذكر أنه رآها ^(١) فان تكن نسبة الييتين الى التحليل صحيحة يكن اختفاء هذين الكتابين من أعجب الامور في تاريخ النحو .



إذا نحن انتقلنا الى الطبقة التي تلي هذه كنا ازاء ماسمونه بالمذهب الكوفي ، فقد تلمذ على عيسى بن عمر هذا : الحليل وسيبويه وأبو زيد الانصاري أئمة البصريين الأعلام ، وأبو جعفر الرؤاسي الذي صار فيما بعد رأس الكوفيين وخلفه في ذلك تلميذاه الكسائي والفراء .

ولسنا نفيض في الكلام عليهم فكلهم مشهور ، ولكننا نذكر بالتواحي التي تعيننا منهم بكلمات :

فأما الحليل « فقد كان الغاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس فيه ، هو أول من استخرج العروض وحصر أشعار العرب بها ، وعمل أول (كتاب العين) المعروف المشهور الذي به تها ضبط اللغة » ^(٢) الى نواح أخرى له مجيدة مشرفة ليس من غرضنا هنا الاشارة إليها ، وقد مر بك نمط من آرائه في باب القياس . « وهو

(١) انظر الفهرست لابن النديم ص ٦٢ وبغية الوعاة . اما ابن الانباري في نزهة الالباء فقد نقل عن المبرد انه قال : قرأت اوراقاً من احد كتابي عيسى بن عمر ، وكان كالاشارة الى الاصول . « وبين هذه الكلمة الدالة على انه خطوة ابتدائية وتقريظ الحليل بون كما ترى . — هذا ويذكرون انه كان فصيحاً ويتقعر أحياناً ، أمر والي العراق بحمله اليه ودعا بالحداد فأمر بتقييده ، فقيل له لا بأس عليك ، إنما أراد الأمير لتؤدب ولده . « قال « فما بال القيد إذاً ؟ ! » فذهبت بالبصرة مثلاً . وله الجملة الماثورة في كتب البلاغة حين سقط عن حمارة فاجتمع عليه الناس فقال « مالكم تسكاً كما تم علي كسكاً كنكم على ذى جنة ، افرنقوا عي . » — بغية الوعاة واخبار النحويين البصريين ص ٣٢ .

(٢) أخبار النحويين البصريين ص ٣٨ .

استاذ سيويه ، وعامة الحكاية في كتابه عنه . وكلما قال سيويه : سأله ، او قال (قال) من غير ان يذكر قائله فهو الخليل . « (١) ونفع الله به الناس وعاش من قناعته وعفته وترفعه في عزه دونها عزه الملوك ، وصدق النضر بن شميل في قوله : اقام الخليل في خصم بالبصرة لا يقدر على فلسين وتلامذته يكسبون بعلمه الاموال » (١) .

واما ابو زيد الانصاري فقد كان ثقة صدوقاً راوية ، وهو — وان قدم في النحو على الاصمعي وابي عبيدة — غلبت عليه اللغة والنوادر والغريب ، وحوّلها يدور أكثر مصنفاته (١) .

مدرسة الكوفة

وندع سيويه — لشهرة امره وكتابه وشيوخه وتلاميذه — إلى ابي جعفر الرؤاسي رأس الكوفيين :

طلب العلم في البصرة على أئمتها ، قرأ علي ابي عمرو بن العلاء ، وعلى عيسى بن عمر الثقفي ، لكنه لم يقارب احداً من تلامذتهم فلم ينه وعاش بالبصرة غير معروف (٢) وكان اول كوفي الآف في العربية ، وكتابه (الفيل) عرضه — فيما ذكروا — على اصحاب النحو بالبصرة فلم يلتفتوا اليه ولا جسر على اظهاره لما سمع كلامهم ، اما هو فيزعم ان الخليل طلب الكتاب فأطلعه عليه ، « فكل ما في كتاب سيويه » (وقال الكوفي : كذا) فانما عن الرؤاسي هذا « (٣) وزعم جماعة من البصريين ان الكوفي

(١) بغية الوعاة .

(٢) انظر معجم البلدان ١٨/١٢٣ . وأخذ عن زهير الفرقي (— ١٥٥)

الذي تلمذ على ميمون الأقرن أحد اصحاب ابي الأسود — انباء الرواة ١٨/٢ ، ١٩ .

(٣) بغية الوعاة . وذكره أبو الطيب اللغوي في عداد من أخذ عن أبي عمرو

فقال : « عالم أهل الكوفة ، وليس بنظير لهؤلاء الذي ذكرنا ولا قريب منهم ...

أخبرنا ابو حاتم قال : كان بالكوفة نحوي يقال له أبو جعفر الرؤاسي ، وهو مطروح

العلم ليس بشيء . — مراتب النحويين ص ٢٤ .

الذي يكره الأخفش في آخر المسائل ويرد عليه هو الرؤاسي^(١).
ويعد من قراء الكوفيين وسرى من أسماء كتبه الموضوعات التي غني بها :
كتاب التصغير ، الأفراد والجمع ، الوقف والابتداء ، معاني القرآن .
ولما رجع الى الكوفة وجد فيها عمه معاذ بن مسلم الهراء (- ١٨٧) مرجع
الناس في العربية وغني بالصرف ومسائله خاصة ، وتبعه في هذه العناية من قرأ عليه من
الكوفيين ، حتى قيل لمنهم فاقو البصريين فيها ، ومن هنا عدّهم بعد العلماء واضعي
علم الصرف .
وتخرج بالرؤاسي تلميذاه المشهوران : الكسائي والفراء .

أما الكسائي فأنت تعرف أنه أعجمي الأصل وأحد القراء السبعة وإمام الكوفيين
في العربية ، أخذ عن يونس أحد أئمة البصرة وجلس في حلقة الخليل ، ثم خرج إلى
بوادي نجد والحجاز وتهامة يأخذ عن الأعراب « فأنفذ خمس عشرة قنينة جبراً في
في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ . فقدم البصرة فوجد الخليل قد مات وفي
موضعه يونس . فجرت بينهما مسائل أقر له فيها يونس وصدره في موضعه^(١) .
ثم انتقل إلى بغداد فعاش في قصر الرشيد مؤدباً للأمين والمأمون ، ونال الحظوة
وأقبلت عليه الدنيا : يخدمه وليا العهد ، ويعني به ويعوده الرشيد نفسه . ولما خرج
الرشيد إلى الري اصطحب معه الكسائي ومحمد بن الحسن الشيباني فاتفق أن ماتا سنة
١٨٩ في يوم واحد فقال الرشيد : « دفنت الفقه والنحو في يوم واحد »^(١)

وأما الفراء فقد قرأ بالبصرة على يونس بن حبيب ثم قرأ على الرؤاسي ، ثم
لازم الكسائي في بغداد . والذي حثه على الخروج إلى بغداد شيخه الرؤاسي .

ولندع الفراء نفسه يحدثنا بأول أمره ببغداد قال :
قال لي الرؤاسي : « قد خرج الكسائي [إلى بغداد] وأت أسن منه » فجئت
إلى بغداد فرأيت الكسائي فسألته عن مسائل من مسائل الرؤاسي ، فأجابني بخلاف

ما عندني ، فغمزت قوماً من علماء الكوفيين كانوا معي ، فقال : «مالك قد أنكرت؟ لملك من أهل الكوفة؟» فقلت : « نعم » فقال : « الرؤاسي يقول كذا وكذا .. وليس صواباً وسمعت العرب تقول كذا وكذا .. » حتى اتى على مسائي ، فلزمته . اه (١) .
والطريف تشاد البصريين والكوفيين في قراءة الفراء على يونس بن حبيب البصري أستاذ سيويه تشاداً على غير المنتظر ، فالكوفيون يزعمون أنه استكثر عنه والبصريون يدفعون ذلك . ثم كان الفراء « زائداً العصبية على سيويه وكتابه تحت رأسه ! » صنف (معاني القرآن) الذي قال فيه مادحه « لم يعمل أحد قبله مثله ولا أحسب أن أحداً يزيد عليه » . (١)

وكتبه التي تركها تدور حول مسائل من اللغة والنوادر والصرف والنحو والقرآن .
أما كتابه الكبير في النحو المسمى بـ (الحدود) فقد ذكروا أنه يشتمل على ستة وأربعين حداً في الأعراب . وبيننا منه هنا قصته فهي تدل على بدع عجيب عرف به بعض النحاة وأثر في سير هذا العلم أثراً سيئاً ، ذلك هو الأعراب والتعقيد ، قالوا : كان السبب في إملائه الحدود أن جماعة من أصحاب الكسائي صاروا إليه وسألوه أن يملئ عليهم آيات النحو ففعل ، فلما كان المجلس الثالث قال بعضهم لبعض : « إن دام هذا على هذا علم النحو الصبيان ! والوجه أن يُقعد عنه » ففعلوا ، فغضب وقال : « سألوني القمود فلما قدمت تأخروا ، والله لأملين النحو ما اجتمع اثنان » فأمل ذلك ست عشرة سنة . (١)

وأنا حائر في التوفيق بين نزعة التسهيل والتبسيط هذه التي في القصة وقولهم في ترجمته « كان يتفلسف في تأليفاته ومصنفاته ، يعني يسلك في الفاظه كلام الفلاسفة » . (٢)
وتكفينا هذه الاملاء عن رجال المدرستين (٣) محاولين تتبع الخلاف ومعرفة طبيعته .

(١) الفهرست ص ٩٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٩٩ .

(٣) نشر بعد صدور الطبعة الأولى من هذا الكتاب (مراتب النحويين) لأبي -

(٢)

نساء الخلف

أول ما يعرف من الخلاف بين البصريين والكوفيين ما أثبتته سيبويه في (الكتاب) من حكاية أقوال (الكوفي) أبي جعفر الرؤاسي على ما علمت آنفاً . والظاهر أن مرافقة الرؤاسي للخليل في القراءة على عيسى ابن عمر جعلت بينهما نوعاً من الأئس سمح للخليل أن يطلب من الرؤاسي كتابه ، فروى منه بعض أقوال لتلميذه سيبويه ، فأثبتها هذا في كتابه .

ولم يكن في هذا الخلاف ولا في غيره مما حدث بين البصريين أنفسهم يومئذ ، أكثر من المذاكرة وحكاية الأقوال المخالفة والرد عليها أحياناً فأنت كثيراً ما تجد سيبويه يورد لشيخه يونس والخليل أقوالاً يخالفها

=الطبيب اللغوي المتوفى سنة ٣٥١ ، جاء فيه بعد أن سرد فيه تراجم أعيان البصريين ثم الكوفيين قوله :

« والذين ذكرنا من الكوفيين فهم أئمتهم في وقتهم ، وقد بينا منزلتهم عند أهل البصرة ، فأما الذين ذكرنا من علماء البصرة فرؤساء علماء معظمون غير مدافعين في المصرين جميعاً ، ولم يكن بالكوفة ولا في مصر من الأئصار مثل اصغرهم في العلم بالعربية ، ولو كان لا فتخروا به ، وباهوا بمكانه أهل البلدان ، وأفرطوا في إعظامه كما فعلوا بحمزة الزيات ... يتخذونه إماماً معظماً مقدماً وليس يحكى عنه شيء من العربية ولا النحو ، وإنما هو صاحب قراءة ، وأما عند البصريين فلا قدر له . » ص ٢٦

فيقول: (.. وزعم الحليل) ، (.. وزعم يونس) .

ولم تدخل الدنيا بين المشهورين من رجال هذه الطبقة ، فالحليل والرؤاسي مثلاً كلاهما صالح عفيف ، ومتى خلت المناقشات العلمية مما يورثها من حوافز المادة أو الجاه بقيت هادئة جميلة صافية .

فلما قرَّب العباسيون الكسائي وتلاميذه وخصوصهم بتربية أولادهم وبالأغداق عليهم إذ كان أهل الكوفة بالجملة أخلص لهم وأحسن سابقة معهم على عكس أهل البصرة . اجتهد المقربون بالتمسك بديانهم التي نالوها ، ووقفوا بالمرصاد للبصريين الذين يفوقونهم علماً فخالوا بينهم وبين النجاح المادي أو المعنوي بكل ما يستطيعون من قوة ؛ وإذا كان لبصري كالأصمعي مثلاً حظوة عند خليفة ولم يقدرُوا على إبعاده مادياً ، اجتهدوا في الغض من علمه .

وأنا أعرض أنماطاً من خلافهم في المجالس الرسمية تفصح عن العصية والحدة وحب النيل من المنافس ، أعرض ذلك ليكون مدخلاً للكلام على المذهبيين بعد أن عرفنا رجاها الأولين . ولا تستغربن أن تكون الحدة والعصية على الكوفيين أظهر ، وحب الغلبة عندهم أشد ، فهم عن دنيائهم وجاههم يدافعون ، إذ علموا علم اليقين أن علمهم إزاء علم البصريين قليل^(١) ، ولذا كان الخطر من هؤلاء ماثلاً أمام الكوفيين ، ولعين

(١) قال أبو حاتم : « لم يكن لجميع الكوفيين عالم بالقرآن ولا كلام العرب ، -

الكسائي منهم خاصة ، ولم يرو عن كوفي عنف مثل عنف الكسائي هذا ، ولا حرص على الإجهاد على الخصم المنافس كما روي عنه ، وإليك الشواهد :

١ - بين الكسائي والاصمعي :

حدث أحمد بن يحيى ثعلب أحد أئمة الكوفيين قال :

كان الكسائي والاصمعي بحضرة الرشيد ، وكانا ملازمين له يقيمان بإقامته ويظمنان بظعنه ، فأنشد الكسائي :

أني جزوا عامراً سوءى بفعلهم أم كيف يجزوني السوءى من الحسن
أم كيف ينفع ما تعطي العلوق به رثمان أنف إذا ماض باللبن
فقال الاصمعي : إنما هو رثمان أنف ، بالنصب ، فقال له الكسائي :
« اسكت ، ما أنت وذاك ؟ يجوز بالرفع والنصب والخفض : أما الرفع

= ولولا أن الكسائي دنا من الخلفاء فرفعوا ذكره لم يكن شيئاً ، وعلمه مختلط بلا حجيح ولا علل إلا حكايات عن الأعراب مطروحة ، لأنه كان يلقنهم ما يريد ، وهو على ذلك أعلم الكوفيين بالعربية والقرآن ، وهو قدوتهم وإليه يرجعون . - مراتب التصوين ص ٧٤

هذا وقد علمت آنفاً أن الرؤاسي شيخ الكسائي أقام بالبصرة فلم يرتفع له فيها ذكر ، ولا عد علمه شيئاً لإزاء علم البصريين . ومهما جعلت للمبالغة نصيباً في قول أبي حاتم فأنت مطمئن إلى ستر الكوفيين قصورهم عن منافسيهم بالشغب والسلطان الذي كان لهم .

فعلى الرد على (ما) لأنها في موضع رفع بـ (ينفع) فيصير التقدير (أم كيف ينفع رثمان أنف) ، والنصب بـ (تعطي) ، والخفض على الرد على الهاء التي في (به) . ، فسكت الاصمعي ولم يكن له علم بالعربية ، وكان صاحب لغة ، لم يكن صاحب إعراب . (١)

عدوا الكسائي فأثراً في هذه المناظرة ، ولعل المجلس تقوض على ذلك . ولكننا الآن لانعه كذلك . فالاصمعي راوية ثبت صدوق وهو في الرواية والخبار أقوى من الكسائي ، والكسائي اورد وجوه الاعراب المحتملة ، اما الاصمعي فانما يريد صاحبه الى الرواية (٢) ، وشتان ما بين الأمرين .

(١) [إرشاد الأريب ١٣] ١٨٣ واملأ الزجاجي ص ٣٤ (المطبعة المحمودية التجارية بالازهر بمصر) . والبيان لأقنون التغلبي (انظر المفضليات للضي ٦٣/٢ طبعة دار المعارف بالقاهرة) .

العلوق : الناقة تفقد ولدها بنحر او موت ، فيسلخ جلده ويحشى تبناً وتقدم إليها (لترأمة اي تعطف عليه) ويدبر لبنها فينتفعون به ، فهي تشمه وينكره قابها فتعطف عليه ولا ترسل اللبن ، فشبه ذلك بهذا .
والبيت مثل يضرب لمن يمدك بلسانه كل جميل ولم يفعل منه شيئاً لأن قلبه منظو على ضده ، كأنه قيل له : كيف ينفعني قولك الجميل إذا كنت لا تفني به . — اهـ من المصدر الأول بتصرف يسير .

هذا وقد علق ابن الشجري حين عرض هذه القضية بقوله :

« ولنحاة الكوفيين في أكثر كلامهم تهاويل فارغة من حقيقة » ٣٢/١ .

(٢) بل ان المعنى لينصر رواية الاصمعي ويرفض رواية الرفع « و صوب ابن الشجري انكار الاصمعي فقال : لأن رثمانها للبو بأنفها هو عطيتها اياه لاعطية لها غيره ، فاساذا رفع لم يبق لها عطية في البيت ، لأن في رفعه اخلاء (تعطي) من مفعوله لفظاً وتقديراً ، والجر اقرب الى الصواب قليلاً ؛ وانما حق المعنى والاعراب النصب . » انظر معني اللبيب بحث (ام) .

والاصمعي مجلس آخر مع الكسائي امام الرشيد كال له فيه الصاع صاعين وحكم له الرشيد حكماً لزم الكسائي عاره :

قال له الاصمعي وهما عند الرشيد . « ما معنى قول الراعي :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً ودعوا فلم أر مثله مخذولاً ؟ »

قال الكسائي : « كان محرماً بالحج » قال الاصمعي : « فقلوه :

قتلوا كسرى بليس محرماً فتولى لم يتمتع بكفن هل كان محرماً بالحج ؟ !! » .

فقال هارون للكسائي : « يا علي اذا جاء الشعر فاياك والاصمعي . » (١)

٢ - بين الكسائي وسيبويه

قال الفراء : « قدم سيبويه على البرامكة فعزم يحيى بن خالد ان يجمع بينهما وبين الكسائي وجعل لذلك يوماً ، فلما حضر تقدمت وابن الاحمر (٢) ، فدخل فاذا بمثال

= ولاكسائي مثل هذا التخييط مع عيسى بن عمر فقد القى عليه عيسى مسألة فذهب يوجه احتمالاتها فقال عيسى : « عافاك الله ، انما اريد كلام العرب ، وليس هذا الذي تأتني به بكلامها . » — انباء الرواة ٣٧٧/٢ .

(١) اخبار النحويين البصريين ص ٥٩ — محرم اي لم يحل من نفسه شيئاً يوجب القتل ، وقوله (محرماً) في كسرى يعني حرمة العهد الذي له في اعتناق اصحابه . هذا وقد سجلوا الكسائي طلبه الهدنة من الاصمعي : قال الاصمعي : « ارسل الي الكسائي بأبي نصر وقال : لست اعرض لك في الشعر والغريب والمعاني فدعني والنحو » فوجهت اليه : « ما كلمتك قط في النحو الا بحجة اصحابي وقد تركت ذلك لك . » — انباء الرواة ٢٧٢/٢ .

(٢) هو علي بن الحسن الاحمر تلميذ الكسائي وخليفته على تعليم اولاد الرشيد =

في صدر المجلس فقعده عليه يحيى ، وقعد الى جانب المثال جعفر والفضل ومن حضر بحضورهم ، وحضر سيويه فأقبل عليه الاحمر فسأله عن مسألة فأجابها فيها سيويه فقال له « اخطأت » ، ثم سأله عن ثانية وثالثة كل ذلك يقول له « اخطأت » ، فقال له سيويه : « هذا سوء ادب » .

فأقبلت عليه فقلت : « ان في هذا الرجل حدة وعجلة ، ولكن ما تقول فيمن قال : « هؤلاء ابون ، ومررت بأين » كيف تقول على مثال ذلك من (وأيت) او (أويت) فأجاب فأخطأ فقلت له : « أعد النظر ... ثلاث مرات تجيب ولا تصيب (١) . فلما كثر عليه ذلك قال : لست أكلمكم أو يحضر صاحبكم حتى أناظره . »

فحضر الكسائي فأقبل على سيويه فقال : « أتسألني أم أسألك ؟ » فقال : « بل ساني أنت . » فقال له الكسائي : « كيف تقول : قد كنت أظن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي ، أو (فإذا هو إياها) ؟ » فقال سيويه : (فإذا هو هي) « ولا يجوز النصب » . فقال له الكسائي : « لحنت » .

ثم سأله عن مسائل من هذا النوع : (خرجت فإذا عبد الله القائم)

= كإسائي . وفي المغني وحاشية الدسوقي عليه (١٢٩/١) « خلف الاحمر وهذا هو منهجهم الله ، اذ ان خلفاً بصري ولا تعرف له تلمذة على الكسائي ، بل اين هذا من هذا . » (١) قال ابن هشام الانصاري بمدشرحه هذه المسألة : وليس هذا مما يخفى على سيويه ولا على اصاغر الطلبة ولكنه كما قال أبو عثمان المازني : « دخلت بغداد فألقيت على مسائل فكنت أجيب فيها على مذهبي ويخطئونني على مذاهمهم » وهكذا اتفق لسيويه رحمه الله . - مغني اللبيب (مادة إذا) .

أو (القائم) ؟ فقال سيديوه في ذلك كله بالرفع دون النصب ، فقال الكسائي : « ليس هذا من كلام العرب ، العرب ترفع في ذلك كله وتنصب . » فدفع سيديوه قوله ، فقال يحيى بن خالد : « قد اختلفتما وإنما رئيسا بديكما ، فمن ذا يحكم بينكما ؟ » فقال له الكسائي : « هذه العرب في بابك قد جمعهم من كل أوب ، ووفدت عليك من كل صقع وهم فصحاء الناس ، وقد قنع بهم أهل المصرين وسمع أهل الكوفة وأهل البصرة منهم ، فيحضرون ويسألون » فقال يحيى وجعفر : « قد أنصفت » فأمر بإحضارهم فدخلوا فهم : أبو فقعمس وأبو دثار وأبو الجراح وأبو ثروان فسئلوا عن المسائل التي جرت بين الكسائي وسيديوه فتابعوا الكسائي وقالوا بقوله ، فأقبل يحيى على سيديوه فقال : « قد تسمع أيها الرجل . » فاستكان سيديوه ^(١) .

(١) إرشاد الأريب ١٣ / ١٨٥ - ١٨٨ ومغني اللبيب في بحث اذا . - وأقبل الكسائي على يحيى فقال : أصلح الله الوزير ، انه قد وفد عليك من بلده مؤملا فإن رأيت ألا ترده خائباً » فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فخرج وصير وجهه نحو فارس فأقام هناك حتى مات ولم يعد إلى البصرة . اهـ

فيقال إن هؤلاء الاعراب رشوا فوافقوا الكسائي ، وقيل تملقوه ارضاء للوزير ، وقيل لم ينطقوا بالنصب وإنما قالوا : القول قول الكسائي .

وقد ختم ابن الشجري هذا المجلس بأن الكسائي (إنما قصد سؤاله عما علم أنه لا وجه له في العربية ، واتفق هو والفراء على ذلك ، ليخالفه سيديوه فيكون الرجوع إلى السماع ، فيقطع المجلس عن النظر والقياس » امالي ابن الشجري ٢٠٦/١

ولم يختلف البصريون حتى اليوم في أن القول ما قال سيبويه وأن الموضع ايس بموضع نصب ، وأن هؤلاء الأعراب أعراب الحطمية الذين كان الكسائي يقوم بهم ويأخذ عنهم . ثم جاء نعلب فاحتال وجهاً للنصب فقال : ه وإنما ادخل الفاء في قوله (فاذا هو اياها) لأن (فإذا) : مفاجأة اي (فوجدته ورأيت ، فوجدت ورأيت) ينصب شيئين ويكون معه خبر فلذلك نصبت العرب . « (١)

قلت : وهو وجه غير صحيح ولو صح ان (فاذا = وجدت) لوجب ان يقال (فاذا اياه اياها) . ولم يدع ذلك حتى الكوفيين .

٣ - بين الكسائي واليزيدي

لقد سلط الله على الكسائي من يثار منه للأصمعي وسيبويه ، فأذاقه على يدي يحيى ابن المبارك اليزيدي ما كان كفاء لعصيته على البصريين . ويحيى هذا بصري قرأ على ابي عمرو بن العلاء والحليل بن احمد ، واتصل بخال المهدي يزيد بن منصور الحميري فأدب أولاده ، واليه نسب فليل (اليزيدي) . ولم يستطع الكسائي أن يغلبه بحجابه ، فعاش حياته تنزل عليه منه الضربات في المناظرة والهجاء بالأشعار . ثم كان مؤدب المأمون كما كان الكسائي مؤدب الأمين ، واليك مجلسين من مجالسهما ، أولهما قبل مناظرة سيبويه وثانيها بعدها :

١ - قال اليزيدي

« كنا في بلد مع المهدي في شهر رمضان قبل أن يستخلف بأربعة أشهر فتذاكروا عنده النحو والعربية ، وكنت متصلاً بخاله يزيد بن منصور والكسائي مع ولد الحسن الحاجب ، فبعث إلي وإلي الكسائي ، فصرت

(١) المرجع السابق .

إلى الدار فإذا الكسائي بالباب قد سبقني فقال لي : « أعوذ بالله من شرك يا أبا محمد » فقلت : « والله لا تؤتى من قبلي أو أوتى من قبلك . »

فلما دخلنا على المهدي أقبل علي فقال : « كيف نسبوا إلى البحرين فقالوا : (بحراني) وإلى الحصنين فقالوا : (حصني) ؟ هلا قالوا حصناني كما قالوا بحراني ؟ فقلت : « أيها الأمير ، لو قالوا في النسب إلى البحرين (بحري) لالتبس فلم يدر : النسبة إلى (البحرين) وقعت أم إلى البحر . فزادوا ألفاً للفرق بينهما كما قالوا في النسب إلى الروح : روحاني ؛ ولم يكن لـ (حصنين) شيء يلتبس به فقالوا : (حصني) على القياس . »

فسمعت الكسائي يقول لعمر بن بزيع : « لو سألتني الأمير عنهما لأجبت بأحسن من هذه العلة . » فقلت : « أصلح الله الأمير ، إن هذا يزعم أنك لو سأله أجاب بأحسن من جوابي » قال : « فقد سألته . » قال : « كرهوا أن يقولوا (حصناني) فيجمعوا بين نونين ، ولم يكن في البحرين إلا نون واحدة فقالوا (بحراني) لذلك . »

قلت : « كيف تنسب إلى رجل من (بني جنان) ؟ إن لزمت قياسك فقلت : (جني) جمعت بينه وبين المنسوب إلى الجن ، وإن قلت (جناني) رجعت عن قياسك وجمعت بين ثلاث نونات . »

ثم تفاوضنا إلى أن قلت له : « كيف تقول . إن من خير القوم وأفضلهم أو خيرهم بته زيد ؟ فأطرق مفكراً وأطال الفكرة فقلت : « أصلح الله الأمير ، لأن يجب فيخطيء فيتعلم ، أحسن من هذه الأطلالة . »

فقال : « إن من خير القوم وأفضلهم أو خيرهم بته زيدا » فقلت : « أخطأ
أيها الأمير . » قال : « وكيف ؟ » قلت : « لرفعه قبل أن يأتي باسم إن ،
وانصبه بعد الرفع ، وهذا لا يجيزه أحد . »

فقال شيبه بن الوليد عم ذفافة متعصبا له : « أراد بـ (أو) : بل »
فقلت : « هذا لعمرى معنى » ، فلقنه الكسائي فقال : « ما أردت غيره . »
فقلت : « أخطأتما جميعاً ! لأنه غير جائز أن يقال : إن من خير القوم
وأفضلهم ، بل خيرهم زيدا » فقال المهدي : « يا كسائي ، ما مر بك مثل
اليوم . » قال : « فكيف الصواب عندك ؟ » فقلت : « إن من خير القوم
وأفضلهم أو خيرهم بته زيد ، على معنى تكرير إن . » فقال المهدي :
« قد اختلفتما واتما عالمان ، فمن يفصل بينكما ؟ » قلت : « فصحاء العرب
المطبوعون . » فبعث إلى أبي المطوق ، فعملت ابياتاً إلى أن يجيء ، وكان
المهدي يميل إلى أخواله من اليمن (ومنصور الحميري حاضر) فقلت :

يا أيها السائلي لا أخبره عمن بصنعاء من ذوي الحسب
حمير ساداتها ، تقر لها بالفضل طراً ججاجع العرب
فإن من خيرهم وأفضلهم أو خيرهم بته أبو كرب
فلما جاء أبو المطوق أشدته الأبيات وسألته عن المسألة ، فوافقني (١)

(١) أمالي الزجاجي ص ٤٠ ثم قال الزجاجي : المسألة مبنية على الفساد للمغالطة
فاما جواب الكسائي فغير مرضي عند احد . وجواب اليزيدي غير جائز عندنا لانه
أضمر (ان) وأعملها وليس من قوتها ان تضمر فتعمل والصواب عندنا في المسألة =

٢ - في مضرة الرئيس :

سأل الرشيد اليزيدي والكسائي عن قصر (الشراء) ومده فقال
الكسائي : « مقصور لا غير » وقال اليزيدي : « يقصر ويمد » فقال
الكسائي : « من أين لك ؟ » فقال اليزيدي : « من المثل السائر :

= ان يقال : « إن من خير القوم وفضلهم أو خيرهم البتة زيد » فتضم اسم ان فيها
وتستأنف ما بعدها . اه - قلت : يريد ان اسمها ضمير شأن محذوف .

هذا والقصة في الاغاني (٧٦/١٨) وفيها ثمة اختلاف يسير وبعض نقص واختلال ،
أما الزيادة فيها فطريقة لدالاتها على أن العصبة في النحو لم تقتصر على النحاة بل تناولت
كبار رجال الدولة واغرتهم بالتحيز ، ولم ينح شيعة بن الوليد هذا وهو أحد قواد
المهدي من شرها واليك تنمة الخبر برواية الاغاني على لسان ابي محمد نفسه :
« فقال لي المهدي : كيف تنشده أنت ؟ فقلت : « أو خيرهم بته أبو كرب » على
إعادة (إن) كأنه قال : (أو إن خيرهم بته أبو كرب) » فقال الكسائي : « هو
الله قالها الساعة . » فتبسم المهدي وقال : « انك لتشهد له وما تدري » ثم طلع
الأعرابي الذي بعث اليه فألقيت عليه المسائل فاجاب فيها كلها بقولي فاستفزني السرور
حتى ضربت بقلنسوتي الارض وقلت : « أنا أبو محمد » فقال لي شيعة : « أتتكفى باسم
الامير » فقال المهدي . « والله ما أراد بذلك مكروهاً ، ولكنه فعل ما فعل للظفر ،
وقد لعمرى ظفر » فقلت : « إن الله عز وجل أنطقك ايها الامير بما انت اهله وانطق
غيرك بما هو اهله » فلما خرجنا قال لي شيعة : « أنخطئي بين يدي الامير ؟ أماتعلمن »
قلت : « قد سمعت ما قلت وأرجو ان تجد غيبها . » ثم لم اصبح حتى كتبت رقاعاً عدة ،
فلم أدع ديواناً إلا دسست اليه رقعة فيها أبيات قلتها فيه ، فاصبح الناس يتناشدونها وهي :

عش بجحد ولا يضرك نوك إنما عيش من ترى بالجدود
عش بجحد وكن هبنقة القيسي نوكاً او شيعة بن الوليد ! الخ

لا يفتر بالحرّة عام هداها ولا بالآمة عام شراها . « فقال الكسائي :
« ما ظننت أن أحداً يجهل مثل هذا » فقال الزبيدي : « ما ظننت أن
أحداً يفترى بين يدي أمير المؤمنين مثل هذا . » (١)

٣ - في مضرة الرئيد أيضاً :

سأل الزبيدي الكسائي بحضرة الرشيد قال : « انظر ، في هذا
الشعر عيب ؟ » وأنشده :

ما رأينا خرباً نـقـر عنه البيض صقر (٢)

لا يكون العير مهراً لا يكون ، المهر مهر

فقال الكسائي : « قد أقوى الشاعر . » فقال له الزبيدي : « انظر

فيه . » فقال : « أقوى ، لا بد أن ينصب المهر الثاني على أنه خبر كان . »

فضرب الزبيدي بقلنسوته الأرض وقال : « أنا أبو محمد ، الشعر

صواب ، وإنما ابتداءً فقال : المهر مهر . »

فقال له يحيى بن خالد : « أتكتني بحضرة أمير المؤمنين وتكشف

(١) قوله (مثل هذا) ساقط (من الصباح المنير) وعنه روينا الخبر وهو موجود

في التاج نقلاً عن الصباح فعمل الكلمة سقطت من مطبوعة الصباح الاميرية .

(٢) ارشاد الازيب ١٣/١٧٨ . - الحرب ذكر الجباري ، والمعنى لا يحاول الصقر

استخراج صقر من بيضة الجباري . و (يكون) الثانية تؤكد لفظي الاولى . و اراد
بـ أقوى : لحن .

رأسك؟ والله لخطأ الكسائي مع أدبه أحب إلينا من صوابك مع سوء فعلك .

فقال : « لذة الغلبة ألستني من هذا ما أحسن . » (١)

٤ — بين المازني ونحاة كوفيين

حضر المازني ونحاة كوفيون مجلس الوراق يوماً فقال الوراق — وهذه رواية المازني نفسه — :

« ياما زني هات مسألة . » قلت : « ماتقولون في قول الله تبارك وتعالى : « وما كانت أمك بغياً » [سورة مريم الآية ٢٨] : لم لم يقل : (بغية) وهي صفة لمؤنث؟ فأجابوا بجوابات غير مرضية ، فقال لي : « هات » قلت : « لو كان (بغية) على تقدير (فعيل) بمعنى (فاعلة) للحققتها الهاء مثل كريمة وظريفة ، وانما تحذف الهاء اذا كانت في معنى مفعولة في نحو (امرأة قتيل ، وكف خضيب) ؛ و (بغية) هاهنا ليس بفعيل انما هو (فمول) لالتحقه الهاء في وصف التأنيث نحو (امرأة شكور وبئر شطون اذا كانت بعيدة الرشاه) ، وتقدير (بغية) : (بغوي) قلبت الواو ياء ، ثم أدغمت الواو في الياء فصارت ياء ثقيلة نحو (سيدوميت) فاستحسن الجواب . » (٢)

٥ — بين المازني وابن السكيت

قال المازني :

حضرت يوماً مجلس المتوكل وحضر يعقوب بن السكيت ؛ فقال المتوكل : « تكلموا في مسألة نحوية . » فقلت له : « اسأل » فقال : « اسأل انت » فقلت له :

(١) المصدر السابق

(٢) طبقات النحويين واللغويين ص ٩٥

— ما وزن (نكتل) اللفظة الواردة في الآية المذكورة فيها قصة
إخوة يوسف ؟

فتسرع وقال : — وزنها (نفعل) .
فقلت له : « اتشد وانظر . » فأفكر ثم قال :
— وزنها (نفتعل) .

فقلت : — (نكتل) أربعة أحرف و (نفتعل) خمسة أحرف ،
فكيف تقدر الرباعي بالحاسي ؟ فبهت ولم يُجِر جواباً .
فقال المتوكل : فما تقول أنت يا مازني ؟

قلت : — وزنها في الأصل (نفتعل) لأنها (نكتال) فلما تحرك
حرف العلة وهو الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً فصارت (نكتل) ، ولما
دخل الجازم صارت (نكتل) .

فقال المتوكل : هذا هو الحق وانخرل ابن السكيت ووجم، وظهر ذلك عليه .
فلما خرجنا قال ابن السكيت في الطريق : « بالغت اليوم في اذاي » فقلت
له : « لم أقصدك بشيء مما جرى ، وإنما مسألة كانت قريبة من خاطري ، فذكرتها . » (١)

٦ - بين البرد وتعلب

هذا مجلس يرويه ثعلب نفسه وأنا أشك فيه كل الشك ، قال :
« دخلت يوماً الى محمد بن عبد الله بن طاهر وعنده أبو العباس محمد

ابن يزيد (المبرد) وجماعة من أشباهه وكتابه ، وكان محمد بن عيسى وصفه له فلما قعدت قال لي محمد بن عبد الله : « ما تقول في بيت امرئ القيس :
لها متنتان خطاتا كما أكب على ساعديه النمر ؟ »

فقلت : « ... خطابطا إذا كان صلباً مكتنزاً ، ووصف فرساً ، وقوله (كما أكب على ساعديه النمر) أي في صلابه ساعدي النمر إذا اعتمد على يده . والمتن الطريقة الممتدة عن يمين الصلب وشماله ؛ وما فيه من العربية أنه قال (خطاتا) فلما تحركت التاء أعاد الالف من أجل الحركة والفتحة . » ...

فقال محمد بن يزيد : « أعز الله الأمير ، أراد في (خطاتا) الاضافه أضاف (خطاتا) إلى (كما) . »

فقلت له : « ما قال هذا أحد . »

فقال محمد بن يزيد : « بل سيويه يقوله . »

فقلت لمحمد بن عبد الله : « لا والله ما قال هذا سيويه قط ؛ وهذا كتابه فيحضر . » ثم أقبلت على محمد بن عبد الله فقلت له : « وما حاجتنا إلى كتاب سيويه ؟ أيقال (مررت بالزيد بن ظريفي عمرو) فيضاف نعت الشيء إلى غيره ؟ » فقال محمد بن عبد الله بصحة طبعه : « لا والله ، ما يقال هذا . »

ونظر إلى محمد بن يزيد فأمسك ولم يقل شيئاً وقت ونهض المجلس^(١)

٧ - بين المبرد وتعلب أيضاً

« حكى ان بعض الأكابر من بني طاهر سأل ابا العباس ثعلباً ان يكتب له مصحفاً على مذهب اهل التحقيق ، فكتب (والضحى) بالياء ، ومذهب الكوفيين انه اذا كان كلمة من هذا النحو اولها ضمة او كسرة كتبت بالياء وان كانت من ذوات الواو ، والبصريون يكتبون بالالف . فنظر المبرد في ذلك المصحف فقال : « ينبغي ان يكتب (والضحى) بالالف لانه من ذوات الواو ، فجمع ابن طاهر بينهما :

فقال المبرد لتعلب : « لم كتبت (والضحى) بالياء ؟ » فقال : « لضمّة أوله . » فقال له : « ولم إذا ضم أوله وهو من ذوات الواو تكتبه بالياء ؟ » فقال : « لأن الضمة تشبه الواو ، وما أوله واو يكون آخره ياء ، فتوهّموا أن أوله واو » فقال المبرد : « أفلا يزول هذا التوهم إلى يوم القيامة ؟ !!! » (١).

(١) ارشاد الأريب ١٩/ ١١٨ .

هذا وقد تمثلت في الخصومة بينها الخصومة بين البصريين والكوفيين عامة واشترك فيها الشعر على هوى قائله : فحجب للوفاق يقول :

أيا طالب العلم لاتجملن وعذ بالمبرد أو ثعلب
وبصري يقول :

رأيت محمد بن يزيد يسمو الى الخيرات في جاء وقد ر...
وكان الشعر قد أودى فأحيا ابو العباس دائر كل شعر
وقالوا ثعلب رجل عليم واين النجم من شمس وبدر
وقالوا ثعلب يفتي ويملي واين الثعلبان من الهزبر. الخ

والظاهر أن حيوية هذه الخصومة جلبت اليها الوقود السكاكي من المتعصين حتى =

٨ -- بين ثعلب والزجاج

قال الزجاج :

دخلت على أبي العباس ثعلب في أيام المبرد وقد أُملى شيئاً من (المقتضب)
فسلمت عليه وعنده أبو موسى الحامض وكان يحسدني شديداً ويجاهرني
بالعداوة وكنت ألين له وأحتمله لموضع الشيخوخة .

فقال لي ثعلب : « قد حمل إلي بمض ما أملاه هذا الخلدني (يعني
المبرد) فرأيت أنه لا يطوع لسانه بعبارة فقلت له : « إنه لا يشك في حسن
عبارته اثنان ، ولكن سوء رأيك فيه يعيبه عندك . » فقال : « ما رأيته
إلا ألكن متغلقاً » .

فقال أبو موسى : « والله إن صاحبكم (يعني سيديويه) ألكن »
فأحفظني ذلك ثم قال :

« بلغني عن الفراء أنه قال : « دخلت البصرة فلقيت يونس وأصحابه
فسمعتهم يذكرون سيديويه بالحفظ والدراية وحسن القطنة ، فأنته فإذا
هو أعجم لا يفصح ، سمعته يقول لجارية : « هات ذيك الماء من ذاك الجرة
فخرجت من عنده ولم أعد إليه » .

فقلت له : « هذا لا يصح عن الفراء ، وأنت غير مأمون في هذه

— ذهب مثلاً في الأدب فمقال أحد الحيين يحسن ويتشوق :

فأبداننا في بلدة والتقاؤنا عسير كأننا ثعلب والمبرد

— انظر بغية الوعاة ص ١١٦

الحكاية ، ولا يعرف أصحاب سيوييه من هذا شيئاً ، وكيف تقول هذا لمن يقول في أول كتابه : (هذا باب علم ما الكلام من العربية) ؟ وهذا يعجز عن إدراك فهمه كثير من الفصحاء فضلاً عن النطق به « فقال ثعلب : « قد وجدت في كتابه نحواً من هذا : يقول : (حاشا) حرف يخفض ما بعده كما تخفض حتى وفيها معنى الاستثناء . »

فقلت : هذا كذا في كتابه ؛ وهو صحيح : ذهب في التذكير إلى الحرف ، وفي التأنيث إلى الكلمة . »

قال : « والوجود أن يحمل الكلام على وجه واحد . »

قلت : « كلٌ جيد ، قال الله تعالى : « ومن يفتن منكن لله ورسوله ويعمل صالحاً ... » (١) .

وقرىء : « وتعمل صالحاً » وقال عز وجل : « ومنهم من يستمعون إليك . » (٢) ذهب إلى المعنى ، ثم قال « ومنهم من ينظر إليك .. » (٣) ذهب إلى اللفظ ، وليس لقائل أن يقول : لو حمل الكلام على وجه واحد في الاثنين كان أجود ، لأن كلاً جيد .

فأما نحن (يريد البصريين) فلا نذكر (حدود) القراء لأن صوابه فيه أكثر من أن يعد ؛ ولكن هذا أنت (يا ثعلب) عملت كتاب

(١) سورة الاحزاب ٣٣ الآية ٣١

(٢) سورة يونس ١٠ الآية ٤٢

(٣) الآية التالية ١٠ / ٤٣

(الفصيح) للمبتدي المتعلم وهو عشرون ورقة أخطأت في عشرة مواضع منه . . . الخ » .

وفصل هذه المواضع مستشهداً بكلام العرب فانظرها في مظنتها^(١) ، ثم قال الزجاج : « . . . فما قرىء عليه كتاب (الفصيح) بعد ذلك علمي ، ثم بلغني أنه سئم ذلك ، فأنكر كتاب (الفصيح) أن يكون له . . »^(١)

وهم يصفون ثعلباً بغزارة الحفظ لكنه « لم يكن مع ذلك موصوفاً بالبلاغة وإذا كتب كتاباً إلى بعض أصحاب السلطان ما خرج عن طبع العامة »^(٢) .

* * *

في أكثر هذه الاخبار مجال لمن شك فيها أو توقف ، فما فاز فيه الكسائي على خصمه عرفناه من رواية أنصاره الكوفيين ، فراوي خبر الأصمعي والكسائي : ثعلب وهو من أئمتهم ، وراوي خبر سيديوه والكسائي : الفراء تلميذ الكسائي ، وراوي خبر الزبيدي والكسائي : الزبيدي نفسه ولم نسمع رواية الطرف الآخر ممن شاهد الوقائع ؛ ومع هذا نستطيع اعتبارها واقعة كما رووها لنا ونمضي في بحثنا ، جاعلين عدم

(١) ارشاد الارب ١/ ١٣٧ - ١٤٣ وانظر انباه الرواة ٣/ ١٤١

(٢) طبقات النحويين واللغويين ص ١٥٧

تقص البصريين لهذه الروايات إقراراً منهم بمضمونها . ونلاحظ بعد ذلك الأمرين الآتين :

١ - لا يحتاج القارىء إلى كثير روية حتى يطمئن إلى أن الحق في كل هذه المناظرات كان بجانب البصريين : الأصمعي ، وسيبويه ، واليزيدي والمبرد . وأن حجج الكوفيين في هذه المسائل واهية .

٢ - لم تكن أكثر هذه المجالس عادلة ، فإل السلطان إلى أحد الخصمين وتقريبه له ومكانته عنده . كل ذلك قوى نفسه فاستطال على خصمه بدالته ولسانه وجاهه في القصر وعند الشهود ، وتحدث هذه المجالس بغلبته ، إلى أن مضت الأيام وانقضت تلك الاعتبارات وحكم التاريخ فرد الحق إلى أهله .

.

وبعد ، فقد بلغ هذا الخلاف أجله ، ودرج العلماء والمؤرخون على أن هناك مذهباً بصرياً وآخر كوفياً ، فما معالم كل من الذهيين وما أهم الميزات لهذا وذاك ؟

أبادر قبل بسط هذه المعالم إلى تسجيل أمرين لا بد منهما إذا أردنا الدقة في البحث والاحتياط في الأحكام :

١ - نحن اليوم نملك من كتب البصريين عدداً صالحاً يساعدنا في إرسال الأحكام بشيء من الاطمئنان ، فقد راجت في الأقطار منذ تأليفها

حتى اليوم ، وشرح منها الشيء الكثير ، وتداولته الطلبة على مر السنين . ثم كان الذين ألفوا في طبقات النحويين وأخبارهم ممن طبعت كتبهم ينصر أكثرهم المذهب البصري ، وكان النحو في الشام ومصر والمغرب والأندلس .. بصري الطابع في أكثر مسائله أغلب الأزمان ، وهذا كله قد خدم كتب البصريين ونحوهم خدمة لم يحظ ببعضها المذهب الآخر .

أما الكوفيون فلم يطبع من كتبهم النحوية حتى الآن شيء فيما أعلم^(١) وإنما اطلعنا على أقوالهم في كتب المتأخرين منشورة على المسائل ، أي إن آراءهم وردت في كتب خصومهم - مع شيء من التجوز - للرد عليها ؛ فإن نحن اعتمدنا على ذلك في إصدار الأحكام فلم نكن إلى العدل في شيء . والحق يقضي ألا نرسل حكماً بين فريقين إلا بعد الاستماع إلى حجب كل من فيه . وهذا مع الأسف ليس ميسوراً الآن .

٢ — هذه الميزات والمعالن الآتية بعد ، ليست جامعة مانعة ؛ فليست هناك قاعدة أجمع عليها نحاة البصرة وتوارد على معارضتها نحاة الكوفة ، أو قال بها الآخرون جميعاً وعارضها الأولون جميعاً . بل كثير ما نجد العالم الواحد من أهل الكوفة مثلاً يذهب إلى أحكام يوافق فيها مذهب

(١) بل إنني سردت تراجم النحاة في (بغية الوعاة) فلا أذكر أنه مر بي كتاب في النحو الكوفي بعد أمته الأولين غير ما جاء في ترجمة أبي جعفر التنوخي (- ٣١٨) من أن له مؤلفاً في النحو على مذهب الكوفيين ، إلا أن يكون مر شيء وغفلت عنه .

خصومه ويخالف أهل مصره . وطالما تجدد هذه الظاهرة في كتاب
(الانصاف في مسائل الخلاف لابن الانباري) ^(١) وفي كتب النحو
الأخرى ^(٢) . وما أكثر ما نقرأ فيها : « قال البصريون إلا فلاناً وفلاناً
كذا ، وذهب الكوفيون إلا فلاناً إلى كذا . » ^(٣)
ولم يطرد الصواب في أحد المذهبين اطراداً ، بل تجددت تارة مع
هؤلاء وتارة مع أولئك ، وحيناً وسطاً بينهما .

(٣)

الفروق بين المذهبين البصري والكوفي

بعد الاحتياط المتقدم نحصر الكلام على المذهبين في ناحيتين اثنتين
إليهما مرد الأمر كله ، وهما السماع والقياس .

-
- (١) انظر مثلاً المسألة الثالثة (١٩/١) في خلافهم حول الالف والواو والياء
الثنية والجمع : هل هي اعراب كالفتحة والضمّة والكسرة او هي حروف اعراب ،
فتجد الكوفيين قالوا بالاول ، والبصريين بالثاني ، ووافق قطرب (البصري)
مذهب الكوفيين . وانشق المازني والمبرد والاختفش عن البصريين برأي ثالث .
- (٢) انظر مثلاً معنى الليب : مادة (كلا) فقد اختلف في معناها الكسائي
والفراء وكلاهما كوفي : قال الاول هي بمعنى حقاً وقال الثاني : هي بمعنى (ألا) الاستفتاحية
- (٣) وأطرف مفارقة اطلعت عليها امر نحوي اسمه علي بن الحسن الهنائي معروف
بكراع التمل مات بعد سنة ٣٠٧ فقد كان مصرياً اخذ عن البصريين وكان نحوباً
على مذهب الكوفيين - انظر الفهرست لابن النديم ص ١٢٤

أمر السماع

تقع البصرة على سيف البادية ، وأكثر عربها من قيس وتميم ، وقد عرفت شأنهما في الاحتجاج ، وتحف بها قبائل عربية سليمة السليقة لم تفسد لغتها بمخالطة الأعاجم ، فكانت هذه القبائل ترد سوق البصرة المشهورة (المربد) . وأنت تعلم أن الربد كانت عكاظ الإسلام ، ففيها تناشد وتفاخر كما فيها تجارة وبيع^(١) ، وذلك له أثره في فصاحة أهل البصرة وسلامة لغتهم . ثم كانت هناك رحلات متبادلة ، فعلماء البصرة دائمو الترحال إلى البادية والجزيرة يتلقون عن أعربها ، والأعراب دائمو الورود إلى البصرة لشؤون معاشهم ، فقد ضرب في بوادي الجزيرة الأصمعي وأبو عبيدة ويونس وأبو زيد والحليل وغيرهم ، ثم كانوا يتحرون في الأخذ : أما العربي فيتحرون فيه سلامة لغته وسليقته^(٢) وأما الراوي فالصدق والضبط ، ثم كانوا لا يعتدون بالشاهد إذا لم يعرف قائله أو لم يروه عربي يوثق بلغته^(٣) ، ومن هنا عجت بلدهم بفصحاء

(١) انظر بسط ذلك في كتابنا (اسواق العرب في الجاهلية والإسلام) .

(٢) استضعف أبو عمرو بن العلاء فصاحة أبي خيرة الاعرابي لما سأله : كيف تقول استأصل الله عرقاتهم ؟ ففتح أبوخير التاء ، فقال له أبو عمرو : « هيات أبا خيرة ، لان جلدك . » - الخصائص ١٣/٢

(٣) في كتاب سيويه (١٠٥٠) شاهد آخسون منهم لم يعرف قائلوها ، فاعتذروا بأن سيويه وثق برواتها . ومع هذا كان بين هذه الخمسين ماوضع وضعاً . وهو نزر يسير لا يعتد به .

الأعراب المعروفين في كتب الأدب ، الذين كانوا من مفاخر البصرة التي يعتدها البصريون .

أما الكوفة فهي أدخل في العراق وأقرب إلى الاختلاط بالأعاجم ولغة أعرابها ليست لها سلامة لغة أعراب البصرة ، فأكثرهم يمن وبها قليل من قبائل أخرى ، واليمن - كما رأيت في بحث الاحتجاج - لا يحتاج بلغتها لتغيرها بالاختلاط بالفرس والأحباش ، ثم بين الكوفة وجزيرة العرب صحراء السماوة الشاسعة فلذا لم تكن رحلات علمائها إلى الجزيرة كرحلات علماء البصرة ، والكسائي الذي ارتحل لم يرتحل إلا لما تتلمذ على الخليل وسأله فأرشدته إلى الرحلة ، بل نقلوا أن الكسائي « حمل إلى الاخفش خمسين ديناراً وقرأ عليه كتاب سيبويه سراً » ^(١) . نعم كان للكوفة سوق أرادوا بها أن تحاكي مريد البصرة وهي (سوق كناسة) ، لكن لم يكن لها ذلك الشأن ، وهي إلى أن تكون داعية إفساد اللغة أقرب منها إلى أن تكون عاملاً في صيانتها ، لأن الأعراب الذين يؤمونها غير سليمي السلائق . كل هذه العوامل صرفت الكوفيين إلى رواية الشعر ، فذلك هو الميسور لهم ، وزعموا أن سبب علمهم بالشعر وسبقهم فيه أهل البصرة : أن المختار بن أبي عبيد الله خرج بالكوفة قيل له : « إن تحت القصر الأبيض الذي كان للنعمان كنزاً » . فاحتفر فوجد الطنوج التي كان النعمان أمر أن ينسخ فيها أشعار العرب فأخرجها ، قالوا :

(١) انظر مثلاً مراتب النحويين ص ٧٤

فمن ثم كان أهل الكوفة أعلم بالشعر ، هذه رواية حماد الراوية الكوفي^(١).

هذا حال من ينقلون عنه من حيث السليقة وسلامة اللغة ، وأما الجهة الثانية وهي صدق الراوي وضبطه فلم يعنوا بها ، ولذا كثر الموضوع المصنوع في أكثر رواياتهم ، قال أبو الطيب اللغوي : « الشعر بالكوفة أكثر وأجمع منه بالبصرة ، ولكن أكثره مصنوع ومنسوب إلى من لم يقله ، وذلك بين في دواوينهم »^(٢) وأبعد من ذلك في الدلالة قصة خاف ابن الأحمر راويتهم الكبير فقد قال :

« أتيت الكوفة لأكتب عنهم الشعر فبخلوا علي به فكنت أعطيهم المنحول وآخذ الصحيح ، ثم مرضت فقلت لهم : « ويلكم ، أنا تائب إلى الله تعالى ؛ هذا الشعر لي . » فلم يقبلوا مني وبقي منسوباً إلى العرب لهذا السبب .^(٣)

أما راويتهم الأبرار « حماد » فهو الشمس شهرة في كذبه ووضعه ، و « قد سلط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبداً ... فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل من الأقدمين ويدخله في

(١) انظر الخصائص ٣٨٧/١ . الطنوج : الكراريس . والخبر كله اسطورة من الصعب تصديقها وإعله وضع كما توضع أشباهه من الأخبار النافخة في العصبية للبلدان

(٢) عن مراتب النحويين ٧٤

(٣) وفيات الأعيان ٣٩٣/١

شعره ، ويحمل عنه ذلك في الآفاق فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها الا عند عالم ناقد ، وأين ذلك » ^(١) ولا تنسى استشهاده باللحن أيضاً حتى امتنع الكميت الشاعر عن إملاء شعره وقد طلب ذلك منه وقال له : « أنت لحان ولا أكتبك شعري » ^(٢).

وقد عجب يونس « كيف يأخذ الناس عن حماد وهو يلحن ويكسر الشعر ويكذب ويصحف » ^(٣) ولا تنسى أنه دلهي من السبي .

كان من الطبيعي إذاً أن يطرح الثقات روايات أهل الكوفة وقد ملأها حماد وخلف وغيرهما بالمصنوع ، وصار ذلك مما يميز مدرسة الكوفة من مدرسة البصرة ، وعرف ذلك الخاص العام ، حتى أتى من ألف في طبقات النحويين فسجل الظاهرة الآتية :

« لا يعلم أحد من علماء البصريين بالنحو واللغة أخذ عن أهل الكوفة إلا أبا زيد الانصاري البصري ، فقد روى عن المفضل الضبي الكوفي » ^(٤)

(١) كلمة المفضل الضبي — ارشاد الأريب ٢٦٥/١٠ . وعلى ان المفضل الضبي هذا « اعلم من وردعينا من غير اهل « البصرة » بتعبير ابن سلام (انظر طبقات الشعراء ص ٢١) فقد وقع هو نفسه فيها خاف منه ، فذكر ابن سلام في كلامه على عدي بن زيد انه « حمل عليه شيء كثير ، وتخليصه شديد واضطرب فيه خلف وخالط فيه المفضل فاكثر !! » ص ١١٧

(٢) الموشح للمرزباني ص ١٩٥

(٣) مراتب النحويين ص ٧٣

(٤) نزهة الالباء لابن الانباري ص ١٧٥

وحق كانوا إذا بالغوا في الثناء على علم كوفي شبهوا روايته برواية أهل البصرة فقالوا في ترجمة ابن الاعرابي تلميذ المفضل الضبي : « ولم يكن أحد من الكوفيين أشبه روايته برواية البصريين منه . » (١)

أما أهل الكوفة فيروون عن أهل البصرة إذ كانوا أساتذتهم ، حتى الكسائي الذي قرأ على الخليل ويونس وعيسى بن عمر ، ورأى تحريمهم فيما ينقلون وفيمن يشافهون ؛ زایل التحري حين انتقل إلى بغداد (٢) وكان أمره كما قال أبو زيد الانصاري : « قدم علينا الكسائي البصرة فلقي عيسى والخليل وغيرهما ، وأخذ منهم نحواً كثيراً ، ثم صار إلى بغداد فلقي أعراب الحُطَمية فأخذ عنهم الفساد من الخطأ واللحن ، فأفسد بذلك

(١) بغية الوعاة ٤٢٠ سألته ثعلب عن بضع عشرة مسألة من شعر الطرماح في مجلس واحد فقال في كلها : « لا أدري ولم اسمع ، فأحدث لك برأبي ؟ » هذا مع وصفهم له بالاتساع في العلم جداً وأنه لم يراحد في علم اللغة والشعر كان أغزر منه « انظر الصفحة نفسها وفي امالي الزبيدي (ص ٩٠ طبعة جيدر آباد ١٣٦٧ هـ) ان ابن الاعرابي قال : أصير في كل شهر إلى أبي الوليد محمد بن أبي أحمد بن أبي دؤاد أربعة مجالس وأخذ منه ألف درهم وأصرفها إلى الاعراب الفصحاء لأستفيد منهم . » قال ثعلب : « ما رأيت أعطى للأعراب الفصحاء من ثلاثة : إسحق الموصلي وأحمد بن إبراهيم الكاتب ، وابن الاعرابي . »

قلت : وفي هذه الصفات كلها التي اسبغت على هذا العالم الكوفي ما فيها من الدلالة على شأن مدرسة البصرة في صحة الرواية .

(٢) انظر ص ١٤٩ .

ما كان أخذه بالبصرة كله . » (١)

كل ما تقدم مشهور متعارف عند أهل العلم قديماً ، حتى إن ابن سلام لما نقل قول المفضل الضبي : « للأسود بن يعفر ثلاثون ومئة قصيدة . » عقب عليه بقوله : « ونحن لا نعرف له ذلك ولا قريباً منه ؛ وقد علمت أن أهل الكوفة يروون له أكثر مما نروي ويتجاوزون في ذلك بأكثر من تجوزنا . » (٢)

هذا فرق ما بين المدرستين في أمر السماع وصحته والتحري فيه .

أمر القياس

رسم البصريون خطهم في النحو بعد أن جعلوا نصب أعينهم الهدف

(١) ارشاد الاريب ١٣/ ١٨٤ . الخطمية قرية على فرسخ من شرقي بغداد . وذكر الاصمعي « ان الكسائي يأخذ اللغة عن اعراب الخطمية ينزلون بقطر بل (قرية بين بغداد وعكبرا) وغيرها من قرى سواد بغداد ، فلما ناظر سيبويه استشهد بكلامهم واحتج بهم وبلغتهم على سيبويه » ١٣/ ١٨١ . وانظر فيما وقع له من لحن حتى في قراءة القرآن انباء الرواة ٢/ ٢٦٢ ، ٢٦٣ وهو - وإن كان سهواً - دليل على ضعف ملكته .

(٢) طبقات الشعراء ص ١٢٣ . هذا وكان ابو حاتم السجستاني يقول مريداً البصريين : « فاذا فسرت حروف القرآن المختلف فيها ، او حكيت عن العرب شيئاً فانما أحكيه عن الثقات عنهم مثل ابي زيد والاصمعي وابي عبيدة ويونس وثقات من فصحاء الاعراب وحلمة العلم ؛ ولا ألتفت الى رواية الكسائي والاخري والاموي والفراء ونحوهم ، وأعوذ بالله من شرهم . » - مراتب النحويين ص ٩٠

الذي إليه يرمون ، وهو عصمة اللسان من الخطأ ، وتيسير العربية على من تعلمها من الأعاجم . ولذا تحروا ما نقلوا عن العرب ثم استقروا أحواله فوضعوا قواعدهم على الأعم الأغلب من هذه الأحوال ، فإن تناثر هنا وهناك نصوص قليلة لا تشملها قواعدهم سلكوا بها - بعد التحري من صحة نقلها عن العرب المحتج بكلامهم - إحدى طريقتين : إما أن يتأولوها حتى تنطبق عليها القاعدة ، وإما أن يهملوا أمرها لقلتها فيحفظوها ولا يقيسوا عليها ، جاعليها من الصنف الذي سموه مطرداً في السماع شاذاً في القياس ، وقد مر بك هذا (ص ٨٤) . وذلك مثل (استحوذ واستصوب) والقياس فيها الإعلال مثل (استقال ، استجاد ، استطال . . الخ) فقالوا : تحفظ الكلمات النادرة التي وردت عن العرب في هذا الباب ولا يقاس عليها ، بل منهم من ذهب إلى أن اتخاذ القياس فيها (استخاذ ، استصاب) غير خطأ .

وهم الذين أمعنوا في أحوال الكلام العربي ، واستنبطوا علله ، وحكموا فيها المنطق والعقل حتى جاءت قواعدهم في القياس والنحو الذي بني عليها متماسكة متناسقة في الجملة ، ولا بد في كل تنسيق من تشذيب يخرج بعض التواء من الهيكل المشذب . ولم يكن إلى الصواب من عاب عليهم من المحدثين أنهم بتعميم هذه القواعد قد أهדרوا شيئاً من اللغة ، فهم حين يختارون بين اللغتين أشبهما وأقربهما إلى القياس ، قد قاموا بخير ما يمكن أن يقوم به من يريد حفظ اللغة ، ومع أن

الكوفيين جمعوا ما هب ودب ولم يفرطوا شيئاً مما وصل إليهم ، لم يدعوا ولم يدع لهم أحد أنهم لموا اللغة من أطرافها وأحصوها ، وأنا نجد عندهم كل لغات العرب بلهجات قبائلها ؛ بل نحن أخرى أن نجد عند البصريين المنظمين المنسقين ما لا نجده عند غيرهم ، فالنظام يحفظ في نسق ما لا يستطيع غيره أن يحفظه .

أما الكوفيون فلم تكن لهم أصول يبنون عليها غير ما أخذوه عن أساتذتهم البصريين ولم يحسنوه ، ثم جعلوا من اللامنهج في سماعهم منهجاً خاصاً لهم ، فسمعوا الشاذ واللحن والخطأ ، وأخذوا عن فسدت لغته من الأعراب وأهل الحضرة ؛ فلما اقتضت المنافسة أن يكون لهم قياس كما لا أولئك بنوه على ما عندهم مما يتنزه عن روايته البصري ، ثم جعلوا كل شاذ ونادر قاعدة لنفسه ، فانتشرت قواعدهم ولم يعد لها ما يمسكها من نظام أو منطق ، وضاعت الغاية من وضع النحو فلم يعد - في أيديهم - أداة تيسر لتعلم العربية ، بعد أن أصبحت له قواعد بعدد ما جمعوا من شواهد ، وهذا شيخهم وكبيرهم الكسائي : « كان يسمع الشاذ الذي لا يجوز من الخطأ واللحن وشعر غير أهل الفصاحة ، والضرورات فيجعل ذلك أصلاً ويقيس عليه حتى أفسد النحو » ^(١) وحتى ضاق به

(١) ارشاد الأريب ١٨٣/١٣ . ويقول ابن درستوية . « كان الكسائي يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلا في الضرورة فيجمله أصلاً ويقيس عليه فأفسد النحو بذلك . »
— بغية الوعاة ص ٣٢٦ .

وبقياسه وبسماعه الزبيدي فقال :

كنا نقيس النحو فيما مضى على لسان العرب الأول
فجاءنا قوم يقيسونه على لُغى أشياخ قطر بل
فكلهم يعمل في نقض ما به يصاب الحق لا يأتي
إن الكسائي وأشياءه يرقون بالنحو إلى أسفل^(١)

وغاب هذا الانحراف على الكوفيين حتى قال الاندلسي شارح
المفصل: « الكوفيون لو سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف للأصول
جعلوه أصلاً وبوبوا عليه . »^(٢)

أما قياسهم نفسه ومقدار جودته فقد مر بك في المناظرات نمط منه ،
وعرفت وهيه حين يعللون بالتوهم مرة (في رسم والضحي) ، وبتسليط
فعل مقدر على أحد المتعاطفين دون الثاني في قضية (فإذا هو إياها) .

* * *

اتجه بعض الباحثين المحدثين إلى عد المذهب الكوفي مذهب سماع
على حين عدوا المذهب البصري مذهب قياس ؛ فذهب الاستاذ أحمد
أمين إلى أنهم « يحترمون كل ما جاء عن العرب ويجيزون للناس أن

(١) أخبار التحويين البصريين ص ٤٤ وبغية الوعاة ص ٣٣٦ وإرشاد

الاربيب ٢٠ / ٣١ .

(٢) الاقتراح ١٠٠ .

يستعملوا استعمالهم» (١) ، وبالف المرحوم الاستاذ طه الراوي فقال :
أما « مذهب الكوفيين فلواؤه بيد السماع ، لا يخفى له ذمة ولا ينقض
له عهداً ، ويهون على الكوفي نقض أصل من أصوله أو نصف قاعدة من
قواعده ، ولا يهون عليه اطراح المسموع على الاكثر . » (٢)

وأود هنا - بعد ما مري بك - أن أحرر هذا الأمر فأفرق بين القياس
ذي الأصول المقررة ، والقياس المشوش الذي لا ضابط له . فالصحيح
أن الفريقين كانا يقيسان ، وربما كان الكوفيون أكثر قياساً إذا راعينا
(الكلم) فهم يقيسون على القليل والكثير والنادر والشاذ ، ولم نعلم لهم
مناهج محددة في القياس ، أما البصريون فهم أقيس إذا راعينا (الكيف)
- والحق مراعاته - فهم لا يقيسون إلا على الأعم الأغلب ، ولهم في
القياس اصول عامة يراعونها . والزمن حكم لعلمهم بالبقاء إذ كان
الانساب والانضبط ، فكان نحو الناس حتى هذا اليوم بصرياً في أغلبه .
تصرفت الحياة في هذا الأمر بما لا يشعر به البصريون ولا الكوفيون ،
إذ أن لها اختيارها الخاص الملائم : تقبل ما يروقها وتحييه غير آبهة لما
يقول هؤلاء ولا ما يقول أولئك ، وإنما السليقة اللغوية الخفية في نفوس
المتكلمين هي التي احتفظت بما كان أقرب لروح العربية الأولى : فئات

(١) ضحى الاسلام ٢/٢٩٥ ،

(٢) نظرة في النحو : مجلة المجمع العلمي العربي ١٤/٣١٩ .

بل لم يولد ما جائف هذه السليقة ، فما احد قال ولا يقول اليوم (الرجال قام) وإن قال المذهب الكوفي بتقديم الفاعل على الفعل .

اما السماع فهل كان الكوفيون (يحترمونه) حقاً كما قال الأستاذ احمد امين ؟ ، لا وهل كان (لو اؤهم بيده لا يخفرون له ذمة) كما قال المرحوم الاستاذ طه الراوي ؟ لعلك بعد ما سبق لك موقن معي ان السماعيين هم البصريون لا الكوفيون ؛ فمن احترام السماع صيانتهم وحفظه من كل موضوع ، ومن احترامه تحري حال المسموع منه ، فلا يُدس فيه كلام الذين فسدت لغتهم من أعراب الخطمية وأشياخ قطر بل ، ومن احترامه ألا نساوي فيه بين القليل النادر والأكثر الشائع فنغمط حق هذا الأخير . وإن حشرنا فيه الضعيف والشاذ واللحن والخطأ مما يقع فيه أعراب السواد ، والشعر المصنوع مما دسه حماد وخلف الكوفيان ؛ خفر لذمته ونقص لعهد^(١)

الحق أن البصريين عنوا بالسماع فحرروه وضبطوه (واحترموه) ، على حين زيفه الكوفيون وبلبلوه ، والأمر في القياس على هذه الوتيرة ، نظمه وحرر قواعده وأحسن تطبيقه البصريون . على حين هو في يد

(١) كان يونس بن حبيب يقول : « إن لم يكن بُزرج النحوي (الكوفي) أروى الناس فهو أكذب الناس . » كان كذاباً ، كثيراً ما يحدث بالشيء عن رجل ثم عن غيره . — انظر ترجمته في الفهرست وفي إنباء الرواة .

الكوفيين مشوش غير واضح المعالم رلا منسجم في أجزائه ، ولا مطرد . بل تجد فيه ظاهرة غريبة جداً ، وهي إطلاقهم - وهم المتقيدون بالسماع - الاشتقاق فيما لم يسمع عن العرب ، فقد ذهبوا إلى قياس (مفعول وفعل على نحو مثنى وثلاث) من خمسة إلى تسعة على حين لم يسمع عن العرب ذلك إلا من واحد إلى أربعة ، والبصريون أنفسهم - وهم القياسيون - منعوه (إلا المبرد منهم) لعدم السماع ، ولأن يكون ذلك من البصريين أخرى إذ هو بمذهبهم أشبه وعن مذهب الكوفيين أبعد . وهذا يؤكد لك ما ذهبت إليه من أنه مذهب غير منسجم .

أميل إذاً إلى أن المذهب الكوفي لا هو مذهب سماع صحيح ولا مذهب قياس منظم . لكن التاريخ يؤيد وجود المذهبين مذهب السماع ومذهب القياس وهما حقاً وجداً ، ولكن في البصرة لا في الكوفة أما القياس فليست بصريته موضع خلاف ، وأما السماع الصحيح فإني أوتر أن أنقل فيه كلام الأستاذ أحمد أمين نفسه في أن هذه المدرسة مدرسة بصرية ، قال :

« كانت هاتان الترعان في البصرة في أيامها الأولى ، فهم يقولون : إن ابن أبي إسحق الحضرمي وتلميذه عيسى بن عمر كانا أشد ميلاً للقياس وكانا لا يأبهان بالشواذ ولا يتحرجان من تخطئة العرب ؛ وكان أبو عمرو ابن العلاء وتلميذه يونس بن حبيب البصريان أيضاً على عكسهما : يعظمان قول العرب ويتحرجان من تخطئتهم ، فغلبت النزعة الأولى على من أتى

بعد من البصريين ، وغلبت النزعة الثانية على من أتى بعد من الكوفيين
ولا سيما الكسائي الكوفي . »

وهذا حق مع استدراك واحد ، هو أن أبا عمرو ويونس يعظمان
قول العرب بعد التحري والتثبت من أنه كلام العرب المحتج بهم ، أما
الكوفيون فلا يتحرون ، ولو قال الأستاذ (فغلبت النزعة الثانية مشوهة
الخ . .) لطبق المفضل ، وجعل ما حكم به بعد ذلك بين المذهبيين :

« ونرى في هاتين النزعتين أن البصريين كانوا أكثر حرية وأقوى
عقلاً ، وأن طريقتهم أكثر تنظيماً وأقوى سلطاناً على اللغة ، وأن
الكوفيين أقل حرية وأشد احتراماً لما ورد عن العرب ولو موضوعاً
(كذا) ، فالبصريون يريدون أن ينشئوا لغة يسودها النظام والمنطق ،
ويعتوا كل أسباب الفوضى من رواية ضعيفة أو موضوعة أو قول
لا يتمشى مع المنطق والكوفيون يريدون أن يضعوا قواعد للموجود حتى
الشاذ ، من غير أن يهملوا شيئاً حتى الموضوع » ^(١)

(١) ضحى الاسلام ٢ / ٢٩٦ .

هذا وللقاضي الجرجاني في كتابه (الوساطة) الذي ألفه للدفاع عن النبي الكوفي
والحكم بينه وبين خصومة ، حكم يسرني لإثباته له لما فيه من توضيح الأمر هنا على رغم
سوقه مساق الدفاع عن الكوفيين قال :

ولأهل الكوفة رخص لا تكاد توجد لغيرهم من النحويين غير أنهم
لا يبلغون بها مرتبة الإهمال « للقواعد العامة . انظر الوساطة ص ٤٦٦ .

وبهذا لا يكون من الدقة - في رأيي - إطلاق النزعة السماعية على المذهب الكوفي والنزعة القياسية على المذهب البصري . والدقة التي يؤيدها التاريخ والإيمان فيه وفي أقوال الكوفيين والبصريين ألا يكون مذهب بصري يقابله مذهب كوفي . بل نزعة سماعية يقابلها نزعة قياسية يختلف حظ كل منهما صحة وحالاً ومقداراً بين البلدين . بل بين نحاة كل بلد على حدة . على ذلك الأساس يصح أن نعيد النظر في النحو وتاريخه ورجاله بهذا التصنيف الجديد ، بعد أن علمنا أن النزعتين تتمثلان على حقهما بالبصرة لا بالكوفة .

...

وبعد فهذه أحكام تقريبية لامطرودة، إذ أن في المذهب الكوفي مسائل جيدات تختار على مثيلاتها في المذهب البصري ، كما عملهم مثلاً اسم المصدر عمل المصدر ، فحكمهم في ذلك صحيح واضح تؤيده روح القواعد والمنطق ، وشاهداهم عليه صحيحان قويان ^(١) وما اتجهوا إليه في إعراب

(١) قول القطامي يمدح زفر بن الحارث الكلابي :

أكفراً بعد رد الموت عني وبعد عطائك المئة الرناعا

والحديث الشريف : « من قبله الرجل امرأته الوضوء . »

ففزع البصريون في رد القاعدة الى أن الحديث مروي بالمعنى ، وإلى ان البيت فيه ضرورة .

لكن الزمن حكم للكوفيين فصحت قاعدتهم وسار عليها الناس وقبلها النحاة حتى =

(نعم وبئس) ^(١) أيسر وأقرب إلى الفطرة اللغوية من مذهب اخوانهم البصريين ، وكذهاب بعضهم في قضية (أشياء) وأنها جمع لشيء منعت من الصرف لشبه ألفها بألف التأنيث ^(٢) ، ولهم أشباه هذه المسائل . وبذلك تدرك صواب الظاهرة التي قدمت بها هذا الكلام من أن الحق يصيبه هؤلاء تارة وهؤلاء تارة .

ونختتم هذه الفقرة بمثل صغير من الخلاف بين المدرستين نتزعه من كتاب (الانصاف في مسائل الخلاف لابن الأثير) نموذجاً لقضايا جاوزت المئة في هذا الكتاب ، يبسط في كل منها رأي الكوفيين وحججهم ثم رأي البصريين وحججهم مع ردودهم على حجج الكوفيين غالباً .

٩٢ — مسألة سوف

ذهب الكوفيون الى ان السين التي تدخل على الفعل المستقبل نحو (سأفعل) أصلها (سوف) ، وذهب البصريون الى انها أصل بنفسها .
أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأن سوف كثر استعمالها في

= يومنا هذا . ونحو من هذا : القاعدة التي وضعها البصريون في وجوب إعادة الجار قبل المعطوف على الجوروز وقد عرفت أمرها ص ٣٥ .

(١) انظرها في كتاب (الانصاف في مسائل الخلاف) ص ٦٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٨٢ فقد ركب البصريون في هذه المسألة متن عمياء واضطروا الى الاستغاثة بأوهي العلل حتى بانحرف اللسان وكان من حججهم قول بعض العرب (ما أيطبه) بدل (ما أطيبه) !

كلامهم وجريها على ألسنتهم ، وهم ابدأ يحذفون لكثرة الاستعمال كقولهم : « لا أدر ولم أبَل ، ولم يك ، وخذ ، وكل » واشباه ذلك ، والاصل :

« لا ادري ، ولم أبال ، ولم يكن ، وأأخذ ، وأأكل » فحذفوا في هذه المواضع وما أشبهها لكثرة الاستعمال فكذلك ها هنا : لما كثر استعمال (سوف) في كلامهم حذفوا منها الواو والفاء تخفيفاً .

والذي يدل على ذلك انه قد صح عن العرب انهم قالوا في (سوف افعل) : (سو افعل) فحذفوا الفاء ، ومنهم من قال (سوف.افعل) فحذف الواو واذا جاز ان يحذف الواو تارة والفاء اخرى لكثرة الاستعمال جاز ان يجمع بينهما في الحذف مع تطرق الحذف اليها في اللغتين لكثرة الاستعمال . والذي يدل على ذلك ان السين تدل على ما تدل عليه سوف من الاستقبال ، فلما شابهتها في اللفظ والمعنى دل على انها مأخوذة منها . وفرع عليها .

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا ذلك لأن الاصل في كل حرف يدل على معنى ألا يدخله الحذف وان يكون اصلا في نفسه ، والسين حرف يدل على معنى ؛ فينبغي ان يكون اصلا في نفسه لا مأخوذاً من غيره .

وأما الجواب عنه كلمات الكوفيين : اما قولهم « ان (سوف) لما كثر استعمالها في كلامهم حذفوا الواو والفاء لكثرة الاستعمال » قلنا هذا فاسد ؛ فان الحذف لكثرة الاستعمال ليس بقياس ليجعل اصلاً لحل الخلاف ، على ان الحذف ولو وجد كثيراً في غير الحرف من الاسم والفعل فقلما يوجد في الحرف ، وان وجد الحذف في الحرف في بعض المواضع فهو على خلاف القياس فلا يجعل اصلاً يقاس عليه .

واما ما رووه عن العرب من قولهم في (سوف افعل) : (سو افعل) و(سوف افعل) فالجواب عنه من ثلاثة اوجه :

الوجه الأول : ان هذه رواية تفرد بها بعض الكوفيين ؛ فلا يكون فيها حجة والوجه الثاني ان صحت الرواية عن العرب فهو من الشاذ الذي لا يعاب به لقلته .

والثالث : ان حذف الفاء والواو على خلاف القياس ؛ فلا ينبغي ان يجمع بينهما في الحذف لان ذلك يؤدي الى مالا نظيره في كلامهم ؛ فانه ليس في كلامهم حرف حذف جميع حروفه طلباً للخفة على خلاف القياس حتى لم يبق منه الا حرف واحد ، والمصير الى مالا نظيره في كلامهم مردود .

وأما قولهم « إن السين تدل على الاستقبال كما أن (سوف) تدل على الاستقبال » قلنا : هذا باطل ؛ لانه لو كان الأمر كما زعمتم لكان ينبغي أن يستويا في الدلالة على الاستقبال على حد واحد ، ولا شك أن (سوف) أشد تراخياً في الاستقبال من السين ، فلما اختلفا في الدلالة دل على أن كل واحد منهما حرف مستقل بنفسه غير مأخوذ من صاحبه ، والله اعلم .^(١)

(٤)

أثر العصبية في الخلف

جرى بعض الباحثين قديماً وحديثاً على رد الخلاف النحوي بين هذين المصرين العربيين إلى السياسة ، وهو رأي سطحي لا يثبت عند التدقيق : فأهل النظر في كل فن تتباين أنظارهم كثيراً دون أن يكون للسياسة أو غيرها في ذلك أثر ، وإنما هو الاجتهاد المحض ، وهؤلاء أئمة البصريين يختلفون - فيما بينهم - اتجاهات واجتهادات في مسائل كثيرة من مسائلهم . نعم ربما كان للسياسة أثر ما في ميل الأمراء العباسيين إلى الكوفيين ، لكن هذا شيء وتوجيه الفن إلى اتجاه خاص شيء آخر .

(١) الانصاف في مسائل الخلاف لابن الانباري ص ٣٧٩ (مطبعة الاستقامة في القاهرة).

أما هذه الاحداث التي كانت تكون بين كوفي وبصري في قصور الحكماء فنوع من الدفاع عن القوت أولاً وميل إلى العصية البلدية^(١) آخرًا . ولا تظن أن ما مر بك من مشاحنات بينهم كان يصرف بعضهم عن الانتفاع بعلم بعض ، وحسبك أن تعلم أن الفراء مات « وتحت رأسه كتاب سيديويه » وأن الكسائي وهب للاخفش سبعين ديناراً لقراءته كتاب سيديويه عليه وأنه « سلخ كتابه في معاني القرآن من كتاب الاخفش »^(٢) ، وأن الجاحظ لما عدد مفاخر البصرة على الكوفة قال : « وهؤلاء يأتونكم بفلان وفلان وبسيديويه الذي اعتمدتم على كتبه وجحدتم فضله » ولما اشترى الجاحظ كتاب سيديويه من ميراث الفراء رآه آمن ما يهدي إلى محمد بن عبد الملك الزيات ، فلما دخل عليه وقد افتصد سأل « ما أهديت لي يا أبا عثمان ؟ » قال ؟ « أطرف شيء : كتاب سيديويه بخط الكسائي وعرض الفراء !! » . . إلى غير ذلك من الاخبار التي

(١) لما نعي الاحمر الى الفراء وكلاهما كوفي (وكانت بينهما وحشة) ، ذكره بخبرواتي عليه ، فقال اهل زمانه : « لم يذكره لمحبة له ، وإنما ذكره ليكاثر اهل البصرة بأهل الكوفة — إنباه الرواة ٣١٧/٢ .

(٢) بغية الوعاة ص ٢٥٨ واذكر إنباه الرواة ٣٧/٢ حيث قول الاخفش : سألت الكسائي ان أولف له كتاباً في معاني القرآن ، فألفت كتابي في المعاني فجعله اماماً ، وعمل عليه كتاباً في المعاني ، وعمل الفراء كتابه في المعاني عليهما . هذا وذكروا ان (معاني الكسائي لوقريء عشر مرات لاحتاج من يقرؤه أن يقرأه — إنباه الرواة ٢٦٥/٢ .

إن صدقتها فدلائها على العصية البلدية ظاهرة ، وإن ذهب إلى وضعها
أو التزيد فيها فالدلالة أظهر .

لم يختلف نحاة المصرين تبعاً لاختلاف سياسة بلديهما ، فليس للسياسة
تأثير مباشر في ذلك ، وإنما كان التكتل استجابة للعصية ليس غير :
أنشئت البصرة والكوفة على عهد عمر بن الخطاب ؛ وانقضت سنون
من عهد عثمان والمصران كالبلد الواحد ولبعض القبائل جماعات في كل
منها ، فلما كان الشغب أيام عثمان أسهم العراقيون فيه ؛ وآلت الأمور
إلى قتل الخليفة والفتن المتلاحقة بعد . وكان أن انضم البصريون في وقعة
الجل إلى عائشة وطلحة والزبير ، وانضم الكوفيون إلى علي ، وكانت
الملحمة بينهما واستحر القتل وكان لكل فريق مجزرة هائلة في
الفريق الآخر .

فمن ثم العداوة والتخاصم والتنافس بين البلدين . فلما انقضى عهد القلاقل
خلف في أذهان الفريقين قصصاً وأدباً وشعراً ووقائع تذكر بالفخر
تارة وبالوجعة تارة أخرى (١)

(١) انظر اخبارها في معجم البلدان لياقوت ، وفي كتاب البلدان للهمداني ففيها
طرائف ، وانظر على سبيل التمثيل أبيات اعشى همدان ينتصر للكوفة على البصرة :
اكسع البصري إن لاقته إنما يكسع من قل وذل
واجمل الكوفي في الحيل ولا تجمل البصري إلا في النفل
ولذا فاخرتمونا فاذكروا ماصنعنا بكم يوم الجمل =

فهذا ما ولدت العصبية والتنافس بين وفود الفريقين ورجالهم في
الاستثمار ومجالس الأمراء ،

ولئن كانت أحداث سياسية خاصة هي المفرقة قديماً ، إنها تطورت
مع الزمن وتحول اتجاهها ، حتى تبلورت في عصبية للبلد ^(١) وثبتت عليه
كما تجد أنماطاً من ذلك في مثل كتاب البلدان للهمداني ، بل إن بعضهم
كان يؤلف في مفاخر بلده كما فعل الهيثم بن عدي الكوفي (٢٠٩ —)
فألف كتابه (فخر أهل الكوفة على أهل البصرة) ^(٢) .

المدافعة عن اسباب العيش أولاً وقبل كل شيء ثم العصبية للبلد لا
للسياسة (عاملاً ثانوياً) هما اللذان لوّنا الخلاف التحوي ولم يوجداه ،

وفى ابيض وضاح رفل	بين شيخ خاضب عثونه	=
فدبحناه ضحى ذبح الجمل	جاءنا يخطر في سابعة	
وكفرتم نعمة الله الاجل	وعفونا فنسيتم عفونا	

كسعه : ضربه بصدر قدمه على مؤخره — الرفل : المتبختر ، الكثير اللحم —
السابعة : الدرع الطويلة . وانظر في ذلك كتابنا (عائشة والسياسة) .

(١) قال الجاحظ في كتاب (البلدان) وقد ذكر فضل البصرة ورجالها : وفيها
اليوم ثلاثة رجال لغويون ليس في الارض مثلهم ، ولا يدرك مثلهم — يعني في الاعتلال
والاحتجاج والتقريب — ابو عثمان المازني والثاني العباس بن الفرج الراشدي ، والثالث
ابو اسحق ابراهيم بن عبد الرحمن الزبادي . وهؤلاء لا يصاب مثلهم في شيء من
الامصار . « ! وكتب كتابه هذا في شهر ربيع الاول ٢٤٨ هـ — عن ابنه
الرواة ٢٤٨/١ .

(٢) إرشاد الأريب ٣١٠/١٩ .

لونه بشيء من العنف رأيت أعماطاً منه في المناظرات التي مرت بك ؛
وفي مثل قول الأبي يمدح نحوي البصرة ويهجو الكسائي وأصحابه :

يا طالب النحو الا فابلكه	بعد ابي عمرو وحما
وابن ابي إسحق في علمه	والزبن في المشهد والنادي
عيسى وأشباه لعيسى ، وهل	يأتي لهم دهر بأنداد
هيهات ، إلا قاتلاً عنهم	أرسوا له الأصل بأوتاد
فهو لمنهاجهم سالك	لفضلهم ليس بججاد
ويونس النحوي لا تنسه	ولا (خليلاً) حية الوادي
وقل لمن يطلب علماً : الا	ناد بأعلى شرف ناد :
« يا ضيعة النحوي به مغرب	عنقاء أودت ذات إصعاد
افسده قوم وأزروا به	من بين أغنام واوغاد
ذوي مرء وذوي لكنة	لثام آباء واجداد
لهم قياس احذوهم هم	قياس سوء غير منقاد
فهم من النحو - ولو عمروا	اعمار عاد - في (ابي جاد)
اما الكسائي فذلك امرؤ	في النحو حار غير مرتاد
وهو لمن يأتيه جهلا به	مثل سراب اليد للصادي ^(١)
وهجا المبرد البصري ثعلباً الكوفي بقوله :	

أقسم « باللبسم العذب	ومشتكى الصب الى الصب
لو أخذ النحو عن الرب	ما زاده إلا عمى القلب

فتمثل ثعلب :

(١) اخبار النحويين البصريين ص ٤ — رجل أغتم من قوم اغنام : لا يفضح .
الحار : الحائر . (الأبي جاد : أبجد ، هوزالخ) يريد أنهم لا يتجاوزون أول العلم لضعف
استعدادهم كما أن الصبي في الكتاب أول ما يتعلمه حروف (أبجد هوز) . (٢)

يشتغني تبد بني مسمع فصنت عنه النفس والعرضا
ولم أجبه لا حتقاري له من ذا بعض الكلب إن عضا^(١)

وأراد ثعلب هذا أن يقرأ على المبرد البصري ، فأنكر عليه أصحابه الكوفيون وقالوا : « مثلك لا يصلح أن يمضي إلى بصري فيقال غداً : إنه تليذه^(٢) » ، فاستجاب لهم عصبية وحرّم نفسه الخير .

لكن ختته (زوج ابنته) أحمد بن جعفر الدينوري لم يبـال ذلك ، فكان يخرج من منزل ثعلب وهو جالس على باب داره ، فيتخطاه ويتخطى أصحابه ، ويتوجه إلى المبرد ومعه محبرته ودفتره ليقرا عليه كتاب (سيويه) ، وكان ثعلب يعاتبه على ذلك ويقول : « إذا رأك الناس تمضي إلى هذا الرجل وتقرأ عليه ، يقولون ماذا ؟ » فلم يكن يلتفت إلى قوله^(٣) .

وما بلغت المصيبة والنضال عن أسباب الرزق بين الفريقين مدى سافراً هذا السفور الذي تراه في الخبر الآتي :

« لما أصاب الكسائي الوضح (البرص) كره الرشيد ملازمته وأولاده فأمره أن يختار لهم من ينوب عنه ممن يرضاه ، وقال : « إنك كبرت ، ولسنا نقطع راتبك » فدافعهم خوفاً أن يأتيهم برجل يغلب على موضعه ،

(١) ترجمة ثعلب في بنية الوعاة ص ١٧٣ .

(٢) إرشاد الأريب ١١٥/٥ . ثم ذكر ياقوت أن ابن الأنباري أورد هذه القصة

ليرفع من ثعلب والكوفيين عصبية ، فوضع منهم .

(٣) انظر ترجمته في إنباء الرواة للقفطي (٣٣/١) وبنية الوعاة للسيوطي .

إلى أن ضيق الأمر عليه وشدّد ، وقيل له : « إن لم تأت رجل من أصحابك اخترنا لهم من يصلح » ، وكان بلغه أن سيويو يريد الشخص إلى بغداد والأخفش ، فقلق لذلك ، وعزم على أن يدخل عليهم من لا يخشى غائلته ، فقال لعلي الأحمر : « هل فيك خير ؟ » قال : « نعم » قال قد « عزمت على أن أستخلفك على أولاد الرشيد » فقال الأحمر : « لعلي لا أفي بما يحتاجون إليه ! » فقال الكسائي : « إنما يحتاجون كل يوم إلى مسألتين في النحو ، وثلثتين من معاني الشعر وأحرف من اللغة ، وأنا ألقنك (ذلك) كل يوم قبل أن تأتيتهم فتحفظه وتعلمهم . » وكذلك كان ^(١) .

هذا ومن الخير ألا نغفل هنا خبراً يرد الأمر إلى نصابها فيما عرف عن بعض الكوفيين من أعمال علمية ، فقد قال سعيد بن مسعدة الأخفش « سألت الكسائي أن أوّلف له كتاباً في (معاني القرآن) فألفت كتابي في المعاني ، فجعله إماماً لنفسه ، وعمل عليه كتاباً في المعاني ، وعمل القراء كتابه في المعاني عليهما ! » ^(٢) وقد مر بك الخبر آنفاً .

* * *

(١) بغية الوعاة ص ٣٣٤ عن إرشاد الأريب . وقد اعترض أصحاب الرشيد وقالوا « إنما اخترت رجلاً من أهل التوبة (الجند) وليس متقدماً في العلم » ، فدافعهم وشهد له . ولم يزل الأحمر يتعلم من الكسائي ويعلم أبناء الرشيد حتى صار مع طول الأيام نجوياً وقد أتحنفنا هذا الخبر بنموذج من برامج التعليم الخاص يومئذ .

(٢) طبقات النحويين واللغويين ص ٧١ .

أثرت العصية ما رأيت فيما كان بينهم ، أما النحو نفسه فلم يتأثر بشيء من ذلك ، وإنما حمل طابع العلماء أنفسهم في التفكير والتنسيق سعة وضيقاً ونظاماً ولبلة .

ولما تقدم الزمن ، واستوى عند الحكم نحويو البصرة ونحويو الكوفة ، غاب السبب الأول ، وبقيت العصية للبلد تحالط بعض النفوس حتى صرت ترى العالم الذي ينبغي أن يتنزه عن العصية في العلم - ولو بعد ذهاب أسبابها المادية على الأقل - تداعبه هذه النزعة ، فيجمع بين شيئين متنافرين لا لسبب إلا أنهما نبتا في بلد يعزه . وأنا أقدم لك نموذجاً لهذه الظاهرة : الحليل بن أحمد السجزي القاضي المتوفى سنة (٣٧٨ هـ) ، فقد كان حنفياً في الفقه وكوفياً في النحو ، وفاخر بذلك يقول :

سأجعل لي النعمان في الفقه قدوةً وسفيان في نقل الأحاديث سيّداً
وأجعل في النحو الكسائي قدوةً ومن بعده الفراء ما عشت سرمداً
وإن عدت للحجج المبارك مرة جعلت لنفسي كوفة الخير مشهداً (١)

ومن كان حنفياً فأشبهه مذاهب النحو بالمذهب الحنفي مذهب البصرة لا بحكام القياس فيه ، ولكنه الميل النفسي الشديد إلى الكوفة ، والولوع بكل ما أنتجت حدود القاضي على أن يكون كوفياً في النحو والفقه والحديث مهما تنافرت أصول هذه الفنون في الكوفة .

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر (مطبعة روضة الشام) ١٧٣/٥ .

وقد كان لهذه العصيدة شيء من (رد الفعل) عند العلماء جعلهم يشكون في كل ما ينقل من علم **كوفي** : هذا أبو حاتم السجستاني يسمع تعالى الكوفيين في حمزة الزيات - أحد قراء الكوفة - فيسأل عنه أبا زيد والأصمعي ويعقوب الحضرمي وغيرهم من العلماء ، فيجُمعون على أنه لم يكن شيئاً « ولم يكن يعرف كلام العرب ولا النحو ولا كان يدعي ذلك قال أبو حاتم : « وإنما أهل الكوفة يكابرون فيه ويباهتون ، فقد صيره الجهال من الناس شيئاً عظيماً بالكبرة والبهت ، وقول ذوي الاحى العظام منهم : « كانت الجن تقرأ على حمزة » وكيف يكون رئيساً وهو لا يعرف الساكن من المتحرك ، ولا مواضع الوقف والاستئناف ، ولا مواضع القِطْع والوصل والهمز ؟ وإنما يحسن هذا أهل البصرة ، لأنهم علماء بالعربية ، قراء رؤساء . » (١)

وكان يكفي أن يشوب علم العالم أو تأليف الكتاب أخذ عن الكوفيين حتى ينز بذلك عند النقاد (٢) .

والظاهر أنه كان بين أهل البلدين فيما بعد ، تنكيت وإرسال قصص وأخبار يحمل فيها أهل البلد على أهل البلد الآخر ، وراجت هذه النكات - على نحو ما نرى اليوم بين بلدين متجاورتين كحمص وحماة في الشام -

(١) مراتب النحويين ص ٢٧

(٢) انظر كلامهم على أبي عبيد القاسم بن سلام وعلى كته المشهور (الغرب

المصنف) - مراتب النحريين ص ٩٣ .

وزاد هذا الأمر حتى استحق أن تؤلف فيه المؤلفات ، فهذا ابن حبان البستي (٣٥٤ -) على جلالة قدره يؤلف كتاباً في عشرة أجزاء في (ما أغرب الكوفيون عن البصريين) ، وكتاباً في ثمانية أجزاء في (ما أغرب البصريون عن الكوفيين)^(١)

تستطيع بعد هذا اليان أن تطمئن إلى شيئين :

- ١ - ليست السياسة عاملاً في تكوين النحو الكوفي على ما كان عليه .
- ٢ - إن الصورة التي في نفوس الناس قديماً وحديثاً عن حدة التجاذب والتدافع بين النحو الكوفي والنحو البصري مبالغ فيها .

٥ - كتب الخريف

عرفت أن النحاة - والبصريين منهم خاصة - قد انتزعوا علل النحو من كتب محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة بالملاطفة والرفق (ص ٩١) . فاعلم الآن أن منهم من أَلَفَ في الخلاف بين النحاة ، على نمط ما صنع الفقهاء في كتبهم التي ألفوها في الخلاف بين الحنفية والشافعية ، وهذا ابن الأنباري يقول في مقدمة كتاب (الإيضاح في مسائل الخلاف) بصراحة :

(١) معجم البلدان : (مادة بست) . ولم اطمئن الى كون هذين الكتابين في الخلاف النحوي ، اذ لم ينقل عن ابن حبان تأليف في النحو ولا تصدر لتدريسه ، أما الاخبار فله بها ولوع وله فيها تأليف .

« ... سألوني أن ألخص لهم كتاباً لطيفاً يشتمل على مشاهير المسائل الخلافية بين نحوي البصرة والكوفة ، على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة ، ليكون أول كتاب صنف في علم العربية على هذا الترتيب ، وألف على هذا الأسلوب ، لأنه ترتيب لم يصنف عليه أحد من السلف ، ولا ألف عليه أحد من الخلف ... واعتمدت في النصرة على ما أذهب إليه من مذهب أهل الكوفة أو البصرة ، على سبيل الإيصال لا التعصب والإسراف ... »

وهكذا تجد تأثير العلوم الدينية واضحاً بارزاً في علوم اللغة كلها مادتها ومنهجها . وإذا رجعت إلى كتاب الاقتراح للسيوطي وجدتهم يصرحون تصريحاً سافراً أيضاً بأنهم وضعوا للخلاف في النحو ول مناقشات مسائله أصولاً كأصول الخلاف بين الشافعية والحنفية ^(١) .

أقدم من ألف في الخلاف ، فيما علمت ، أحمد بن يحيى ثعلب الكوفي (سنة ٢٩١) ، ولم نعرف من أداره على أصول الخلاف الفقهي أم لا ، وأي كان فإليك ما عثرت عليه من أسماء الكتب التي ألفت في الخلاف ، مرتبة على وفيات أصحابها :

١ - اختلاف النحويين - لثعلب (- ٢٩١) .

٢ - المسائل على مذهب النحويين مما اختلف فيه البصريون

(١) انظر ص ٧٩ فما بعد .

- والكوفيون^(١) - لابن كيسان (- ٣٢٠) وقد ردّ فيه على ثعلب .
- ٣ - المقنع في اختلاف البصريين والكوفيين - لأبي جعفر النحاس (- ٣٣٨)^(٢) . وقد ردّ فيه على ثعلب .
- ٤ - الرد على ثعلب في (اختلاف النحويين) - لابن درستويه (- ٣٤٧) .
- ٥ - كتاب الاختلاف لعبد الله الأزدی (- ٣٤٨) .
- ٦ ، ٧ - الخلاف بين النحويين للرماني (- ٣٨٤) . وله كتاب آخر أخص هو (الخلاف بين سيدييه والمبرد) .
- ٨ - كفاية المتعلمين في اختلاف النحويين لابن فارس (- ٣٩٥)^(٣) .
- ٩ ، ١٠ - الإيضاح في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين - لأبي البركات الأنباري (- ٥٧٧) وقد طبع . وله كتاب آخر في الخلاف اسمه : (الواسط) ، ذكره ابن الشجري في أماليه ونقل منه . (انظر ١٢٠ / ٢ ، ١٤٨ ، ١٥٤) من الأمالي لابن الشجري .
- وقد استدرك ابن إياز على ابن الأنباري مسائل خلافية كثيرة فاتته

(١) في بغية الوعاة : (ما اختلف فيه البصريون والكوفيون) فأثبتنا الاسم كاملاً من الفرست لابن النديم .

(٢) بغية الوعاة وإرشاد الأريب ٢٢٨ / ٤ . وفي بغية الوعاة : (المتبع في اختلاف البصريين والكوفيين) .

(٣) إرشاد الأريب ٨٤ / ٤ وذكر في بغية الوعاة باسم (اختلاف النحاة) .

في كتابه (الإسعاف) الآتي ذكره قريباً .

١١ - التبيين في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين (١)
لأبي البقاء المكي (٦١٦) .

١٢ - الإسعاف في مسائل الخلاف - لابن إياز (٦٨١) (٢)
والظاهر أن هناك كتباً كثيرة في الخلاف ، وأنه كانت له ضجة في
المجالس والبيئات العلمية . وكان التعصب على أحد الفريقين بادياً في بعض
هذه الكتب ، ولذا استدرك صاحب (الإصناف) لذي قدمت لك فقرة
من مقدمته محترساً بقوله (على سبيل الإيصال لا التعصب والإسراف) .

٦ - مذهب البصري والمذهب الكوفي

كانت بغداد حاضرة الخلافة العباسية هي السوق التي كان يروج فيها

(١) في بغية الوعاة (التعليق في الخلاف) . وقد رأيت هذا الكتاب مخطوطاً
في دار الكتب المصرية وهو رسالة صغيرة في ١٨ ورقة ضمن مجموع رقة (نحوش ٢٨)
أوله : هذا كتاب مسائل خلافية في النحو تكلم فيها باختصار على ١٤ مسألة .
(٢) ومن تكلم على الخلاف ولم يخصص له كتاباً مستقلاً أحمد بن جعفر
الدينوري (٢٨٩ هـ) ختم ثعلب مر ذكره ص ٢١٠ فذكروا أنه ألف كتاباً في
النحو سماه « المذهب » وذكر في صدره اختلاف الكوفيين والبصريين ، وعزا كل
مسألة إلى صاحبها ، ولم يقتل لواحد منهم ولا احتج لمقاتله ، فلما أمعن في الكتاب
ترك الاختلاف ونقل مذهب البصريين - إن شاء الزواة ١ / ٣٤ بذلك يكون أول الخاضعين
في هذا الموضوع وفاة ممن ذكرناهم .

العلم والآداب ، فكان يرتحل إليها العلماء من الأقطار كافة ، كل يحمل إليها طابع بلده الخاص ، أو بتمثيل آخر مدرسة بلده في الفن المختص به ، فالتقت لسكل علم وفن ألوان وطوايع مختلفات ، احتكت وتمازجت وكان منها ألوان جديدة مطبوعة بالسمة البغدادية العامة . وذلك ما كان في النحو ، فقد نشر الكوفيون فيها نحوهم وقصدها نحاة بصريون أيضاً ، ونشأت طبقة جديدة في بغداد اختارت من المذهبيين وكونت ما عرف بالمذهب البغدادى الذي أَرخه ووصفه أبو الطيب اللغوي بهذه الكلمات الموجزات : « فلم يزل أهل المصرين على هذا حتى انتقل العلم إلى بغداد قريباً ، وغلب أهل الكوفة على بغداد ، وحدثوا الملوك ، فقدموهم ، ورغب الناس في الروايات الشاذة ، وتفأخروا بالنوادِر ، وتباهوا بالترخيصات ، وتركوا الأصول ، واعتمدوا على الفروع ، فاختلط العلم . » (١)

وما أصدق ما قال هذا اللغوي الحلبي في تصوير الحال . ولما عرض أبو الطيب لأشهر أعلام المذهب البغدادى . وهو ابن قتيبة ، نقده بما لا يخرج عما تقدم فذكر الذين أخذ عنهم ، ثم قال : « إلا أنه خلط بحكايات عن الكوفيين لم يكن أخذها عن ثقات ، وكان يتسرع في أشياء لا يقوم بها نحو تعرضه لتأليف كتابه في النحو ، وكتابه في تعبير الرؤيا . وكتابه في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله و (عيون

(١) مراتب النحويين ص ٩٠ وانظر فيه أيضاً ص ١٠١ حيث يقول :

« بغداد مدينة ملك وليست بمدينة علم ، وما فيها من العلم فتقول اليها .. الخ » .

الأخبار) و (المعارف) و (الشعر والشعراء) ونحو ذلك مما أزرى به عند العلماء، وإن كان نفق بها عند العامة ومن لا بصيرة له. « (١)

وقد عقد ابن النديم لهذه الطبقة باباً عنوانه (من خلط بين المذهبيين) عد منهم ابن قتيبة (- ٢٧٠) وأبا حنيفة الدينوري (- ٢٩٠) وابن كيسان (- ٣٢٠) ومحمد بن أحمد بن منصور الوراق (- ٣٢٠) ونفطويه (- ٢٢٣) (٢). وتستطيع أن تزيد على هؤلاء: سليمان الحامض (- ٣٠٥) وأبا علي الأصفهاني الملقب بلغدة، وابن السراج (- ٣١٦)، وأبا بكر بن الحياط (- ٣٢٠) وأبا عبد الله الكرمانى (- ٣٢٩) وكلاب ابن حمزة العقيلي وغيرهم. وللکشي كتاب (تخطيط المذهبيين). والطابع البصري أغلب على المذهب البغدادي في الجملة كما هو الشأن في بقية الأمصار، ولا عجب في ذلك فإن الأصاله التي فيه فرضت نفسها كما

(١) المصدر السابق ص ٨٥ .

(٢) الفهرست ص ١١٥ وقال ابن النديم « كان ابن قتيبة يغلو في البصريين الا أنه خلط بين المذهبيين ، وحكى في كتبه عن الكوفيين وكان صادقاً فيما يرويه ، عالماً باللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه ، والشعر والفقه ، كثير التصنيف والتأليف ، وكتبه في الجبل مرغوب فيها » هـ

وما أصدق ما قال مقدم كتابه (المعاني الكبير) : ابن قتيبة اول من جمع بين مذهبي الكوفيين والبصريين ، ولا يقوم لذلك الا من أتقن المذهبين وعرف الاصول التي تبنى عليها العلل والمقاييس عند الفريقين . « - (هـ) مقدمة الكتاب (طبعة حيدر آباد . وانظر في فهرست ابن النديم ترجمة نفطويه أيضاً .

يقولون ، وكان ما أخذ من المذهب الكوفي مسائل اتجهوا فيها اتجاهاً
أصح وأيسر .

وكان للنحو في الأندلس نشاط ملحوظ مر بشبه الخطوات التي
سارها في المشرق ، بدأ علماء العربية يدرسون النصوص الأدبية شعراً
ونثراً دراسة فيها لغة وأدب ونحو وحديث وقرآن ، ثم بدأت الفنون
تتميز مع الزمن ، وكان أول كتاب دخل الأندلس من كتب النحو
كتاب الكسائي^(١) ، ثم كتاب سيدييه ثم بدأ الأندلسيون محاولاتهم في
التأليف وعرف من أعلامهم أبو علي القالي مؤلف (الإمالي) و (البارع)
و (فعلت وأفعلت) و (المقصود والممدود) ، ثم ابن القوطية صاحب
كتاب (الأفعال) ، « وكانت أذيع كتب النحو على أيام ابن حزم في
المئة الخامسة تفسير الحوفي لكتاب الكسائي » وتتابع علماء الأندلس
على شرح كتب المشرق المشهورة وشرح شواهدها ، واشتهر من نحاتهم
في المئة السابعة ابن خروف (- ٦٠٢) وابن عصفور الإشبيلي (- ٦٦٢)
والشلويني ، بعد البطالوسي (- ٥٢١) وابن الطراوة والمهيلي (- ٥٨٣)
من أعلام المئة السادسة .

وكان خاتمة علماء الأندلس اثنان رزقا الشهرة ورحلا إلى المشرق
فبثا علمهما فيه وكثرت تواليهما وكتب لهما الذبيوع حتى عصرنا هذا ،

(١) انظر تاريخ الفكر الاندلسي ص ١٨٥ وما بعدها .

عنيت الإمام ابن مالك الجبائي صاحب الألفية والإمام أباحيان الغرناطي صاحب التفسير الكبير البحر و (الارتشاف) في النحو .

عكف علماء الأندلس إذن وطلابه على كتب البصريين والكوفيين فدرسوها واختاروا منها ، وتكوّن لهم مذهب خاص ^(١) كانوا فيه إلى مذهب البصريين أميل ، وكذلك كان أكثر العلماء الوافدين عليهم من المشرق ^(٢) أو النازحين إليه منهم لطلب العلم . وهكذا كان رأس العلوم عندهم النحو والشعر . ويتحدث عن نزعتهم هذه ابن سعيد فيقول « النحو عندهم في نهاية من علو الطبقة » ^(٣) .

فلما نزع متأخروهم بعد النكبة ، بعضهم إلى المغرب وبعضهم إلى الشام ومصر ، نشروا علمهم في هذه الأقطار ، وكان مذهبهم كذلك بصرياً في أكثره .. إلى أن جاء ابن مالك ثم ابن هشام الأنصاري فجددا في النحو بعض التجديد ، وكانا يميلان إلى التوسعة ، فرجحا في بعض المسائل أقوال الكوفيين حين رأيا الرواية الصحيحة تؤيدهم ، ولم يتعبدا

(١) انظر تراجم اعلامهم ، مثلاً ابن الوزان القيرواني (٣٤٦ -) ذكروا أنه اعلم من المبرد وثعلب وأنه بصري المذهب مع علمه بمذهب الكوفة ، وأن له أوضاعاً في النحو واللغة . - انظر ترجمته في (إنباء الرواة للقفطي) ١٧٢/١ - ١٧٥
(٢) في ترجمة ابي علي القالي الوافد على الأندلس والذي أملى في جامع الزهراء بقرطبة كتابه العظيم « الامالي » : أنه أظهر فضل البصريين على الكوفيين ونصر مذهب سيئويه على من خالفه من البصريين . انظر إنباء الرواة ٢٠٥/١ .

(٣) تاريخ آداب العرب للرافعي ٣٣٠/٣

بأقوال البصريين^(١) ، واستشهدا بالحديث ، فكانا مجتهدين إلى حدٍّ ما ،
ذوي أثر بالغ في الدراسات النحوية ، ومازالت كتبهما تدرس حتى الآن
في معاهد العلم ، وخدمت بشروح وحواش وتقريرات كثيرة .

وكانت تضم البلدة الواحدة نخاةً من منازع مختلفة ، يطغى عليها
أحياناً مذهب أهل البصرة . وأحياناً مذهب الكوفة ، تبعاً لنزعة العالم
ذي الأثر فيها ، فهذه حلب ضمت عالين في زمن واحد : ابن حني رأس
مدرسة القياس الذي كان لمدرسة البصرة إمامها الأعظم ، وابن خالويه
الكوفي المنزع صاحب كتاب (ليس في كلام العرب) ، الذي اتبع فيه
السمع نافياً من اللغة ما جوزه (فلسفة) نخاة البصرة ، وبعدهما كان في
الشام المعري الذي كان واسع الرواية سماعياً إلى أبعد حدود السماع ،
يضيق بنحو البصرة الذي كان في أيامه ممتكلاً بالجدل والقياس والتعليل^(٢)
وهذه النزعة ظاهرة في كتبه كل الظهور ، وحسبك أن تلم برسالة الغفران
لترى نقمته على البصريين خاصة^(٣) .

هذه سطور موجزة أملت فيها بحركة الخلاف بعد البصريين والكوفيين ،
لا مجال فيها للتفصيل ما ، لأن ذلك من تاريخ النحو لا من أصوله .

(١) كلمة أبي حيان - الاقتراح ص ١٠٠ .

(٢) انظر في ذلك بحثاً قيماً للاستاذ ابراهيم مصطفى نشره في « المهرجان الالفي

لابي الملاء المعري من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق » ص ٣٦٢-٣٧٤ .

(٣) الظاهر أن مذهب الكوفة انتعش في الشام حيناً من الدهر ، وعلة ذلك

عندي اعتماده على كثرة الرواية والسمع . والشاميون « آريون » الى حد بعيد محترمون =

الخاتمة

في صدور المشتغلين بالعربية وعلومها اليوم يقين بأن في قواعدها شيئاً من البلبلة والتداخل والتطويل ، وفي آرائهم لإجماع على وجوب الإصلاح والتنسيق ، وفي قلوبهم إيمان بإمكانه بل ييسره وسهولته .

ويحق لقارئ هذا الكتاب بعد أن ألم بطرف من صنيع الاقدمين أن يتساءل : ما صنعنا نحن لا نفلسنا وللقننا بعد أن مهدوا لنا الطريق ؟ ، هل تقدمنا بها الى الامام ولدينا من مواتاة الاحوال ما لم يكن لديهم ؟ »

= السماع عن العرب كثيراً ، فيهم أخصب علم القراءات وهو سماع محض ، ولا تنس أن أكثر أئمة البصرة والكوفة هم قراء أيضاً . وعندهم أخصب فن الحديث وهو أيضاً سماع محض وبقي حياً نشيطاً الى زمن قريب ، عنوا عناية بالغة به وبسماعاته وطبقات رجاله وإحصاء طرقه ، ونبع فيهم كبار الأئمة فيه ، ولا تزال دار كتبهم الظاهرية بدمشق أغنى مكتبات الدنيا اليوم في فن الحديث ، وكثير من مخطوطاتها بمخطوط مؤلفيها المحدثين أنفسهم لا يدانيها في ذلك مكتبة في العالم . وفيها عدة دور « مدارس » للحديث ولقراءات القرآن . نزعوا عرفوا بها ، واستأنس اذا شئت بهذه الجملة قراءتها أخيراً في كتاب (تاريخ العرب قبل الاسلام) للباحث الفاضل جواد علي :

« يغلب على التلمود الفلسطيني طابع التمسك بالرواية والحديث ، وأما التلمود البابلي فيظهر عليه الطابع العراقي الحر وفيه عمق التفكير وتوسع في المحاكمة وغنى في المادة وهذه الصفات غير موجودة في التلمود الفلسطيني » ٢٤/١ . ومهما تظن من أثر حب البلد في هذا الكلام فما ذلك بمناعتك الاستثناس به الى حد ما ، ولولا عزوفي عن التعميم ولإطلاق الاحكام لشددت به ما أذهب اليه من أثرية الشاميين بعد التثبت من صحة الحكم .

مكتبات عامة وخاصة تزرخ بالكتب مخطوطة ومطبوعة ، ووسائل للنشر والتعميم واسعة مختلفة ، ولجان في كل بلد ، فنية رسمية ذات فروع في كل ميدان من ميادين الاختصاص ، ومجامع تسمى علمية ، وجامعات ، ونواد وجمعيات ، وحكومات تمد جميع هذا بالمال والسلطان ... ثم لاشيء ذا بال وراء ذلك كله . حتى الرسم الاملائي وهو اصطلاح محض ما استطننا الاتفاق فيه على وجه من الوجوه المتعددة الجائزة ، نتخذ قاعده في مدارسنا الابتدائية على الأقل (١) .

«١» كنا عشرين عضواً في لجنة امتحان الشهادة الابتدائية سنة ١٩٣٠ ، وكان النظام يقضي بحسم علامتين من عشر على كل حرف يرسم خطأ وإذا أخطأ طالب في خمس كلمات نال صفراً وحرم الشهادة عامه ذلك ؛ ومع ان هذا النظام أضر أطيب الثمرات في حمل الطلاب ومعلميهم على العناية بقواعد الاملاء . كان عيبه الفادح أن القواعد نفسها عند المعلمين غير حاسمة على وجه واحد ، وأن روح التنظيم كانت تلقى من كثير منهم عداء . رأ : فإذا رسم طالب (مصطفى) هكذا بالالف واراد مصحح حسم العلامتين انبرى له زملاء يحتجون لها بمذهب الفارسي ، وإذا رسم همزة (يقرأون هكذا على ألف اعتذروا له بأن المطابع المصرية ترسمها كذلك ، وإذا أسقط همزة (ابن) في غير موضع الاسقاط نبشوا قولاً يسوغ فعلته . ، النخ فكان المرء الفطن الطاريء عليهم يحار بينهم في أمر الرسم : ما الصواب فيه وما الخطأ ؟ ولا يجد القوم على بصيرة من أمرهم فيه . وقل نحواً من هذا في أخطاء النحو والصرف .

= ولم يؤت هؤلاء الشيوخ - رحمهم الله فقد مات اكثرهم - من كسل أو جهل ، وإنما من انطباع على البلبله وواوع بها الى حد الجنون ؛ فقد رويوا على حفظ الأقوال المختلفة في كل مسألة وعزوها الى أصحابها دون الفكر فيها ومحاكمها بغية الوصول الى الحكم الفصل الذي تطمئن اليه النفس .

وذكر سنة ١٩٤٠ ألفت لجنة عليا لحسم النزاع الذي كان يحدث كل عام عند تصحيح أوراق الامتحان ، وللاعتناء على وجه واحد في كل مسألة ؛ فما أشرف وضع =

وصرنا - ونحن أحوج ما نكون الى الوقت في عصر الذرة والتأمين والعالمية في كل شيء - نبدد أوقات الصغار والكبار في مناقشات طويلة لمسائل خلافية تنتهي منها إلى أن لكل وجهاً سائغاً !! . وبذلك لم يحظ الرجل العادي ببعض ما يجب أن يعود عليه من خير لقاء الاموال الطائلة التي تتفق على تلك المؤسسات .



وبعد ، فإذا أردنا اليوم إعادة النظر في بناء القواعد العربية ، وجب أن تتجافى المآخذ التي أخذناها في مباحثنا السابقة على الاقدمين ، علينا أولاً أن نحدد هدفنا من القواعد ، فإذا حددناه وضعنا أخصر المناهج وأوضحها وأسرعها في ابلاغنا إياه .
لا جرم أن الاحاطة بكلام قبائل العرب القديمة أمر لا سبيل اليه اليوم ، وأن تنسيق ما وصل إلينا منه على القبائل بدقة أمر متعذر الآن ^(١) ، ولا شك في أننا اليوم نصطنع لغة فصحي

= الحطة على الانتهاء بعد نقاش طويل حتى قضى على المشروع كله قول قائل : « وما سلطتنا نحن على بقية الاقطار العربية ؟ وأي جدوى في انفرادنا بهذا الاصطلاح وحدنا ومطبوعات جيراننا تغزو طلابنا بما يخالفه ؟ »

وهكذا ترى حتى البلد الواحد لا يستطيع حزم أمره اذا أراد ، لان اللغة العربية ملك شائع بين البلاد كلها ، بل بين الازمان أيضاً اذا جاز هذا التعبير .

(١) ولو أن الاقدمين فعلوا في اللغة ما فعله ابو عمرو الشيباني في الشعر لخدموا خدمة جلي وأراحوا من بلبلة شيرة ؛ فقد جمع أشعار العرب مصنفة على قبائهم وكانت نيفاً وثمانين قبيلة ، فكان كلما عمل منها قبيلة وأخرجها الى الناس كتب مصحفاً وجعله في مسجد الكوفة حتى كتب نيفاً وثمانين مصحفاً بخطه - الفهرسب ص ١٠١ .

ويظنون أن حماداً الراوية كان عنده شعر كل قبيلة ، يروي ابو الفرج الاصفهاني أن حماداً قال :

=

يفهمها الرجل العادي فيما بين المغرب الاقصى وخليج فارس ، بل يفهمها كل من تعلم العربية من الاعاجم ، وأن لنا تراثاً علمياً وادبياً ضخماً تحفل به المكتبات الخاصة والعامّة في ديار الغرب والشرق ، هذه واحدة ؛ أما الثانية فإن لغة القرآن والحديث النبوي بوجه خاص ولغة قريش بوجه عام هي الغالبة الشائعة ، نقرأها في الكتب قديماً وحديثاً ، وفي صحف اليوم ومجلاته وجميع اذاعاته العربية الصادرة في بلاد العرب او في البلاد الاجنبية ، يستوي في ذلك أبناء العربية والذين شدوا منها شيئاً من الاجانب عنها . وأظن بعد ذلك ان الطريق واضح . فعلينا اهدار كل لغة لانستعملها نحن اليوم ولم تستعملها اللغة الشائعة في القرآن الكريم والحديث وكتب الادب والتاريخ وسائر الفنون الحضارية التي خلفها أسلافنا ، ثم نؤسس قواعدنا على هذا التراث الموثوق به والذي كفلت له اصالته الحياء ، نستقصي مفردات القرآن وتراكيبه في جميع قراءاته ، ونعمن النظر فيما اطمأنا الى صحة صدوره عن أهل الصدر الاول من الحديث ، ثم فيما نطمئن اليه من نثر الأقدمين ثم نبني بعد هذا الاستقصاء قواعدنا على ذلك كله متوخين أقصر الطرق وأسهلها ، والأشيع ثم الأقيس فيما فيه لغتان فصيحتان ، وأنا واثق بعد ذلك أننا نهدر ركاماً ضخماً من قواعد وتفرعات واستثناءات بنيت على شاهد مجهول او لغية محرفة ، او ضرورة شعرية ، ونهدر إزاءه مقداراً ضئيلاً لا يعتمد به من خلاف اللهجات . وتكون القواعد هذه اقرب الى روح العربية من القواعد القديمة التي أفقدها انسجامها حشر النجاة فيها ما هب ودب مما لا يرجع الى نظام ولا ولا يجمعه نسق . وأكبر دليل على قولي انك تجد كثيراً من الأحكام التي ضخمت النحو لم يستعمله احد منذ دونت تلك الاحكام حتى الآن ، ولم يستعمله أحد قبل ذلك

== أرسل الوليد بن يزيد الي يمتي دينار وأمر يوسف بن عمر بحملي اليه على البريد ، فقلت : لا يسألني الا عن طرفيه قريش وثقيف ، فظطرت في كتابي قريش وثقيف ، فلما قدمت عليه سألتني عن اشعار بُلي فأنشدته منها ما أحسنه الخ... ، الاغاني ١٦٥/٥

الا نادراً في الشواهد التي أتبناها إن صحت .

إعادة نظر في أسس النصوص الشائعة الموثوقة، ومنهج علمي سهل في بناء القواعد عليها كفيلاً بابلانها الهدف المنشود . وربما أهدرت في سبيل ذلك بعض لهجات عربية فصيحة هنا وهناك ، إلا أن ذلك إذا قيس الى مانستريح منه من أكوام القواعد القديمة بدا غير ذي بال .

هذا ما نقرحه خدمة للفصحى وتيسيراً لنشرها اليوم ، فإذا تم ذلك اقتصدنا أكثر من نصف الوقت الذي يقضيه الطالب في المدارس لدراسة النحو ، واتفنا به في الاكثر من دراسة النصوص الأدبية المختارة ، فذلك أعود على إحياء الفصحى وملكة الطالب .

أما النحو الحاضر بمطولاته وشروحه وحواشيه ، بقديمه وحديثه وتاريخه وطبقات أهله فيبقى موضوع الدرس والتثقف في المعاهد والكلية والجامع وعند أهل الاختصاص : يدرس مادة وتاريخاً وتطوراً ، على شرط تنسيقه على أساس الروح العلمية التي الملت إليها آنفاً : تحقق نصوص شواهد ، وتطبق بدقة أسس الاحتجاج بها ، ثم تدرس بعد استقراء الموجود منها على ما قدمت من تصنيفها ثم يبنى عليها أحكام صحيحة تستند الى إحصاء الأحوال في هذه النصوص ، فتماز الأحكام المطردة من الأحكام الغالبة ، والأحكام القليلة من الأحكام النادرة ، وتنسب اللهجات الى أصحابها على قدر الامكان ، وتفرد ما ألحأت اليه الضرورة الشعرية فلا يعيب بين الشواهد والأحكام بليلة واضطراباً ، بل يصنف على حدة فله شعر رخصه الخاصة ، او بعبارة أدق : نحوه الخاص ، كما له لغته الخاصة ووزنه الخاص .



الحاجة الى الاصلاح ماسة ، والطريق اليه سالكة . والامور مواتية ، والشعوب العربية تنفق بسخاء ، والعالمون الأكفاء كثيرون ، وأكثر منهم الغير المخلصون ولكن ..

فقدنا في الذين وضعهم الزمن أيام الاحتلال القدر في أعلى الهرم و وكل اليهم الخطوة الأخيرة ، أموراً ثلاثة: الوعي والاخلاص والمضاء، فضاعت بذلك كل الجهود المبذولة ، شأنهم في ذلك شأن الحلقة العليا في السياسة وفي الدين وفي الاقتصاد.. الخ فحُرمت الأمة ببلادة هؤلاء كل خير، وذهبت جهودها وأموالها وأعمارها وجهادها وحتى بعض بلادها أنراج الرياح، وقد كانت على قاب قوسين من النجاح .
نسأل الله أن يمن عليهم جميعاً بهذه الثلاث : الاخلاص والوعي والمضاء .



(١)

سرد الاعلام

١٩٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢١٠ ،

٢١٤ ، ٢١٦ .

ابن اياز ٢١٦ ، ٢١٧

ابن بري ٤٤

« جابر ١٦

« جني ٧ ، ٨ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٤ ،

٣٠ ، ٣١ ، ٤٤ ، ٧١ ، ٧٢ ،

٧٤ - ٧٨ ، ٨٠ - ٨٧ ، ٩٠ ،

٩٢ ، ٩٣ ، ١٠٠ - ١٠٢ ، ١٠٦ ،

١١٩ ، ١٢٤ ، ١٢٧ - ١٣٠ ،

١٣٦ ، ١٤١ ، ٢٢٢ .

ابن الحاج ٤٩

« حزم الاندلسي ٢٩ ، ٩٦ ، ٢٢٠

« الحوفي ٢٢٠

ابن حيان = أبو حيان

« خاويه ١١٩ ، ١٤٤ ، ٢٢٢

« الحجاز ٤٩

- أ -

آدم منز ٨٨ ، ١٢٨

ابراهيم بن عبد الرحمن الزياتي ٢٠٨

« « عقيل القرشي ١٥٧

« « هرمة ١٧ ، ٥٩

« الحربي ١٤

« الزجاج ٣٣ ، ٣٤ ، ١٣١ ، ١٤٤

١٨٣ ، ١٨٥ .

ابن ابي اسحاق = عبدالله بن أبي اسحاق

« « عبلة ٣٢

« « عروبة ٤٧

« الاثير ٣٢

« الاحمر = علي بن الحسن الاحمر

« الاعرابي ١٣٩ ، ١٥٦ ، ١٩٣

« الانباري ٣٦ ، ٣٧ ، ٦٨ ، ٩٢ ،

١٣٢ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦٣ ، ١٨٨ ،

(١) عمله مشكوراً السيد رضوان رضوان ، الطالب في شهادة علوم اللغة العربية بكلية

الآداب في الجامعة السورية ، يشمل اعلام الافراد والجماعات والامكنة والكتب .

ابن قتيبة ١٠٨ ، ٦٤ ، ٧١ ، ٢١٨ ،

٢١٩ .

ابن القربة ١٠

« كيسان ١٠٥ ، ٢١٦ ، ٢١٩ ،

« مالك ٢١ ، ٣٦ ، ٤٣ — ٤٥ ،

٥٩ ، ٦٥ ، ٩٦ ، ٢٢١ .

« معطي ٤٩

« مقسم العطار ٣٩

« التديم ١٢٨ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٣ ،

١٥٦ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٨٨ ، ٢١٩ ،

« هرمة = ابراهيم بن هرمة

« هشام الانصاري ٤٦ ، ٥٧ ، ٦٠ ،

٦٤ ، ١٧٢ .

« الوراق ١٠٦

« الوزان القيرواني ٢٢١

ابو الاسود الدؤلي ٨ ، ٩ ، ٣٠ ، ٣١ ،

١٥٢ — ١٦٢ ، ١٦٤ .

ابو البركات الانباري = ابن الانباري

« بكر الانباري ٥٥

« « بن الحياط ٢١٩

« « « السراج ١٤٤ ، ١٤٥ ،

٢١٩ .

ابو بكر الصديق ٧

« تمام = حبيب بن أوس

« ثروان ١٧٣

ابن خروف ٤٤ ، ٢٢٠

« خلكان ٩٤

« درستويه ٩٨ ، ١٩٦ ، ٢١٦ ،

« دريد ١٤٤

« الزبير الاسدي ٦٤

« السراج = ابو بكر بن السراج

« سعيد (الاندلسي) ٢٢١

« السكيت = يعقوب بن السكيت

« سلام = عبد الله بن سلام

« سيدة ٤٤

« سيرين ٥٢

« الشجري ٣٩ ، ١٧٠ ، ١٧٣ ،

٢١٦ .

ابن الطراوة ٢٢٠

« الطيب ٤٤ ، ٤٩

« عامر الدمشقي = عبد الله بن عامر

« عباس = عبد الله بن عباس

« عساكر ٨ — ١٣ ، ٥٢ ، ١٥٣ ،

١٥٧ ، ٢١٢ .

ابن عصفور ٢٢٠

« فارس ١٨ ، ٤٤ ، ٥٦ ، ٥٨ ،

١٠٥ ، ١٥٦ ، ٢١٦ .

ابن قادم الكوفي ١٣ ، ١٤

١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٨٩ ، ١٩٢ -
 ١٩٤ ، ٢١٣ .
 ابو سعيد السيرافي ٤٩ ، ٨٩ ، ١٥٣ ،
 ١٦٢ .
 ابو سعيد = الحسن البصري
 « الطيب = التنبي
 « اللغوي ١٥٣ ، ١٦٤ ، ١٦٦ .
 ١٩١ ، ٢١٨ .
 ابو العباس احمد بن منصور ١٥٧
 « « المبرد = محمد بن يزيد
 « « الناشء ١٠٣
 « عبد الله الكرمانى ٢١٩
 « عبيد البكري ١٤٤
 « عبيدة ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٤ ،
 ١٨٩ ، ١٩٤ .
 « عثمان المازني ٣٣ ، ٧٠ ، ٧٨ ،
 ١٧٩ ، ١٧٢ ، ١٨٠ ، ١٨٨ ،
 ٢٠٨ .
 ابو علي الاصفهاني ٢١٩
 « « الشلوين ٤٩ ، ٢٢٠
 « « الفارسي ٧٠ ، ٧٥ - ٨٠ ،
 ٨٢ ، ٨٦ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٠٥ ،
 ١٠٦ ، ١٢٨ ، ١٣٤ ، ١٣٩
 « « القالي ٢٢٠ ، ٢٢١

أبو الجراح ١٧٣
 « جعفر التنوخي ١٨٧
 « « الرؤاسي ١٥٩ ، ١٦٣ - ١٦٩
 « « المنصور ١٣
 « « النحاس ٩٤ ، ١٤٤ ، ٢١٦
 « « السجستاني ١٦٤ ، ١٦٨ ،
 ١٦٩ ، ١٩٤ ، ٢١٣ .
 « الحسن البوراني ٩٢
 ابو الحسن الضائع ٤٤ ، ٨٤ ، ٩٩
 « الحصين بن ابى الحر العبدي ٧
 « حمزة الشاري ١٢
 « حنيفة الدينوري ٢١٩
 « « النعمان ٧٤ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ١٢٧ ،
 ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٥ .
 « حيان (التحوي المفسر) ٢١ ، ٣٤
 ٤٣ - ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٩ ،
 ٩٥ ، ٩٦ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ .
 « حيوة ٣٢
 « خيرة الاعرابي ١٨٩
 « دثار ١٧٣
 « دؤاد ٢٢
 « زرعة = روح بن زنباع
 « الزناد ١٢
 « زيد الانصاري ٨٤ ، ٨٩ ، ١٥٩ ،

أحمد بن جعفر الدينوري ٢١٠ ، ٢١٧ ،

« بن حنبل ٢٣

« بن يحيى (ثعلب) ١٤ ، ٧٥ ،

١٦٩ ، ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٨٢ - ١٨٥

١٩٣ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٥ -

٢١٧ ، ٢٢١

« محمد شاكر ٥٦ ، ٦٤ ، ٧١

الاحمر = علي بن الحسين

الاحري ١٩٤

اخبار النحويين البصريين (للسيرافي)

١٥٣ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٧١ ،

١٩٧ ، ٢٠٩

اختلاف النحويين (ثعلب) ٢١٥

الاختل ٥٥

الاخفش ١٤ ، ٦٤ ، ٩٨ ، ١٤٤ ،

١٤٨ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٨٨ ،

١٩٠ ، ٢٠٦ ، ٢١١

الارتشاف لابي حيان ٩٥ ، ٢٢١

إرشاد الأريب ٨ ، ١٠ ، ١٢ ،

١٣ ، ٦٦ ، ٨٢ ، ١٠٤ ، ١٣١ ،

١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٨ ، ١٨٢ ،

١٨٥ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ،

١٩٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١١ .

الازهر ١٠٧ ، ١٧٠ .

ابو عمرو بن العلاء ٩ ، ٢٥ ، ٣٩ ،

٤٣ ، ٤٥ ، ٥٤ ، ٦٣ ، ٧٣ ،

٨٣ ، ٨٩ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ،

١٥٩ - ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٧٤ ،

١٨٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٩

« عمرو الداني ٢٧

« الشيباني ١٥٥ ، ٢٢٥

« الاصفهاني ٩ ، ٨ ، ١٥٤ ، ٢٢٥

« فقهس ١٧٣

« القاسم عبدالرحمن بن إسحاق =

الزجاجي

« المطوق ١٧٦

« موسى الاشعري ٧

« موسى الحامض ١٨٣

« نصر الباهلي ١٤٤ ، ١٧١

« نصر الفارابي ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ،

« نوفل بن ابي عقرب ١٥٧

« هريرة ١٤

« الوليد = محمد بن ابي احمد

الاتقان للسيوطي ٢٧

احمد امين ٦١ ، ٧٢ ، ٩٣ ، ١٣٧ ،

١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٠

احمد بن ابراهيم الكاتب ١٩٣

« بن بكر العبدي ٨٩

الأفعال (لابن القوطية) ٢٢٠
 أفنون التغلبي ١٧٠
 الاقتراح (للسيوطي) ١٧ ، ١٨ ،
 ٢٠ — ٢٣ ، ٢٦ ، ٣٥ ، ٣٦ ،
 ٤٣ ، ٤٥ ، ٥٧ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٧٠ ،
 ٧٢ ، ٩١ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٩٧ ،
 ٢١٥ ، ٢٢٢ .
 الأكليل (للهمداني) ١٣٨
 ألف باء (للبلوي) ٨ ، ١٩ ، ٤٩
 الألفاظ والحروف (للفراري) ٢٠
 ألفية ابن مالك ٢٢١
 ألفية ابن معطي ٤٩
 الأمايلي (لابن الشجري) ١٧٣ ، ٢١٦ ،
 « (للزجاجي) ١٠ ، ١٧٠ ،
 ١٧٦ .
 الأمايلي (للقالي) ٢٢٠ ، ٢٢١
 « (لليزيدي) ١٩٣
 امرؤ القيس ٢٩ ، ١٢٧ ، ١٨١
 الأموي (راو) ١٩٤
 الأمويون — أمية ٩ ، ١٢
 أمية بن أبي الصلت ٢٢
 « « « « « عائد ٧٢
 الأمين (الخليفة) ١٦٥ ، ١٧٤
 إنباء الرواة (للقطي) ٩ ، ١٣ ،
 ١٤ ، ٣٩ ، ٥٦ ، ٦٨ ، ٧٤ ، ٩٣

الأزهري ٤٤
 اسحاق بن إبراهيم المصعبي ١٣ ، ١٤
 أسيد (قبيلة) ١٩ ، ٥٤ ، ٦١ ، ١٥٤
 إسرائيل ولفنسون ٦٦ ، ١٣٣
 الأسعاف (لابن إياز) ٢١٧
 الأسود بن يعفر ١٩٤
 أسواق العرب في الجاهلية والإسلام
 (المؤلف) ١٨٩
 الاشتقاق (للمبرد) ١٥
 « الصغير (للرماني) ١٢٨
 « الكبير « ١٢٨ ، ١٤٤
 « المستخرج « ١٤٤
 « والتعريب (للمغربي) ١٢٤
 ١٢٧ ، ١٤٥ .
 الأصمعي ١٠ ، ١٨ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٤٥ ،
 ٥٢ ، ٥٨ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٧٢ ، ٨٤ ،
 ١١٩ ، ١٤٤ ، ١٥٦ ، ١٦٤ ،
 ١٦٨ — ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٨٥ ،
 ١٨٦ ، ١٨٩ ، ١٩٤ ، ٢١٣ .
 الأعرج ٣٤
 الأعشى ٢٢
 الأعمش ٣٤
 الأغاني ٨ ، ١٣ ، ٢٣ ، ١٥٤ ،
 ١٧٧ ، ٢٢٦

بشار بن برد ١٧، ١٨، ٢٣، ٢٤،

٥٩، ٧٢، ١٤٨.

بشكست النحوي ١٢، ١٣، ١٥٨

البصرة ٨-١١، ١٤، ٢٠، ٢١،

٣٣، ٣٤، ١٥١، ١٥٢، ١٥٥،

١٥٨، ١٦٢، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٩،

١٧٣، ١٨٣، ١٨٧، ١٨٩-١٩٤،

٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٦-٢٠٩،

٢١٢-٢١٥، ٢٢٢، ٢٢٣.

البصريون ٢١، ٣٦، ٣٧، ٤٠، ٤٤،

٦٢، ٩٢، ١٣١، ١٣٢، ١٥٣،

١٥٨، ١٦٠-١٦٩، ١٨٦-١٨٨،

١٩٢-١٩٤، ١٩٦-١٩٩،

٢٠٠-٢٠٦، ٢٠٩، ٢١٢،

٢١٤، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢١، ٢٢٢،

البطليوسي ٢٢٠

بغداد ٤٤، ٧٦، ٨٢، ١٦٥، ١٧٢،

١٩٣، ١٩٤، ٢١١، ٢١٧-٢١٩

البغدادي = عبد القادر البغدادي

بغية الوعاة (للسيوطي) ٤٦، ٥٥،

٨٩، ١٠٥، ١٥٤، ١٦١، ١٦٣،

١٦٤، ١٨٣، ١٨٧، ١٩٣،

١٩٦، ٢٠٦، ٢١٠، ٢١١،

٢١٦، ٢١٧

٩٤، ١٠٤، ١٤٤، ١٥٨، ١٦١،

١٦٤، ١٧١، ١٨٠، ١٨٥،

١٩٤، ١٩٩، ٢٠٦، ٢٠٨،

٢١٠، ٢٢١.

الاندلس ٤٤، ٤٩، ١٨٧، ٢٢٠،

الاندلسيون ٢٢٠

أنس بن مالك ٤٦

الانصاف في مسائل الخلاف (لابن

الانباري) ٣٦، ٣٧، ٩٢،

١٣٢، ١٨٨، ٢٠٣، ٢٠٥،

٢١٤، ٢١٦، ٢١٧.

الاوزاعي ٤٨، ١٥٦

أوضح المسالك (لابن هشام) ٦٤

- ب -

البارع (للقالي) ٢٢٠

البحتري ١٦

البحر (تفسير أبي حيان) ٢٢١

البحرين ١٩، ١٧٥

البخاري ٥٣

بديعة ابن جابر ١٦

البرامكة ١٧١

برجستراسر ٦٦

البزار ٦٥

بست (بلد) ٢١٤

التسهيل (لابن مالك) ٤٣ ، ٤٥
 تعبير الرؤيا (لابن قتيبة) ٢١٨
 التعليق في الخلاف ٢١٧
 تفسير الحوفي لكتاب الكسائي ٢٢٠
 التلمود البابلي ٢٢٠
 التلمود الفلسطيني ٢٢٠
 تميم (قبيلة) ١٩ ، ٥٤ ، ٦١ ، ٧٣ ،
 ١٨٩
 تهامة ٧٥ ، ١٦٥
 تهذيب تاريخ دمشق = ابن عساكر
 التهذيب (للزهري) ٨ - ١٣ ، ٥٢ ،
 ١٥٧ ، ١٥٣
 تيم اللات (قبيلة) ١٢٧
 ث
 ثعلب = احمد بن يحيى
 ثقيف (قبيلة) ٢٠ ، ٢٢٦
 ج
 الجاحظ ٩ ، ١١ ، ٢٠ ، ٩٣ ، ٢٠٦ ،
 ٢٠٨
 الجامع (لعيسى بن عمر) ١٦٢
 جامع الزهراء ٢٢١
 الجامع الصغير (للسبوطي) ٧
 الجامعة السورية ١١٨
 « المصرية ٦٦ ، ١٣٣

بكر (قبيلة) ١٩
 البلدان (للجاحظ) ٤٩
 بنو زياد ١٥٤
 بنو سعد ٧
 بنو شهاب ١٣٨
 بنو مسمع ٢١٠
 البلوي ٨ ، ١٩ ، ٤٩
 البيان والتبيين (للجاحظ) ١١ ، ٢٠ ،
 بيروت ١٥٣
 البيضاوي ٣٣

— ت —

التابعون ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٦ ،
 ٥١
 قاج العروس (شرح القاموس) ٣٠ ،
 ٨٠ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٧٨
 تاريخ آداب العرب (للرافعي) ٢٢١
 « بغداد ٦٨
 « العرب قبل الاسلام ٢٢٣
 تاريخ الفكر الاندلسي ٢٢٠
 « اللغات السامية ٦٦ ، ١٣٣
 التبيين في مسائل الخلاف (للعكبري)
 ٢١٧
 تخطيط المذهبين (للكشي) ٢١٩
 تذكرة داوود ٧٠

الجاهلية ١٤ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٥٦
 الجاهليون ١٧ ، ٢٣ ، ٧٣
 جذام ١٩ ، ٢١
 جرير ٢٩ ، ٥٥
 جزيرة العرب ١٨ ، ١٩ ، ١٨٩ ،
 ١٩٠ .
 جعفر بن يحيى البرمكي ١٧٢ ، ١٧٣
 جمال الدين الاسنوي ٩٤
 « « الشريشي ١٤٤
 « « القاسمي ٢٨
 جبل ثينة ٦٤
 الجن ٢١٣
 جواد علي ٢٢٣
 الجواليقي ٧٠
 الجوهري ٤٤
 — ح —
 الحارث بن منذر الجرمي ١٠٠
 الحاوي (للماوردي) ٩٦
 الحشة ٢٠
 حبيب بن أوس الطائي ١٥ ، ١٦
 الحجاج ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ٧٢ ، ١٦٠
 الحجاز ٢٠ ، ١٦٥
 الحدود (للفراء) ١٦٦
 حر بن عبد الرحمن القاري ١٥٤
 الحريري ٥٣
 الحسن البصري ١٩
 الحسن بن علي الحلواني ٤٩
 الحسن الحاجب ١٧٤
 الحسين بن علي ١٠٠
 الحضارة الاسلامية في القرن الرابع
 (لآدم مزر) ١٢٨
 الخطبة (قرية) ١٩٩
 الخطيئة ٢٢ ، ٢٩
 حلب ٧٦ ، ٨٢
 حماة ٢١٣
 حماد بن سلمة ٤٩
 حماد الراوية ٥٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ،
 ١٩٨ ، ٢٠٩ ، ٢٢٥ .
 حمزة الزيات ٣٥ ، ٣٦ ، ١٦٧ ، ٢١٣
 حمص ٢١٣
 حمير ١٧٥
 الحنفية (أتباع المذهب الحنفي) ٢١٤ ،
 ٢١٥ .
 حنيفة (قبيلة) ٢٠
 حيدر آباد ١٨ ، ١٩٣ ، ٢١٩
 — خ —
 خالد بن الوليد ١٦٢

الجاهلية ١٤ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٥٦
 الجاهليون ١٧ ، ٢٣ ، ٧٣
 جذام ١٩ ، ٢١
 جرير ٢٩ ، ٥٥
 جزيرة العرب ١٨ ، ١٩ ، ١٨٩ ،
 ١٩٠ .
 جعفر بن يحيى البرمكي ١٧٢ ، ١٧٣
 جمال الدين الاسنوي ٩٤
 « « الشريشي ١٤٤
 « « القاسمي ٢٨
 جبل ثينة ٦٤
 الجن ٢١٣
 جواد علي ٢٢٣
 الجواليقي ٧٠
 الجوهري ٤٤
 — ح —
 الحارث بن منذر الجرمي ١٠٠
 الحاوي (للماوردي) ٩٦
 الحشة ٢٠
 حبيب بن أوس الطائي ١٥ ، ١٦
 الحجاج ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ٧٢ ، ١٦٠
 الحجاز ٢٠ ، ١٦٥
 الحدود (للفراء) ١٦٦

- خراسان ١٠
خزانة الادب (للبغدادى) ١٦ ، ١٧
٥٦ ، ٦٤ .
الخصائص (لابن جني) ١٦ ، ٨ ، ٧ ،
٢٤ ، ٣٠ ، ٧٠ - ٧٢ ، ٧٤ - ٧٨
٨٠ - ٨٤ ، ٨٦ - ٨٨ ، ٩٠ ،
١٠١ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٦ ،
١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٨٩ ، ١٩١ .
الحفاجي ٣٣
الحلاف بين سيويه والمبرد (للرماني)
٢١٦ .
الحلاف بين النحويين (للرماني) ٢١٦
خلف الاحمر ٨٤ ، ١٧٢ ، ١٩١ ،
١٩٢ ، ١٩٨ ، ٢٠٦ .
الحليج الفارسى ٢٢٦
الحليل بن احمد السجزي ٢١٢
الحليل بن احمد الفراهيدي الازدي
٤٤ ، ٤٧ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٧١ - ٧٦
٨٤ ، ١١٩ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ،
١٦٠ - ١٦٨ ، ١٧٤ ، ١٨٩ ،
١٩٠ ، ١٩٣ ، ٢٠٩ .
خوارزم ١٢٦
د
دار احياء الكتب العربية ٧
- دار الكتب الظاهرية = الظاهرية
« « المصرية ٧ ، ٩٥ ، ١٤٥ ،
٢١٧
دار المأمون ٧
دار المعارف ١٧٠
الدسوقي ١٧٢
دمشق ٨ ، ٣٤ ، ٣٩ ، ٤٨ ، ٥٢ ،
١٠٧ ، ١١٨ ، ١٢٥ ، ١٥٣ ،
٢٢٢ ، ٢٢٣
ذ
ذو الرمة ٢٣
ر
الرازي = فخر الدين الرازي
الراعي التميري ١٧١
الرافعي (صاحب الشرح الكبير في
في الفقه الشافعي) ٩٥ ، ٩٦
الرافعي (مصطفى صادق مؤلف تاريخ
آداب العرب) ٢٢١
الرؤاسي = ابو جعفر الرؤاسي
رؤبة بن العجاج ٥٦ ، ٧١ ، ١٣٩
الربيع بن صبيح ٤٧
رجاء بن حيوة ٥٢
الرد على ثعلب في اختلاف النحويين
(لابن درستويه) ٢١٦

س

- سر الصناعة (لابن جني) ٨٢
 سراج القارىء (لابن القاصح) ٢٧
 السكندري ١١٥
 سليمان بن عبد الملك ١١ ، ١٢
 سليمان بن فهد الازدى ٨٢
 سليمان الحامض ٢١٩
 سعيد بن مسلم ١٣
 سعيد بن مسعدة = الاخفش
 السندوبي ٩
 سهل بن سعد الساعدي ٤٦
 السهيلي ٣٢ ، ٤٤ ، ٢٢٠
 سيويه ٩ ، ١٨ ، ٣٠ ، ٣٦ ، ٤٤ ، ٤٥
 ٤٩ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ٧٤ - ٧٦ ،
 ٨٤ ، ٩٢ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٥٦ ،
 ١٥٩ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ،
 ١٦٧ ، ١٧١ - ١٧٤ ، ١٨١ -
 ١٨٦ ، ٢١١ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ،
 ٢٢١ .
 سيرة ابن هشام ٦٦
 سيف الدولة ٧٦ ، ٨٢
 السبوطي ٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٦ ، ٢٧
 ٣٥ ، ٤٣ - ٤٥ ، ٥٧ ، ٦٤
 ٦٥ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٩١ ، ٩٧
 ١٠٢ ، ١٢٢ ، ١٣١ ، ١٤٢ ،

رسالة الغفران (المعري) ٢٢٢

- الرسول ﷺ ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ٢٥ ،
 ٢٦ ، ٣٦ ، ٤٠ - ٤٣ ، ٤٦ - ٤٨ ،
 ٥٢ ، ١٦١ ، ١٨٤
 الرشيد (الخليفة) ١٣ ، ٩٤ ، ١٦٥ ،
 ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ،
 ٢١٠ ، ٢١١
 الرعيبي الاندلسي ١٦
 الرماني ٩٢ ، ١٢٨ ، ١٤٩ ، ٢١٦ ،
 روح بن زنباع ١١
 الروض الانف (لالسي) ٣٢
 الروضة (للنووي) ٩٥
 الروم ١٤

ز

- الزبير بن العوام ٢٠٧
 الزبيدي ٩ ، ١٤ ، ١٦٢
 الزجاج = ابراهيم الزجاج
 الزجاجي ١٠ ، ١٥٧ ، ١٧٠
 زفر بن الحارث الكلابي ٢٠٢
 الزخشمري ١٨ ، ٣١ ، ٣٨ ، ٤٠ ،
 ٤٤ ، ٩٢ ، ٩٣
 الزهري ٨ ، ٤١ ، ٤٧ ، ١٦٠
 زهير بن أبي سلمى ٢٩
 زهير الفرقي ١٦٤
 زياد بن ابية ٧ ، ٨ ، ١٥٤
 زيد بن علي ٣٤

الشعر والشعراء (لابن قتيبة) ٥٦ ،

٢١٩ ، ٧١ ، ٦٤ .

الشلوبيني = ابو علي الشلوبين

شعبة بن الوليد ١٧٦ ، ١٧٧ ،

— ص —

الصاحبي في فقه اللغة (لابن فارس)

١٨ ، ٤٧ ، ٥٨ ، ١٥٦ .

الصاغانى ٣١

صبح الاعشى (للقلقشندي) ٣٣

الصحابة ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٩ ، ٤١ ،

٥١ ، ٤٦ .

الصحاح (للجوهري) ٤٤ ، ٩٦

الصفار ٤٩

صفة جزيرة العرب (للهمداني) ١٣٨

الصقلي ٤٩

صنعاء ١٧٦

— ض —

الضبي = المفضل الضبي

ضحى الاسلام (لأحمد أمين) ٦١ ،

٢٢ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٩٨ ، ٢٠١ .

الضرار (للالوسي) ٧٩

— ط —

طاهر بن الحسين ١٣

الطائف ٢٠

الطبراني ٧

١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٥٦ ، ٢١٠ ،

٢١٥ .

— ش —

الشافعي ٢٣ ، ٥٢ ، ٦٥ ، ٦٦ ،

١٢٦ ، ٢١٥ .

الشافعية (أتباع الشافعي) ٢١٤ ، ٢١٥

الشام ١٩ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٣٤ ، ٤٨ ، ٥٥ ،

٧٠ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ١٨٧ ، ٢١٣ ،

٢٢١ ، ٢٢٢ .

الشاميون ٢٢٢ ، ٢٢٣

الشجري ٨٤

الشرارة ١٢

شرح ألفية ابن معطي ٤٩

شرح التسهيل (لأبي حيان) ٢١ ،

٤٤ ، ٩٥ .

شرح تصنيف المازني ٧٩

شرح الجمل (لأبي الحسن الضائع) ٤٤

« الشاطبية ٢٧

« شذور الذهب (لابن هشام) ٦٤

« شواهد المغنى (للسيوطي) ٦٤

الشرح الكبير (للرافعي) ٩٥ ، ٩٦

شرح كتاب سيدييه (للسيوافي ، للصفار) ٤٩

« المقرب (لابن الحاج) ٤٩

الشريف الغرناطي ٢٩

الشعبي ١٠

عمر (آل عمرو) ٣١
 عمرو بن بزيع ١٧٥
 « « العاص ٤٦
 عنبسة بن سعيد ١٠
 « « معدان = عنبسة الفيل
 « الفيل ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٠
 عترة ١٥
 عيسى الباني الحلبي ٩٨
 « بن عمر ٤٤ ، ٥٦ ، ٧٣ ، ٨٣ ، ١٥٦ ، ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٧١ ، ١٩٣ ، ٢٠٠ ، ٢٠٩
 العين (للخليل بن أحمد) ١٦٣
 عيون الاخبار (لابن قتيبة) ٨ - ١٠ ، ٢١٨
 عينة بن حصن ٣٢
 — غ —
 الغريب المصنف (للقاسم بن سلام) ٢١٣
 غسان (قبيلة) ١٩ ، ٢١
 غيان (بنو غيان) ٨٥
 غيث النفع (لصفاقسي) ٢٧
 — ف —
 الفارابي ٢٠ ، ٢١
 قارس ٢١ ، ٧٦ ، ١٧٣

العجاج ٢٣ ، ٥٦ ، ٧١
 عدي بن زيد العبادي ٢٢ ، ١٩٢
 العراق ٩ ، ٧٦ ، ١٦٣
 عروة بن الزبير ٣١ ، ٣٢
 عطاء بن أبي الاسود ١٥٧ ، ١٦١
 عفان ٤٩
 عقبة الاسدي ٦٤
 عقيل (قبيلة) ٢٣
 عكبرا (قرية شرقي بغداد) ١٩٤
 علل النحو (لابن كيسان) ١٠٥
 « « (لابن الوراق) ١٠٦
 الملل في النحو (لقطرب) ١٠٥
 علي بن أبي طالب ٨ ، ١٤٠ ، ١٥٢ ، ١٥٥ - ١٥٧ ، ٢٠٧
 علي بن الحسن الاحمر ١٧١ ، ١٧٢ ، ٢١١
 علي بن الحسن الهنائي ١٨٨
 « « حمزة = الكسائي
 « « مبارك الاحمر ٤٤ ، ٥٥
 « « المديني ٥٢
 « الحواردزمي ١٤٤
 عمار الكلبي ١٠٤
 عمر بن الخطاب ٧ ، ٨ ، ٢٠٧
 عمر بن عبد العزيز ١٢ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٦

ق -

القاسم بن سلام ٢١٣
 « محمد ٥٢
 القاضي الجرجاني ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٠١
 القاموس المحيط (للفيروزبادي) ٢١
 القاهرة ٧ ، ١١ ، ١٦ ، ١٨ ، ٣١ ،
 ٣٨ ، ٤٧ ، ٧١ ، ١٧٠ ، ٢٠٥ .
 القط ١٩
 قتادة ٤٩
 قحطان ١٣٨
 قدامة بن جعفر ١١
 القرآن الكريم ٦ - ٩ ، ١٢ ، ١٣ ،
 ٢٠ ، ٢٥ - ٢٩ ، ٣١ ، ٣٣ ،
 ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٨ - ٤٢ ، ٤٨ ،
 ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٩٠ ،
 ٩٦ ، ١٠٩ ، ١٥٤ ، ١٦١ ،
 ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ،
 ١٩٤ ، ٢٠٦ ، ٢٢٦ .
 قرطبة ٢٢١
 قریش ٧ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٨ ،
 ٦١ ، ١٥٨ ، ٢٢٦ .
 قضاة (قبيلة) ١٩٨
 القطامي ٢٠٢

الفارسي = أبو علي الفارسي
 الفائق (للزخسري) ٤٤
 فؤاد الاول ١٠٨
 فخر الدين الرازي ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٦ ، ٩٦
 فخر أهل الكوفة على أهل البصرة
 (للهشم بن عدي) ٢٠٨
 الفراء ٤٤ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ١٥٦ ،
 ١٥٩ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ،
 ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٨٣ - ١٨٥ ،
 ١٨٨ ، ١٩٤ ، ٢٠٦ ، ٢١١ .
 المفردني ٥٥ ، ٧٣ ، ١٦٢
 الفرس ١٩ ، ٢٠ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ،
 ١٩٠ .
 الفصل (لابن حزم) ٢٩
 الفضل بن يحيى البرمكي ١٧٢
 فعلت وأفعلت (للقالبي) ٢٢٠
 الفهرست (لابن النديم) ١٢٨ ، ١٤٤ ،
 ١٤٥ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ،
 ١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٨٨ ، ١٩٩ ،
 ٢١٩ .
 الفيصل (للرقائسي) ١٦٥
 فيصل الاول (ملك سورية ثم العراق)
 ١٠٧ .
 الفيومي ٩٦

كسرى ١٧١
الكشاف (للزخمرى) ٣٨٠ ، ٣١
٤٠
الكشي ٢١٩
كفاية المتعلمين في اختلاف النحويين
(لابن فارس) ٢١٦
كلاب بن حمزة العقيلي ٢١٩
الكميت ١٩٢
كنانة (قبيلة) ١٩
الكواكب الدرية (للاسنوي) ٩٥
الكوفة ١٣ ، ٢٠ ، ٢١ ، ١٥١ ،
١٥٢ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٦٨
١٧٣ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ،
٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ،
٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢٢٢ ،
٢٢٣
الكوفيون ٢١ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٠ ،
٤٤ ، ٥٠ ، ٦٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ،
١٣٤ ، ١٥٤ ، ١٥٨ ، ١٦٣ ، ١٧٠ ،
١٧٤ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ،
١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ،
٢١٣ ، ٢١٩ ، ٢٢١
— ل —
لحم ١٩ ، ٢١

قطرب ٦٣ ، ١٠٥ ، ١٤٤ ، ١٨٨
قطربل (قرية في العراق) ١٩٧ ، ١٩٩
القفطي ٦٨ ، ١٠٣ ، ١٤٥ ، ١٥٨ ،
٢١٠ ، ٢٢١
قواعد التحديث (لجمال الدين القاسمي)
٤٨
القياس في اللغة العربية (لمحمد الحضرمي)
٦٠ ، ٩٩ ، ١٠٣ ،
١٤٨ ، ١٤٩
قيس (قبيلة) ١٩ ، ٥٤ ، ١٨٩
— ك —
الكتاب (لسيبويه) ١٨ ، ٣٠ ،
١٦٧ ، ٢١٠
كتاب الاختلاف (لعبيد الله الأزدي)
٢١٦
كتاب الكسائي ٢٢٠
« البلدان (للهمذاني) ٢٠٧ ،
٢٠٨
كنير بن أبي كنير ١٠٢
كراع النمل = علي بن الحسن الهنائي
الكسائي ٢٥ ، ٤٤ ، ٦٨ ، ٩٤ ،
١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦٣ ، ١٧٩ ،
١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٧ ،
٢٠١ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢٢٠

لسان العرب ٣٠، ٥٣، ٥٨، ١٣٥،
 ١٣٩، ١٤٦.
 لغدة = أبو علي الاصفهاني
 اللمع (لابن برهان النحوي) ١٥٨
 ليث (بنو ليث) ١٦٢
 ليس في كلام العرب (لابن خالويه) ٢٢٢
 — م —
 ما أغرب البصريون عن الكوفيين
 (للبستي) ٢١٤
 ما أغرب الكوفيون عن البصريين
 (لبستي) ٢١٤
 مازن (بنو مازن) ١٦١
 المازني = أبو عثمان المازني
 مالك بن أنس ٣٤، ٣٥، ٥٢،
 ١٥٨
 المأمون (الخليفة) ١٣، ١٤، ١٦٥،
 ١٧٤
 الماوردي ٩٦
 المؤرج السدوسي ٨٩
 المبرد = محمد بن يزيد
 مبرمان ١٠٥
 المتنبي ١٥، ١٦، ٨٢، ٢٠١
 المتوكل (الخليفة) ١٧٩، ١٨٠
 مجاهد ٣٢، ٣٦
 مجلة الثقافة (المصرية) ١٠٧
 المجمع العلمي العربي ٣٥، ٤٠، ٥٦،
 ١٠٧، ١١٨، ١٢٥، ١٣١،
 ١٩٨
 مجمع فؤاد الاول = مجمع اللغة العربية
 مجمع اللغة العربية ٤٤، ٥٠، ٥٤،
 ٧٢، ٩٣، ١٠١، ١٠٩، ١١٢،
 ١١٣، ١١٥، ١١٧، ١١٨،
 ١٢٥، ١٣٠، ١٣٤، ١٣٧،
 ١٣٨، ١٤٩
 المجلد (لابن فارس) ٤٤
 محاضرات الراغب ١٤٠
 المحتسب (لابن جني) ٣١
 محمد احمد جاد المولى ٧، ٩٨
 « بن أبي احمد بن ابي دؤاد ١٩٣
 « احمد الوراق ٢١٩
 « إسحاق ٩٢
 « الجيان ١٠٥
 « الحسن الشيباني ٩٠، ٩٤،
 ١٦٥، ٢١٤
 محمد بن عبد الملك الزيات ٢٠٦
 محمد بن عبد الله = الرسول
 « « « « بن طاهر ١٨٠
 ١٨١

لسان العرب ٣٠، ٥٣، ٥٨، ١٣٥،
 ١٣٩، ١٤٦.
 لغدة = أبو علي الاصفهاني
 اللمع (لابن برهان النحوي) ١٥٨
 ليث (بنو ليث) ١٦٢
 ليس في كلام العرب (لابن خالويه) ٢٢٢
 — م —
 ما أغرب البصريون عن الكوفيين
 (للبستي) ٢١٤
 ما أغرب الكوفيون عن البصريين
 (لبستي) ٢١٤
 مازن (بنو مازن) ١٦١
 المازني = أبو عثمان المازني
 مالك بن أنس ٣٤، ٣٥، ٥٢،
 ١٥٨
 المأمون (الخليفة) ١٣، ١٤، ١٦٥،
 ١٧٤
 الماوردي ٩٦
 المؤرج السدوسي ٨٩
 المبرد = محمد بن يزيد
 مبرمان ١٠٥
 المتنبي ١٥، ١٦، ٨٢، ٢٠١
 المتوكل (الخليفة) ١٧٩، ١٨٠
 مجاهد ٣٢، ٣٦

- محمد بن عيسى ١٨١
 « « مناذر ٢٠
 « « يزيد المبرد ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٦٣ ، ١٨٠ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٦ ، ٢٢١ .
 محمد الحضر حسين ٤٤ ، ٥٠ ، ٦٠ ، ١٠٣ .
 المختار بن أبي عبيد الثقفي ١٩٠
 مختار الصحاح (لارازي) ٩٦
 المختص (لابن سيدة) ٤٤ ، ١٣٥
 المخضرمون ١٧
 المدائني ١٥٤
 المديون ١٥٨
 المدينة المنورة ٨ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٥٨
 مراتب النحويين (لأبي الطيب اللغوي)
 ٨ ، ٥٦ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٦٩
 ١٩٠ - ١٩٢ ، ١٩٤ ، ٢١٣ ، ٢١٨
 المرزباني ٧٢ ، ١٩٢
 مروان بن محمد ١٢
 المزهر (للسيوطي) ٧ ، ٧٢ ، ٩٨ ، ١٢٢ ، ١٣١ ، ١٣٦ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٦ ، ١٦٠ ، ١٦٢ .
- المسائل الحلية (لابن جني) ٨٢
 المسائل الحلية (للفارسي) ٧٩
 « على مذهب النحويين .. الخ ٢١٦
 مسجل ٥٥
 مسلمة بن عبد الملك ٩
 المشرق (الاقليم) ٢٢٠ ، ٢٢١
 المشركون ٧ ، ٨ ، ٣٦
 المصباح المنير (لفيومي) ٣٢ ، ٩٦
 ١٢٥ ، ١٧٨ .
 المصحف (مصحف عثمان) ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٩
 ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٦٠ ، ١٨٢ .
 مصر ١٩ ، ٢٠ ، ٣٩ ، ١٠٧ ، ١٠٨
 ١٢٨ ، ١٧٠ ، ١٨٧ ، ٢٢١ .
 المطالع النصرية ٧٩
 المطبعة الازهرية ٢٧ ، ٣٩
 مطبعة الاستقامة ٣١ ، ٣٨ ، ٦٤ ، ٢٠٥
 المطبعة الاميرية ١٠٧
 مطبعة الترقى ٨
 المطبعة الرحمانية ١٢٨ ، ١٤٥
 مطبعة روضة الشام ١٠ ، ١٥٧ ، ٢١٢
 المطبعة السلفية ١٦ ، ١٨ ، ٤٧ ، ٥٦ ، ٦٤
 مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١١
 ٦٦ ، ١٣٣ .
 المطبعة المحمودية التجارية ١٧٠

مقائل ٣٢
مقاييس اللغة (لابن فارس) ٤٤
المقصود والممدود (للقالي) ٣٢٠
المقنع في اختلاف البصريين والكوفيين
(للنحاس) ٢١٦
مكة المكرمة ١٠، ٢٠، ١٦١
المكمل (لعيسى بن عمر) ١٦٢
منصور الجيري ١٧٦
المهدي (الخليفة) ٧٤ - ١٧٧
المهذب (للدنوري) ٢١٧
المهرجان الالفى لأبي العلاء المعري ٢٢٢
الموشح (للعرباني) ٧٢، ١٩٢
الموصل ٨٢
اولدون ١٥، ١٦، ١٨، ٥٩، ٨٧
ميمون بن إبراهيم ١٣، ١٤
ميمون الاقرن ١٥٤، ١٥٧، ١٥٩،
١٦٠، ١٦٤
ن -
الناطقة ٥٦
نافع المدني ٣٣، ٣٤
النبط ١٩، ٢١
النبي (وانظر: الرسول) ١٢، ٣١
٣٢، ٣٤، ٤١، ٤٢، ٤٦، ٤٧
٥١ - ٥٣، ٨٥، ١٥٥، ١٦١
نجد ١٦٥

مطبعة مصطفى محمد ٢٧
مطبعة دائرة المعارف (بمجدد آباد) ١٨
المطرزي ٣٢، ٩٦
معاذ بن مسلم الهراء ١٦٥
المعارف (لابن قتيبة) ٢١٩
معاني القرآن (للفراء، للكسائي،
للاخفش) ٢١١
معاني الكبير (لابن قتيبة) ٢١٩
معاوية بن ابي سفيان ٢٢، ٦٤
معاوية بن بجير ١١
معزلة ٣٣، ٩٣
معجزات النبي (لابن قتيبة) ٢١٨
معجم الادباء = ارشاد الاريب
« البلدان ١٦٤، ٢٠٧، ٢١٤، ٢١٥
المرّب (للاجو البقي) ٧٠
المعري ٢٢٢
المعلوط القريني ٨٨
المغرب (الاقليم العربي) ٢٢١، ٢٢٦
المغرب (معجم المطرزي) ٣٢، ٩٦
مغني اللبيب (لابن هشام) ٣٩، ٦٤
١٧٠، ١٧٣، ١٨٨
المفضل بن سلمة ١٤٤
المفضل الضبي ١٧٠، ١٩٢ - ١٩٤
المفضليات ١٧٠

الهند ٢٠ ، ١٩
الهيثم بن عدي ٢٠٨

- و -

الوائقي (الخليفة) ١٧٩
الواسط (لابن الانباري) ٢١٦
الوساطة للجرجاني ٢٢ ، ٢٣ ، ١٩١
وفيات الاعيان ٧ ، ٩٤ ، ١٩١
الوليد بن عبد الملك ١٠ - ١٢
« « يزيد ٢٢٦

- ي -

ياقوت ٨٢ ، ٩٢ ، ١٣١ ، ٢٠٧ ،
٢١٠ .
يحيى بن خالد البرمكي ١٧١ - ١٧٣
١٧٨ .
يحيى بن المبارك اليزيدي ١٧٤ ، ١٧٥
١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ،
١٩٣ ، ١٩٧ ، ٢٠٩ .
يحيى بن يعمر اللبني ٩ ، ١٠ ، ١٥٢
١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٥٩ - ١٦١ .
يزيد النحوي ٣٢
« بن منصور الحميري ١٧٤ ، ١٧٦
اليزيدي = يحيى بن المبارك اليزيدي

نحاة المعتزلة (ل محمد بن اسحاق) ٩٢
النحو المجموع (لمبرمان) ١٠٥
نزار (بنو نزار) ١٣٨
نزهة الالباء ٨ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،
١٦٣ ، ١٩٢ .
النشمر في القراءات العشر ٢٧
النصارى ١٩
نصر بن عاصم ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ،
١٥٩ ، ١٦١

النضر بن شميل ١٥٧ ، ١٦٤

انعمان = أبو حنيفة

النعمان (بن المنذر) ١٩٠

نفظويه ١٤٤ ، ٢١٩

نقد النشر (المنسوب لقدامة) ١١

النمر (بنو النمر) ١٩

النهاية (لابن الاثير) ٣٢

النووي ٩٥

- ه -

هذيل (بنو هذيل) ١٩ ، ٥٤

هشام بن عبد الملك ١٢

« « عروة بن الزبير ٣١ ، ٤١

« الضرير ٤٤

« النحوي ١٤

الهمداني ١٣٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨

يوسف الزجاجي المرحاني ١٤٤	يعقوب الحضرمي ٢١٣، ٢٥
يونان ١٩	« بن السكيت ٧٢، ٨٧،
يونس بن حبيب ٥٦، ٧٣، ٨٣،	١٧٩، ١٨٠.
١٦٥، ١٦٢، ١٦١، ١٥٩، ٨٩	اليهامة ٢٠
— ١٩٢، ١٨٩، ١٨٣، ١٦٨	البن ٢٠، ٧٥، ١٧٦، ١٩٠،
١٩٤، ١٩٩ — ٢٠١، ٢٠٩.	يوسف بن عمر ٢٢٦

مراجع الكتاب

- إتحاف البشر في القراءات الأربع عشر
الاتقان للسيوطي
أخبار النحويين البصريين لابي سعيد السيرافي
إرشاد الارب لمعرفة الاديب (المعروف بمعجم
الادباء) لياقوت
أسواق العرب في الجاهلية والاسلام لسعيد الافغاني
الاشتقاق والتعريب لمحمد القادر المغربي
الاغاني لابي الفرج الاصفهاني
الاقتراح للسيوطي
الاكلیل للهمداني (الجزء العاشر)
ألف باء للبلوي
الامالي للزجاجي
« لابن الشجري
« للقالي
« لليزيدي
إنباه الرواة إلى أنباء النحاة للقفطي
الانصاف في مسائل الخلاف لابن الانباري
بغية الوعاة للسيوطي
البيان والتبيين للجاحظ
تاج العروس من جواهر القاموس
تاريخ دمشق لابن عساكر
تاريخ الفكر الاندلسي لـ (يانثينا) ترجمة حسين مؤنس
طبع عبد الحميد احمد حنفي (بلا تاريخ)
المطبعة الازهرية بمصر ١٣٤٣ هـ
« الكاتوليكية ببيروت ١٩٣٦ م
مطبوعات دار المأمون بمصر ١٣٥٥ هـ
المكتبة الهاشمية بدمشق ١٩٣٧ م
لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر ١٩٤٧ م
مطبعة التقدم بمصر (التزام سامي)
« دائرة المعارف ببيروت ١٣١٠ هـ
المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٦٨ هـ
« الوهبة بمصر ١٣٨٧ هـ
الطبعة الثانية بالمطبعة المحمودية بمصر ١٣٥٤ هـ
مطبعة الامانة بالقاهرة ١٩٣٠ م
« دار الكتب المصرية ١٩٢٦ م
« دائرة المعارف ببيروت ١٣٦٧ هـ
« دار الكتب المصرية ١٣٦٩ هـ
مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٦٤ هـ
« السعادة بمصر ١٣٢٦ هـ
« لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر
١٣٦٨ هـ
المطبعة الخيرية بالقاهرة ١٣٠٦ هـ
مخطوطة دار الكتب الظاهرية بدمشق
رقم (تاريخ ٢٦/١)
مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٥ م

- تاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولفنسون
تذكرة داوود الانطاكي
التطور النحوي لبرجستراسر
التفسير الكبير للفخر الرازي
تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر : لعبد القادر بدران
" " "
حاشية الاميد على معني اللب (الطبعة الثانية)
" الدسوقي " "
حاشية الحفاجي على تفسير البضاوي (عناية
القاضي وكفاية الراضي)
الحضارة الاسلامية في القرن الرابع لآدم متر
خزاة الادب للبندادي
الخصائص لابن جني .
الرسالة للشافعي
الروض الانف للسبلي
سراج القاريء المبتدي . . لابن القاصح
شرح شذور الذهب لابن هشام الانصاري
شرح شواهد المغني للسيوطي
الشعر والشعراء لابن قتيبة
الصاحبي لابن فارس
صبح الاعشى للقلقشندي
ضحى الاسلام لاحمد أمين
الضرائر للالوسي
طبقات الحنابلة لابن أبي عمير (اختصار ابن قيم الجوزية)
" الشعراء (طبقات فحول الشعراء في هذه الطبعة) " دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٢ م
طبع محمد سامي الحانجي بالقاهرة ١٩٥٤ م
دار الكتب المصرية ١٣٤٣ هـ
مطبعة مصطفى محمد بالقاهرة ١٣٥٢ هـ
الطبعة الرحمانية بمصر
مطبعة الاعتماد بالقاهرة ١٩٢٩ م
المطبعة الازهرية بالقاهرة ١٣٢٤ هـ
(أملاء في كلية الآداب بالجامعة المصرية)
المطبعة المصرية ١٣٥٢ هـ
١ - ٥ مطبعة روضة الشام ١٣٣٢ هـ
٦ ٧ ٤ مطبعة الترقى بدمشق
المطبعة الازهرية بمصر ١٩٢٨ م
دار الطباعة الاميرية بمصر ١٣٠١
دار الطباعة ببولاق ١٢٨٢ هـ
طبعة نائية للجنة التأليف والترجمة والنشر
١٩٤٧ م
المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤٨ هـ
مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٢ م
المطبعة الاميرية ببولاق ١٣٢١ هـ
" الجمالية بالقاهرة ١٣٣١ هـ
مطبعة مصطفى محمد بالقاهرة ١٣٥٢ هـ
" الاستقامة بالقاهرة (طبعة ثالثة)
١٩٤٦ م
المطبعة البهية بمصر ١٣٢٢ هـ
دار إحياء الكتب العربية ١٣٦٤ هـ
المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٢٨ هـ
المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٣٣١ هـ
لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٨ م
المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤١ هـ
مطبعة الاعتدال بدمشق ١٣٥٠ هـ
" دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٢ م
طبع محمد سامي الحانجي بالقاهرة ١٩٥٤ م
دار الكتب المصرية ١٣٤٣ هـ
مطبعة مصطفى محمد بالقاهرة ١٣٥٢ هـ
الطبعة الرحمانية بمصر

- القراءات واللهجات اميد الوهاب حمودة
قواعد التحديث للعاسمي
القياس في اللغة العربية لمحمد الخضر حسين
الكتاب لسيويه
الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري
لسان العرب لابن منظور الاندلسي
مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق
» مجمع اللغة العربية
محاضرات الراغب
مراتب النحويين لابن الطيب النعوي
المزهر للسيوطي
المصباح المنير للفيومي
المطالع النصرية للهوزيني
المعرب للجواليقي
المعرب في ترتيب المعرب للمطرزي
الموشح للمرزباني
نزهة الألباء لابن الأبناري
النشر في القراءات العشر لابن الجزري
الوساطة بين المتني وخصومه للجرجاني
وفيات الأعيان لابن خلكان
- مطبعة السعادة بمصر ١٩٤٨ م
» ابن زيدون بدمشق ١٣٥٣ هـ
المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٥٣ هـ
» الإمبرية الكبرى ببولاق ١٣١٦ هـ
مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٦٥ هـ
المطبعة المبرية ببولاق ١٣٠٠ هـ
مطبعة الترقى بدمشق
المطبعة الإمبرية ومطبعة دار الكتب المصرية
مطبعة نهضة مصر بالفيحة ١٣٧٥ هـ
دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة (طبعة ثانية)
المطبعة الإمبرية بالقاهرة (طبعة سادسة) ١٩٢٥ م
المطبعة الإمبرية ببولاق ١٣٠٢ هـ
دار الكتب المصرية ١٣٦١ هـ
مطبعة دائرة المعارف بحيدرآباد ١٣٢٨ هـ
المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤٣ هـ
طبعة على الحجر ١٢٩٤ هـ
مطبعة الترقى بدمشق ١٩٤٥ هـ
دار إحياء الكتب العربية ١٣٦٤ هـ
مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٤٨ م

تصويبات

ص	س	الصواب	ص	س	الصواب
٨	١٩	رجلاً	٧٦	٤	الإمامان ... بمنثلها
٩	٢٢	ابو عمرو	٧٧	٤	ذلك الحرف فيه
١٢	٨	وفد	٨٣	٩	للبن
١٣	٢٠	ويعد	١٠٣	٦	الامتياز
٢١	١٣	بازورج	١١٣	٦	ترتجله السوق
٢٣	١٧	الرجاني	١٢٥	٧	الوحش
٢٥	٣	الى	١٤٢	٦	أخرى
٣٠	١٣	هم أنفسهم	١٥٥	٦	تعرف
٣١	٢	والنويون	١٦١	١٣	عينه
٣٢	٦	زمانه	١٦٤	٢١	الذين ذكرنا
٣٤	٣	سابقون - ١٠ ابراهيم	١٦٥	٦	فاقوا ... بعض العلماء
٣٧	٦	حكم	١٦٨	٤	بؤرها
٥٥	١٥	أبي إسحاق	١٧٤	٧	الكوفيون
٥٦	٦	الملقب	١٧٦	١٢	وابن منصور
٦١	١٧	عثا	١٧٧	١٣	والله
٦٥	١٨	للسيوطي	١٧٩	١٧	بيدة الرشاء
٦٦	١٧	الهندلين - ٢٠ ولفنسون	١٨٨	١٢	في التثنية
٦٨	١٦	إليه	١٩٠	١١	أرادوا بها
٧٢	١	للمعاج - ١٧ والممدود	٢٠٠	١٠	وجود
٢٠	٢٠	جزى ٢١٠ الجزى	٢٠١	١٦	خصوصه
٧٣	٦	بابن أبي إسحق	٢٠٧	٧	منهما ،
٩	٩	وابن أبي »			

(١) أحرف الطباعة هذه مشرفة على البلى لكثرة الاستعمال ولذا كان يسقط أبعاض كثير منها أثناء الطبع وكذلك بعض النقاط ، فاضطررنا الى الإشارة الى بعضها مع بعض الاحطاء .

فهرس الموضوعات

٣ - المقدمة

٥ - الاستباج في اللغة العربية

مقدمة تاريخية في اللحن وتناوبه ١٤ - العلوم التي يحتج لها ١٧ - من يحتج بكلامه
من العرب ٢٥ - ما يحتج به من الكلام : القرآن الكريم بجميع قراءاته -
القراءات والنحاة ، ٤١ - ما يحتج به من الحديث الشريف (مذهب المانين -
مذهب المجيزين) ، ٥٤ - كلام العرب ، ٥٧ - بعض قواعد في الاحتجاج ،
٦٠ - خاتمة .

٦٧ - القياس في اللغة العربية

٦٩ - (أ) من تاريخ القياس ، القياسيون ، من قياس الخليل وسيبويه . من
قياس الفارسي ، من قياس ابن جني ، ٩٠ - (ب) أثر العلوم الدينية في القياس
اللغوي ، ٩٧ - (ج) من أحكام القياس ، ١٠٦ - (د) المصريون والقياس ،
قرارات المحدثين في التضمين والتعريب والمولد ، قرارات الصياغة والاشتقاق ،
ملحقات الأصول العامة .

١٢١ - الاشتقاق

١٢٣ - معناه ، أنواعه . ١٢٧ - في الاشتقاق الكبير . ١٣١ - مصدر
المشتقات ، ١٤٠ - أحكام تتعلق بالاشتقاق : المحقق وغيره ، المطرد وغيره ،
تغييرات الاشتقاق ، المنوع من الاشتقاق ، كتب الاشتقاق ، ١٤٥ - الخاتمة .

١٥١ - الخرف بين نحا البصرة والكوفة

(١) - لمحة تاريخية (مدرسة البصرة - مدرسة الكوفة) - أبو الأسود والتعليقة

- ١٦٠ - الطبقة الأولى والثانية من البصريين . ١٦٤ - مدرسة الكوفة .
(٢) - ١٦٧ - نشأة الخلاف : بين الكسائي والأصمعي ، وسيبويه ، واليزيدي ؛
بين المازني وابن السكيت ؛ بين المبرد وثلعب - ملاحظتان .
(٣) - ١٨٨ - الفروق بين المذهبين : أمر السماع ، أمر القياس ، نموذج من خلافهم .
(٤) - ٢٠٥ - أثر المصنعة في الخلاف .
(٥) - ٢١٤ - كتب الخلاف .
(٦) - ٢١٨ - بعد المذهب البصري والكوفي — خلط المذهبين في بغداد
والأندلس والشام .

٢٢٣ - الخاتمة

- ٢٢٩ - مسرد الأعلام .
٢٤٩ - مراجع الكتاب .
٢٥٢ - تصويبات
٢٥٣ - فهرس الموضوعات .

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

آثار المؤلف المطبوعة

-- أ --

الناشر

- أسواق العرب في الجاهلية والاسلام المكتبة الهاشمية بدمشق سنة ١٩٣٧ م
ابن حزم الاندلسي ورسائله في المفاضلة بين الصحابة المكتبة الهاشمية بدمشق سنة ١٩٤٠
الاسلام والمرأة . المكتبة الهاشمية بدمشق سنة ١٩٤٥
عائشة والسياسة . لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة
سنة ١٩٤٧ ، (طبعة ثانية سنة ١٩٥٧)
في أصول النحو . الجامعة السورية سنة ١٩٥١
مذكرات في قواعد اللغة العربية « « « ١٩٥٥

-- ب --

- الاجابة لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة : المكتبة الهاشمية بدمشق سنة ١٩٣٩
للزركشي .
في المفاضلة بين الصحابة : لابن حزم (نشرت مع كتاب ابن حزم الاندلسي) . المكتبة الهاشمية بدمشق سنة ١٩٤٠
سير النبلاء : للذهبي (جزء خاص في ترجمة ابن حزم) . المكتبة الهاشمية بدمشق سنة ١٩٤١
سير النبلاء : للذهبي (جزء خاص في ترجمة السيدة عائشة) . المكتبة الهاشمية بدمشق سنة ١٩٤٥
تاريخ داريا : للقاضي عبد الجبار الخولاني . المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٥٠